

دراسات في أزمة الخليج « ١ »



مركز الأبحاث
الوطني

د . حسن وجيه

أزمة الخليج

ولغة الحوار السياسي

في الوطن العربي



0156378

Bibliotheca Alexandrina

أزمة الخليج
ولغة الحوار السياسي
في الوطن العربي

رقم الإيداع ١٩٩٢/١٩٩١٠
I.S.B.N. 977 - 00 - 2870 - 3

الطبعة الأولى ١٩٩٢
جميع الحقوق محفوظة ©
دار سعاد الصباح
ص.ب : ٢٧٢٨٠
الصفحة ١٣١٣٣ - الكويت
ص.ب : ١٣ المقطم - القاهرة

اهداءات ١٩٩٩

دار الجميل
القاهرة

الاشراف الفنى : حلمى التونى



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
مكتبة الإسكندرية



أزمة الخليج ولغة الحوار السياسي في الوطن العربي

د . حسن وجيه



دار سعد الصباح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الهدى

إلى مصرنا الحبيبة ... كنانة الله في أرضه ... وإلى كل ذوى العقول

المنصفة في عالمنا

اهدى هذا الجهد وكل جهد .

تقديم

تعتبر أزمة الخليج بحق « الفتنة الكبرى الثانية » في التاريخ العربي الإسلامي فمنذ « الفتنة الكبرى الأولى » في منتصف القرن الهجري الأول ، لم يمر العرب والمسلمون بمثل ما مروا به في أزمة الخليج التي بدأت فصولها الدرامية المعلنة يوم ٢/٨/١٩٩٠ ، عندما قام نظام صدام حسين في العراق بغزو دولة الكويت ، وانتهت آخر فصولها العلنية بانهزام قوات النظام العراقي وانسحابها من الكويت يوم ٢٨/٢/١٩٩١ .

خلال هذه الشهور الستة تم تدمير الكويت بواسطة قوات النظام العراقي ، وتم تدمير العراق بواسطة قوات « التحالف الدولي » الذي قاده الولايات المتحدة الأمريكية ، وشاركت فيه حوالي ثلاثين دولة أجنبية وعربية . ولم يقل هولا عن تدمير بلدين عربيين ، ما أصاب الشعوب العربية نفسها من انقسام سياسي ، وشقاق اجتماعي ، وانشطار نفسي .

وحدث بهذه الجسامة ستظل تداعياته السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية تعيش معنا لسنوات طويلة في المستقبل . ويتحمل الزعماء العرب المسؤولية الأولى عن حدوث هذه « الفتنة الكبرى » في العقد الأخير من القرن العشرين . كما يتحمل المثقفون العرب جزءاً كبيراً من هذه المسؤولية . وإذا كانت مسؤولية السياسيين العرب واضحة جلية ، كما جسمتها قراراتهم قبيل واثناء الأزمة ، فإن مسؤولية المثقفين العرب ليست بنفس الدرجة من الوضوح والجلاء للمواطن العادي . قدور المثقفين هو ان يفسروا ويعبروا وينقدوا ويلهموا ابناء الأمة ، وخاصة في لحظة الأزمات . ولكن المثقفين العرب لم

يقصروا فقط في هذا الدور ، وإنما اسهمت أغلبيتهم في زيادة البلبلة والتخبط ولم يتخل المثقفون العرب عن مهمة « قيادة » الجماهير فحسب ، بل أن الكثيرين منهم « انتقادوا » لغرائز ومشاعر هذه الجماهير .

ولجسامة الحدث ولاخفاق المثقفين العرب في التعامل معه ، فقد رأى مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية أن يقوم بمشروع بحثي لتحليل « مضمون الفكر العربي حول أزمة الخليج » . وحشد المركز لهذه المهمة فريقا كبيرا من الباحثين العرب المدربين في منهجيات تحليل المضمون . ووفر المركز لهم مادة علمية ضخمة مما كتبه المثقفون العرب حول أزمة الخليج في الصحف والمجلات والدوريات والكتب . وصاغ الفريق إطارا مفهوميا عاما للاسترشاد به . وفيما يلي نقدم الخطوط العامة للمشروع .

١- مفهوم المشروع

إن غزو العراق لدولة الكويت قد فتح ملفات وحسابات عديدة . ولم يكشف هذا الغزو فقط عن اختلالات وتناقضات في هياكل النظام العربي القديم ، وإنما أيضا عن اختلالات وتناقضات موازية ، بل وربما أكثر عمقا ، في بنية العقل العربي وفي مقولات الفكر العربي التي افرزها ، شكلا ومضمونا . ويمثل الكم الهائل من الكتابات التي نشرت منذ تفجر أزمة الخليج مادة حية للتأمل والتحليل . ففي مثل هذا التأمل والتحليل فرصة لتبين تضاريس العقل العربي والشخصية العربية والسلوك العربي النخبوي والشعبي على السواء . وأهم من ذلك ، تمثل هذه المادة الفكرية المتدفقة ، فرصة لاستشراف معارك التسعينيات ، كما ستدار بالكلمات أو الطلقات ، وكما يمكن أن تستقر مرحليا في شكل مؤسسات وممارسات وطنية وقومية سيتكون منها النظام الإقليمي العربي الجديد . ومن ثم كانت هناك ضرورة ملحة لعمل بحثي موضوعي في هذا الصدد . واخذ مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية على عاتقه القيام بهذا

العمل البحثي وجند له نخبة متميزة من المفكرين والأكاديميين والاعلاميين العرب .

٢ = أهداف المشروع

ويهدف هذا المشروع البحثي إلى تحليل مضمون الفكر العربي خلال فترة زمنية قصيرة نسبيا ، وهي الشهور التي صاحبت أزمة الخليج ، منذ بدايتها الكلامية ، مرورا بغزو العراق للكويت ، وانتهاء بالمواجهات المسلحة التي اشتركت فيها أطراف عربية وأجنبية عديدة .

إن فكر أي مجتمع قومي هو سيرورة مستمرة ، قد تتفاوت في زخمها من لحظة لأخرى ، إلا أنها لا تنقطع أبدا . ورغم ذلك فإن هذا المشروع سيكتفي بتحليل مضمون الفكر العربي خلال شهور الأزمة ، وإن لم تخلو أيضا من جودة علمية ومنهجية . ففي لحظات الدراما المجتمعية تظهر المخاوف والهواجس والتوقعات والآمال بصورة حادة ، حتى وإن اتسمت بالبلبلية والاختلاط في هوامشها . وليس هناك من لحظات كثيرة في التاريخ العربي الحديث أكثر درامية من أزمة الخليج التي تفجرت يوم ٢/٨/١٩٩٠ .

ومن ثم فإن رصد وتسجيل وتحليل مضمون الفكر العربي في هذه اللحظة ، على قصرها ينطوي على أهمية قصوى لأبناء الأجيال العربية المعاصرة التي تعيش دوامة أزمة الخليج ، ولأبناء الأجيال العربية الصاعدة والقادمة ، التي من المحتمل أن تعيش مع كل تداعياتها الايجابية والسلبية . بل ربما يكون في مثل هذا الرصد والتسجيل والتحليل سبيلا لتقليص التداعيات السلبية وتعظيم التداعيات الإيجابية .

٣ = إطار المشروع

لقد كشفت أزمة الخليج عن انقسامات عربية عميقة ، لا فقط بين الأنظمة

الحاكمة ، ولكن أيضا بين الشعوب العربية ، بل وأحيانا داخل كل فرد عربي وفاقم من هذه الانقسامات التداخل السريع بين فواعل النظام العالمي وفواعل النظام الإقليمي العربي من ناحية ، والتدافع السريع لقضايا أخرى ، كانت كامنة في بنية النظام العربي والعقل العربي ، إلى قلب الأزمة من ناحية أخرى .
لذلك فإن تحليل مضمون الفكر العربي المصاحب للأزمة ينطوي على رصد وتحليل الجوانب التالية ، في مهام بحثية فرعية :

٣-١ - حجم الاهتمام بالأزمة

مع ان كل مفكري الأمة قد اهتموا بأزمة الخليج ، إلا أن حجم ودرجات هذا الاهتمام قد تفاوتت من قطر عربي إلى قطر عربي آخر ، ومن مرحلة إلى أخرى ، ومن اتجاه أيديولوجي إلى اتجاه أيديولوجي آخر . وتمثل هذه المهمة البحثية اقترابا كميا أوليا من الموضوع ، ومحاولة تفسير هذا التفاوت استنادا إلى متغيرات هيكلية ، منها موقع وموضع كل قطر من الأزمة ، وموقع وموضع أصحاب كل اتجاه فكري من سلطة اتخاذ القرار داخل كل قطر .

٣-٢ - طبيعة الاهتمام بالأزمة

مع هذه المهمة ينتقل مشروع البحث من « كم » الاهتمام إلى « نوع » الاهتمام . هنا يتم الكشف عن مضمون الاتجاهات والمواقف ، وعن المرامي الاقناعية والتحريضية ، الصريحة أو المستترة ، للخطاب الفكري نحو سياسات مرجوة من صانع القرار الوطني أو القومي أو العالمي ، ومن نتائج مبتغاة لهذه السياسات . وتمثل هذه المهمة اقترابا ، كيفيا ، أكثر تعمقا في الفكر العربي حول الأزمة ، وسعيا لمزيد من الفرز والتصنيف وتفسير الاختلاف والتفاوت .

٣-٣ - من أزمة الخليج إلى أزمة النظام العربي

مع هذه المهمة يتم رصد وتحليل « القضايا » الأخرى التي اثرت بمناسبة الأسباب والمظاهر المباشرة لأزمة الخليج (وهي غزو العراق للكويت) . أي مدى تواتر ذكر « حسابات » أخرى في خطاب المفكرين العرب وهم يتناولون

الأزمة ، ومدى ربطهم وكيفية ربطهم لهذه الحسابات مع أزمة الخليج . ويدخل في ذلك القضية الفلسطينية ، والقضية الاجتماعية ، وقضية الوحدة العربية ، وقضية التنمية ، وقضية الديمقراطية ، وقضية العلاقة بالعالم الخارجي عموما وبالغرب خصوصا . وتمثل هذه المهمة اقترابا اعمق إلى بنية العقل العربي منهجيا وسياسيا واخلاقيا .

٣ - ٤ - من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل

في هذه المهمة يتم رصد وتحليل ماورد في خطاب المفكرين العرب من تواتر لهموم « ماضوية » ، وأخرى « لحظية » ، وثالثة « مستقبلية » . بتعبير آخر رصد مدى التفاوت في الاهتمام بتصنيف حسابات قديمة ، مقارنة بالاهتمام باحتواء أزمة الخليج وتداعياتها المباشرة من ناحية ، وبصياغة رؤية لنظام عربي جديد من ناحية ثالثة . وفي كل الأحوال فإننا نبحت عن مضامين ووسائل هذا الاهتمام بالماضي أو الحاضر أو المستقبل . وتمثل هذه المهمة اقترابا أكثر شمولاً لتضاريس العقل العربي من حيث رقعة وزمان الاهتمام .

٣ - ٥ - الاتساق والتناقض في الخطابات الفكرية

في هذه المهمة يتم التركيز التحليلي للمضمون على درجات الاتساق أو التناقض في الخطابات الفكرية حول الأزمة ، سواء عند نفس الكاتب ، أو الاتجاه الايديولوجي ، طبقا لمرجعيات بعينها يستشهد بها الكاتب نفسه أو ينطلق منها ضمنا . كما يتم بالنسبة لكتاب بارزين تحديدا رصد وتحليل خطابهم الفكري العام (قبل الأزمة) ومقارنته بخطابهم حول أزمة الخليج ، لاكتشاف مدى الاتساق والتناقض في مشروعهم الفكري - السياسي العام ، ومحاولة تفسير هذا الاتساق أو التناقض باستخدام منهجيات ومقولات علم الاجتماع المعرفي ومجال اللغويات السياسية.

٤ - نتائج المشروع

انطوى مشروع « تحليل مضمون الفكر العربي حول أزمة الخليج » على

التعامل مع أكثر من عشرة آلاف مقال رأي ، ظهرت في الصحف والمجلات والدوريات العربية خلال العام الذي بدأ يوم ٢/٨/١٩٩٠ (غزو العراق للكويت) وانتهى يوم ٢/٨/١٩٩١ . كما انطوى المشروع على تحليل ما لا يقل عن مائة كتاب ظهرت في نفس المدة لمؤلفين عرب . هذا عدا البيانات الرسمية التي صدرت عن رؤساء ووزراء عرب حول أزمة الخليج ، وكذلك ما صدر عن الأحزاب والتيارات السياسية والتنظيمات الشعبية حيال الأزمة في كل مراحلها .

وقد تم التعامل مع هذا الحجم الهائل من المواد بطريقتين رئيسيتين . أولهما ، « التحليل الكمي » لمضمون هذه المادة باستخدام تقنيات مقننة ، وادخالها «لحاسوب» (الكمبيوتر) ، بقصد اكتشاف الانماط الشائعة للتفكير والتحليل والتعبير ، كما يجسمها السلوك اللفظي المكتوب ، وربط كل نمط بمتغيرات قطرية وايديولوجية وجيلية . وثانيتهما « التحليل الكيفي » لنفس المادة بواسطة باحثين - خبراء من الاكاديميين والاعلاميين ، تاركين لهم هامشا واسعا من الحرية في الاستقراء والاستنتاج ، باستخدام احد المنهجيات المعتمدة في العلوم الاجتماعية ، شريطة ان يقدموا دراساتهم بفصل عن القواعد التي اتبعوها ، وتاركين للقارئ حرية الحكم على مستوى الموضوعية والانصاف في اجتهادات كل باحث .

ونيتنا ان يصدر هذا المشروع البحثي الكبير عشرة دراسات علي الاقل ، تظهر تباعا خلال عام ١٩٩٢ . ومع يقيننا ان هذه الدراسات العشر لن تقول الكلمة الأخيرة أو الفاصلة في فهم الكيفية التي تعامل بها العقل العربي مع أزمة طاحنة ، مثل أزمة الخليج إلا أننا نرجو ان نكون بذلك قد اسهمنا بأول مجهود علمي منظم نحو هذا الهدف .

وانطلاقا من كل من سبق نقدم هذا الكتاب بعنوان « أزمة الخليج ولغة الحوار السياسي في الوطن العربي . للدكتور حسن وجيه أستاذ علمي اللغة

والعلاقات الدولية بجامعة الأزهر وفيه يرسى الكاتب الأصول المنهجية العامة لتحليل لغة الخطاب والحوار الاجتماعي والسياسي العربي حول أزمة الخليج . وهي دراسة الطريقة الكيفية في التحليل . والدكتور حسن وجيه هو احد البراعم الشابة والواعدة في مجال « اللغويات الاجتماعية والسياسية » - (Socio political Linguistics) ، وهو مجال جديد في جامعاتنا العربية . وقد تتلمذ فيه الدكتور حسن وجيه على يد أساتذة كبار في جامعتي جورجيتاون وتكساس بالولايات المتحدة . وقد عمل الدكتور حسن وجيه بهمة بالغة في المشروع منذ كان فكرة جنينية إلى ان اكتمل ، على مدى ستة عشر شهرا ، لذلك فله منا كل التحية والتقدير .

ولا يفوتني ان اقدم أعمق الشكر والامتنان لبقية أعضاء الفريق الذين اسهموا مع الدكتور حسن وجيه ومعني في اتمام هذا العمل المضني ، والذين تظهر اسمائهم في نهاية كل دراسات المشروع المنشورة .

واخيرا فإن دراسات المشروع تنشر كعمل مشترك بين دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع ومركز ابن خلدون للدراسات الانمائية . وما كان للمشروع كله ان يتحقق وتنشر دراساته على نطاق واسع لولا الدعم المادي والمعنوي الذي قدمته الدكتورة سعاد الصباح . ورغم هذا الدعم الهائل إلا أن هذه السيدة العربية الفاضلة لم تتدخل في كبيرة أو صغيرة من أعمال المشروع ، واحترمت الحرية الاكاديمية والفكرية للعاملين في المشروع احتراما صارما . فلها الشكر مرتان - مرة لدعمها المادي والمعنوي ، ومرة لحرصها الشديد على احترام الحرية الفكرية للباحثين في المشروع .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

سعد الدين إبراهيم

رئيس مركز ابن خلدون

والمنسق العام للمشروع

هيئة البحث في مشروع تحليل مضمون الفكر العربي حول أزمة الخليج

المنسق العام للمشروع	د . سعد الدين إبراهيم
المشرف على التحليل الكمي للمشروع	د . على ليلة
عضو الفريق (تحليل لغة الحوار)	د . حسن وجيه
عضو الفريق (تحليل اتجاهات ايديولوجية)	د . ضياء الدين زاهر
عضو الفريق (تحليل اتجاهات ايديولوجية)	د . محمود الكردي
عضو الفريق (تحليل حالة المغرب)	د . كمال عبد اللطيف
عضو الفريق (تحليل حالة الأردن)	د . عاطف عضيبات
عضو الفريق (تحليل حالة تونس)	د . عبد الباقي الهرماسي
عضو الفريق (تحليل حالات مفكرين)	أ . حسن عامر
عضو الفريق (تحليل حالات مفكرين)	أ . عبد العاطي محمد
عضو الفريق (سكرتارية المشروع)	أ . هشام عثمان

سلسلة مشروع تحليل مضمون الفكر العربى حول أزمة الخليج

**أزمة الخليج ولغة الحوار السياسى
فى الوطن العربى
د . حسن وجيه**

**الناشر : دار سعاد الصباح
القاهرة
ديسمبر ١٩٩١**

المقدمة

نحو صياغة جديدة للغة الحوار فى عمليات التفاوض السياسى والاجتماعى

لم تكن تفاعلات أزمة الخليج وليدة ذات هذه الأزمة بعينها ولكنها كانت تمثل فى واقعها ذروة تلك الأزمة المزمه التى كان ولا يزال يعاني منها العالم العربى سواء على مستوى تفاعلات النخبة أو الرأى العام . وتظهر أعراض هذه الأزمة المزمه من خلال هذا الكم الهائل من السلبيات التى ترسخت فى أنماط واستراتيجيات الحوار التفاوضى اليومى فى العالم العربى وبنسب متفاوتة بين البلدان العربيه المختلفه والتى تتم عملية ممارستها فى أغلب الاحيان بطريقة لاشعورية ، الامر الذى انتشرت معه نداءات الكثيرين قبل أزمة الخليج بشأن أهمية مراعاة " ادب الحوار " " وآداب الخطاب العام " ، " والموضوعية فى الحوار " وإلى غير ذلك من تعبيرات متشابهه ، ولقد زاد تردد هذه النداءات فى ذروة أزمة الخليج ووصل الامر إلى أن وقف رئيس أكبر دولة عربية يناشد الأمة العربيه بأكملها أن تتمسك بأسس الحوار الموضوعيه فى أكثر لحظات عملية التفاوض العربيه العربيه حرجاً والتى كان من شأنها محاولة احتواء الكارثة . من هنا تحاول هذه الدراسه الاولى تقديم تحليل علمى لظاهرة من أخطر ظواهر التفاعلات العربيه وهى الخاصة باشكاليات وسلبيات الحوار . فهذه السلبيات لاترجع الى وجود أزمة أخلاقية فقط كما يرى ذلك جمهوره

كبيرة من الباحثين وأعضاء النخبة العربية ولكن الأمر يرجع أساساً إلى افتقاد التآلف مع تقنيات وديناميكيات التفاعلات الحوارية التفاوضية المعقدة وخاصة أساليب إقامة وتقنين الحجج . إن هذا الأمر أصبح من أهم ما تتناوله بالتحليل والدراسة والتدريس أحدث البرامج اللغوية الحديثة التى تعنى بدراسة عملية فهم وإنتاج وتداول التركيبات اللغوية المسموعة والمكتوبة فى السياقات المختلفة وتعنى كذلك بتحديد أنسب الوسائل والاستراتيجيات اللغوية النفسية والاجتماعية والسياسية لإدارة الحوار وتجنب عوامل الشقاق وفهم طبيعة التعقيدات الملازمة لعمليات التفاعل والتواصل التى تصاحب الحوار اليومى ومضامينه المتعددة ، فعمليات التفاعل والتواصل هذه عادة لا يلتفت إليها المتحدث العادى بنوع من التأمل والملاحظة أو الدراسة العلمية الموضوعية ولكن يستجيب إليها الغالبية فى شكل ردود أفعال حوارية تلقائية وذاتية لا تسمح عادة بالقدرة على اقتفاء أثر سبب الخطأ وتحديد نوعه مما يؤدى الى عدم التآلف مع الآخرين وفى كثير من حالات تفاعلاتنا العربية يحدث الشقاق .

وتتبنى هذه الدراسة منظوراً مفاده أن عملية التفاوض على المستوى الاجتماعى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمفاوضات السياسية ولها الكثير من الملامح المشتركة معها ، وأن زادت الأخيرة - بطبيعة الحال - فى حجم تعقيداتها وتبعات نتائجها فكل من نوعى التفاوض تعقيدات بالغة الضخامة ينبغى النظر إليها بأسلوب شمولى فى إطار نظام القيم الاجتماعية والثقافية السائدة وكذلك فى إطار منظومة التفاعلات الدولية الأكثر اتساعاً وتعقيداً . ومن هذا المنطلق تستعرض هذه الدراسة أنماطاً من الحوار اليومى التى تتجسد أيضاً فى الحوار السياسى وبالعكس .

من كل هذه المنطلقات وكذلك من منطلق التغيرات الهائلة التى يشهدها العالم وفى ظل المحاولات الراهنة لتوسيع وتعميق المسار الديمقراطى وأيضاً فى

ظل هذا الكم الكبير من الخطابات المتصارعة للأحزاب والجماعات المختلفة وجب تعميق الاحساس بالطبيعة التقنية لديناميكيات لغة الحوار ومواجهة ما نود إن نطلق عليه تعبير « خطايا الحوار التفاوضي » أو بمعنى آخر «خطاب الفاولات» الذى أصبح يهيمن بشكل غريب على عمليات التفاوض الاجتماعى والسياسى التى تشهدها الساحة العربية على كافة الاصعدة ، إذ أن إستمرارية هيمنة «خطاب الفاولات» هذا يمثل بل شك أكبر عقبات التنمية بكل إشكالاتها وبالتالي فإن وضع حد لهيمنة هذا «الخطاب» على نحو علمى يمثل نقطة البداية لضبط الاسس والمعايير اللازمة لحوار البناء من الداخل وإدارة الصراع بكفاءة فى الخارج وهذا ماتطمح هذه الدراسة الاولى فى جهد الاسهام فيه مع تجنب المصطلحات الفنية قدر الامكان فيما عدا فى الفصلين الاول والثانى الخاصين بالمنهجية - كذلك روعى توضيح اى مصطلح فنى باسلوب مُبسّط بقدر الامكان ودعمنا ذلك بالامثلة الحية من تفاعلات الازمة الاجتماعية المزمنة وازمة الخليج ، الامر الذى يسمح للمتخصص وغير المتخصص ان يتفاعل مع هذه الدراسة والله ولى التوفيق وهو سبحانه المستعان .

المؤلف

كلمة شكر وتقدير

في ختام هذه المقدمة أود أن اتقدم بالشكر إلى كل هؤلاء الذين قاموا بتشجيعي على المضي في دراسة موضوع هذا البحث والذي تمثل هذه الدراسة الاولى نقطة البداية فيه . وأود أن أخص بالشكر الزملاء والاساتذة في مشروع " تحليل مضمون الفكر العربى حول أزمة الخليج " بمركز ابن خلدون وأخص بالشكر د. سعد الدين ابراهيم الذى كان لتشجيعه المعنوى وملاحظاته العلمية أكبر الاثر في اخراج هذه الدراسة لحيز الضوء . كذلك أود أن أشكر الاساتذة والزملاء بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام وخاصة - وبكل الامتنان - الاستاذ السيد يسين ود. أسامة الغزالي حرب لدعوتهما لى بأن أنظم ندوة بالمركز عن منهجية تحليل النص وديناميكيات لغة الحوار فى اطار سياقات التفاعلات المختلفة ، الامر الذى اتاح لى فرصة كبيرة للتفاعل مع حشد كبير من اعضاء النخبة الذين أود أن أتوجه إليهم بالشكر والاعزاز لما ابدوه من ملاحظات هامة وقيمة وأخص بالشكر د. رمزى رضوان عميد كلية اللغات ود. جعفر عبد السلام ود. محمد ابراهيم والاستاذ صالح ابو السعادات بجامعة الأزهر وللسفير فوزى الابراشى مدير المعهد الدبلوماسى حينذاك وللدكتور عبد الله الاشعل بوزارة الخارجية وللسفير أشرف غربال ود. جهاد عودة ود. محمد السيد سعيد والاستاذ نبيل عبد الفتاح ود. طه عبد العليم بمركز الدراسات والدكتور على الدين هلال ود. نصر ابوزيد ود. محمد عنان ود. نجيب حسنى بجامعة القاهرة ود. السعيد بدوى ود. على فرغلى ود. علاء

الجبالي ود. هدى راغب بالجامعة الامريكية ود. يونان لبيب ود. عبد العزيز نوار ود. محمد عبد الوهاب ود. تغريد عنبر بجامعة عين شمس وأود أن اتوجه بالشكر الخاص للأستاذ سامي خشبه الذي جعل من صفحة الفكر الثقافي بجريدة الأهرام ساحة ثرية لتفاعل كل المهتمين بنقد ثقافة الحاضر وبناء ثقافة المستقبل .. كذلك أعبر عن شكري للصديق العزيز د. عبد المنعم سعيد الذى كان للحوار معه على فترات بعضها في الولايات المتحدة اثناء فترة ابتعائى وبعضها الاخر في مصرنا الحبيبة اثراً مثمراً . أما على مستوى الاقرباء والاصدقاء الذين كان للحوارات اليومية معهم ولتعليقاتهم اثرها الهام في محاولة تأمل ظاهرة الحوار ذاته أود أن أعبر عن شكري بكل العرفان والتقدير الخاص لوالدى م. محمد وجيه حسن ووالدتى أ. اعتدال فهمى وكذلك اتوجه بالشكر العميق إلى فهمى وجيه وايمان عبد الرازق والمستشار محمد عبدالرازق، أ. امال فهمى وأيمن عبد الرازق ود . علاء عبد الرازق، وفاتن وجيه وعبد اللطيف الببلي وكذلك أريد أن أشكر أ. محمود فهمى وحسام ونيس ومحمد خيرى وحسام خلف، وأ.احلام فهمى وأ. مختار فهمى وأ. يوسف حسنين وأ. أنشراح فهمى واللواء حمدى حسن أ. زلفى عاصم أ. شريف حسن أ. مدحت فهمى وأ. الناقد مصطفى عبد الله ود . أحمد تيمور وفى النهاية أود أن أعبر عن شكري الخاص للملاحظات التحريرية التى ابدتها أ. غادة منير بخصوص هذه الدراسة . وأود ان أعبر عن شكري وعرفانى لجميع أساتذتى الافاضل واخص بالذكر المرحوم د . شكري مصطفى ود . محسن أبو سعدة ود . وجدى الفيشاوى ود . عبد الرحمن جابر .

محتويات الدراسة

الصفحة

١١	تقديم : «إطار المشروع د . سعد الدين إبراهيم»
	مقدمة : «نحو صياغة جديدة للغة الحوار في عمليات التفاوض
٢١	السياسى والاجتماعى فى العالم العربى
٢٩	موجز لمحتوى الدراسة :
٣١	الفصل الأول : «مدخل عام لاطر تحليل النص ولغة الحوار»
٤١	الفصل الثانى : « منظور لغويات التفاوض »
	الفصل الثالث :خريطة تفاعلات أزمة الخليج وموقع هذه الدراسة
٦٥	عليها
	الفصل الرابع : أشكاليات التفاوض العربية الدولية والعربية العربية
٧٣	سياق الأزمة
	الفصل الخامس :تحليل اقامة وتفنيد الحجج وإنمات أخرى من خطايا
١٤٩	الحوار التفاوضى»
٢٠٥	خاتمة:
	ملحق الدراسة: (النص الكامل لبعض المقالات التى تم الاستشهاد
٢٠٧	بها)
٢٨٣	المراجع

موجز لمحتوى الدراسة

تنقسم هذه الدراسة الى خمسة فصول يقدم **الفصل الأول** مدخلاً عاماً لأطر تحليل النص ولغة الحوار ويقدم **الفصل الثانى** ما أسماه الباحث «بمنظور لغويات التفاوض» وهذا المنظور يستمد أطر تحليلاته من علم اللغويات الاجتماعية والعلاقات الدولية والعلوم السياسية . ويتم من خلال «منظور لغويات التفاوض» الاجابة على بعض الاسئلة المنهجية التى توضح مدى الحاجة إلى هذا المنظور وعلاقته بطرق تحليل المضمون . كذلك يتم في هذا الفصل أيضاً توضيح عناصر «قدرات ومهارات الحوار التفاوضى» والتى يمثل عدم الالمام بها قصوراً يشكل بدوره السبب الرئيسى فى هيمنة ما اسميناه «بخطاب الفاولات» . ويحدد **الفصل الثالث** المنظور الشمولى لخريطة تفاعلات الازمة بهدف التعرف على خصوصية أزمة الخليج فى إطار أدبيات الازمات الدولية السابقة وديناميكيات التفاعل الخاصة بها .

أما **الفصل الرابع** فيتعرض بالتحليل الى طبيعة إشكاليات التفاوض العربية الدولية والعربية العربية . ويحاول الباحث من خلال هذا الفصل أن يقدم صورة شمولية لتلك الأنماط الحوارية السلبية التى تسبب رسوخها فى تفاعلاتنا اليومية والتى تجسدت بصورة لم يسبق لها مثيل فى تفاعلات أزمة الخليج الى مزيد من تأزم الموقف الى الحد الذى أدى الى فشل عمليات التفاوض العربية العربية والتى كان الهدف الاساسى منها منع تدمير العراق وتحرير الكويت . كذلك يعنى هذا الفصل بالقاء الضوء على نوعية الدراسات السابقة

التي عنيت بتحليل إشكاليات الواقع الثقافي العربي . ومن هذا المنطلق يستعرض هذا الفصل مجموعتين من الاشكاليات : المجموعة الأولى توضح ديناميكيات التفاوض العربية الدولية في سياق هذه الإزمة كأزمة دولية وصراع الشخصيات والأنظمة المتفاوضه في إطارها مع توضيح تشابك هذه الديناميكيات مع مجموعة الاشكالية الثانية والتي تتمثل في تلك الأنماط السلبية الرئيسية للتفاعل وهي تشكل جوهر ما أسميناه «بخطاب الفاوالات» في عالمنا العربي . كذلك يقدم هذا الفصل مدخلاً آخرأ يهدف الى المزيد من توضيح المقصود بهذه الأنماط أما **الفصل الخامس** فيقدم تحليلاً لعناصر إقامة الحجج وتفنيدها من منظور لغويات التفاوض ثم يتم استعراض العديد من الأنماط السلبية الأخرى التي توضح بصورة مباشرة الخلل في عملية إقامة الحجج من خلال عرض نماذج من تفاعلات إزمة الخليج وكذلك الأزمة الاجتماعية الثقافية المزمنة .

الفصل الأول

مدخل عام لأطر تحليل النص ولغة الحوار

يقدم هذا الفصل منظورين أساسيين يمكن من خلالهما إلقاء الضوء على ديناميكيات لغة الحوار. والمنظور الأول هو منظور التحليل العلمي للنص وديناميكيات لغة الحوار (المطارات/الخطاب) وهو ذلك المنظور الذي يمثل مدخلاً عاماً نتعرف من خلاله على الأطر العامة لتحليل النص والحوار، وهو المنظور الذي تنبثق عنه هذه الدراسة.

أما المنظور الثاني والذي وجدنا أهمية تقديم عرض موجز له فهو المنظور التربوي (التعليمي) والديموقراطي للغة الحوار والذي يمثل بعداً آخر له أهميته الكبيرة عند النظر بشمولية للمشكلة موضع الدراسة.

المنظور الأول: التحليل العلمي «النص» و ديناميكيات لغة الحوار

أولاً: إشكالية التعريف

يرتبط تعبير «تحليل النص» Text Analysis (T.A) وتحليل «ديناميكيات لغة الحوار» وبمعنى آخر ما قد نسميه بالمطارات Discourse Analysis (D.A) بعضهما البعض بطريقة متداخلة وكثيراً من الأحيان ما يستخدم بعض المتخصصين التعبيريّن تبادلياً (على سبيل المثال أنظر تنين Tannen ١٩٨١ و Cicourel شيكوريل ١٩٧٥).

ولكنه في واقع الأمر يظل لتعبير المطارات (D.A) معنى إصطلاحياً خاصاً في علم اللغويات ، فهذا التعبير يشير إلى مرحلة بداية السبعينات حيث بدأ

إهتمام خاص من قبل علماء اللغويات بتحليل يتخطى مستوى الجملة "sentence level" الذى كان سائدا في النماذج والنظريات السابقة - إلى تحليل على مستوى المطارحة بأكملها "Discourse level" ليشمل ذلك تحليل المقولة المكتوبة أو المنطوقة والجدليات "Argumentation" الموجودة بها في شموليتها (أنظر براون ويول "Brown & Yule" ١٩٨٣ ، مايكل ستبز "Michael Stubbs" ١٩٨٣ وبولينجر "Bolinger" ١٩٧٩) ولقد إرتبط تعبير «تحليل المطارحات» (D.A) إرتباطا وثيقا بتعبير التفاعل الحواري "Conversational Interaction" أكثر من إرتباطه بتحليل النص المكتوب الثابت . فإننا إذا ما نظرنا إلى كتاب كولثارد "Coulthard" بعنوان « تحليل المطارحات » (D.A) ١٩٧٧ نجده ليس سوى تحليل للمحادثات .

وإذا ما تأملنا تعبير تحليل النص "Text Analysis" نجد أنه هو الآخر قد إرتبط إرتباطا كبيرا بتعبير «تحليل المضمون» أو Content Analysis (C.A) ولقد شاع تعبير «تحليل المضمون» في مجال العلوم السياسية وكذلك في النقد الأدبي وإن اختلفت طرق التحليل في كليهما. ويعرف تحليل المضمون بأنه «أسلوب في البحث لوصف المحتوى الظاهر للإتصال وصفا موضوعيا منظما وكما» (برلسون ١٩٥٢).

بينما شاع تعبير «تحليل المطارحات» (D.A) في مجال اللغويات وعلم الاجتماع أكثر ويعنى بمعالجة المعانى الكامنة للكلمات والأفكار (Deep structure) وكذلك بالعمليات الوظيفية اللغوية التى تتخلل المقولة المكتوبة أو المنطوقة أو ما يسمى بـ "Discourse" ومن هنا بدأ فريق من علماء اللغويات يهتم بوضع إجروميات ليست على مستوى الجملة كما كان العهد بالإجروميات التقليدية ولكن بوضع إجروميات على مستوى المطارحة بأكملها وبدأت مرحلة جديدة تتردد فيها تعبيرات مثل « قواعد المطارحات » (Discourse Rules) «إجروميات المطارحات» "Discourse Grammar" أنظر على سبيل

المثال بيكر (Becker) ١٩٨٤، وبراون ويول (Brown & Yule) ١٩٨٣، ومايكل ستبز (Stubbs) ١٩٨٣.

ولتوضيح حقيقة معنى تعبيرى « تحليل النص » (TA) « وتحليل المطارحات (D.A) » نجد أن البعض لا يستخدمهما إستخداماً تبادلياً كما ذكرنا آنفاً بل يستخدم تعبير تحليل النص (T . A) كجزء من الكل .. والكل هنا هو تعبير « تحليل المطارحات » (D.A) أنظر بيكر (Becker) ١٩٨٤ .

وإذا كانت هناك إشكالية على الصعيد العربى فى التفريق بين « تحليل النص » (T.A) وبين ما أطلق عليه تعبير « تحليل الخطاب » كترجمة إصطلاحية لتعبير (Discourse Analysis) والذي يُفضل ترجمته الى تعبير « تحليل المطارحات » فإن هذه الإشكالية ترجع الى وجود كلمة Discourse باللغة الإنجليزية والتي تعبر عن كافة الاشكال والصيغ والوسائل اللغوية المختلفة المكتوبة والمنطوقة بينما لا يوجد بالعربية مرادف مواز لها ومن هنا كانت كلمة « المطارحات » أقرب الكلمات تحقيقاً لمعنى الكلمة الإنجليزية (١). وإن كانت كلمة « خطاب » هي الأكثر شيوعاً بطبيعة الحال بين البعض.

وفى النهاية فكلتا التعبيرين « تحليل النص » (T.A) وتحليل المطارحات (D.A) « الخطاب » لا يمكن إعتبارهما منفصلين ولكنهما يمثلان شكلين لعمق واحد يعنى بمحاولة التعرف على طبيعة الرسائل والمنظومات المختلفة فى طبيعتها وأهدافها... فالمطارحات المكتوبة هي « نص » (Text) تماماً كما قد تصبح الكلمات المنطوقة فى الحديث نصاً هي الأخرى وبالتالي يمكننا إعتبار أن تعبيرى « المطارحات » و « النص » كلاهما يتداخل مع الآخر تداخلاً كبيراً وإن عبرت كلمة المطارحات عن شمولية أكبر وعن طبيعة أكثر ديناميكية من كلمة « النص ».

ثانياً : طبيعة الدراسات الحديثة لتحليل « النص » و « المطارحات » / « الخطاب »

إن عمليات « تحليل النصوص » و « تحليل المطارحات » لم تعد موضع إهتمام

فريق من المتخصصين دون غيره فهذه الموضوعات حيوية لكافة التخصصات بكل تأكيد ولذلك فإن إهتمام علماء اللغويات بهذا الأمر في العقدين الأخيرين والذي صاحبه مزيد من البرامج الإزدواجية في علم اللغويات (Interdisciplinary linguistic programs) قد اجتذب العديد من المتخصصين في معظم المجالات في إطار هذه البرامج الإزدواجية وأصبح ناتج هذه البرامج يصب في محاولات الإجابة على أسئلة مركزية تهتم بها النظرية اللغوية الكبرى "The Grand linguistic theory" وهذه الأسئلة تتعلق بالنقاط التالية:

(١) كيف تستخدم التركيبات النحوية والدلالية والوظيفية (syntactic, semantic & pragmatic structures) لتحقيق هدفاً إحصائياً ما سواء كان في سياق إجتماعي [على سبيل المثال أنظر "Labov" ١٩٧٢ ، جمبرز "Gumperz" ١٩٨٢] أو سياق قانوني [أنظر شاي "Shuy" ١٩٨١ ، وفولر "Fowler" ١٩٧٩] أو سياق تعليمي [أنظر كولثارد "Coulthard" ١٩٧٧ ، "Hassan - wagieh" ١٩٨٧ (١٩٩١) (أو سياق طب نفسي) [أنظر تشاكا "Chaika" ١٩٧٤] أو سياق أدبي [أنظر تين "Tannen" ١٩٨٨ ، وهايمز "Hymes" ١٩٨٠] أو سياق لغويات الكمبيوتر-وهي الخاصة بالترجمة ولغات الكمبيوتر ودراسات الذكاء الصناعي- [أنظر على سبيل المثال موليري "Mallery" ١٩٨٧ ، ودفي "Duffy" ١٩٨٨] وفي السياق الديني / أنظر فيرجسون "Ferguson" ١٩٧٦ ، وسامرين "Samarin" ١٩٧٦] إلخ .

(١) بينما يوحى كل من تعبيرى «تحليل النص» و «تحليل الخطاب» على كون الأمر ثابتاً واستاتيكيّاً يوحى تعبير «تحليل المطارحات» بمعنى الديناميكية في السياق المكتوب أو المنطوق وهو المقصود أساساً بالتعبير الأصلي Discourse Analysis كذلك فإن كلمة الخطاب في اللغة العربية تفهم عادة على كونها خطاب بمعنى الخطاب السياسى أو الإجتماعى أساساً بينما هناك أشكال لغوية أخرى مثل المحادثة العادية والمقابلات الرسمية بأشكالها والمقال المكتوب والرسائل والتي تمثل كلها وسائل أخرى توحى بها كلمة «المطارحات» أكثر من كلمة الخطاب.

(٢) ما هي طبيعة ووظائف عمليات المطارحات المختلفة Discourse processes ومبادئها وأثرها في عمق تماسك واتساق النصوص (Coherence of texts وما هي وسائل إكتشاف الأنماط الكامنة عبر « النصوص » ؟

(٣) بالإضافة الى سبر غور المناهج والطرق العلمية التي يهتم بها اللغويون فالجال يهتم أيضا بالبحث في الظواهر اللغوية المتعلقة بالجماليات "Aesthetics" وبالتالي بالبحث عن تلك القوى الغامضة التي تزحف عبر الكلمات والأفكار والصور والعواطف والتي لا تتضمنها الكلمات المفردة بذاتها؟

من هذه المنطلقات نخرت قاعات المؤتمرات الدولية الحديثة بالدراسات الإزدواجية ومن خلالها التقى العديد من الخبراء من كافة التخصصات في العلوم الإجتماعية المختلفة. فإذا ما نظرنا إلى صعيد دراسات تحليل النص والمطارحات بالوطن العربي لوجدنا أهمية وجوب تفاعل المتخصصين في العلوم الإجتماعية المختلفة ولوجدنا نقصاً في عدد الدراسات والبحوث في معظم مجالات تحليل المطارحات في السياقات القانونية والطبية النفسية ولغويات الكمبيوتر والسياق السياسي فلقد إقتصرت الأدبيات الموجودة في العالم العربي على تحليل النص في السياق السياسي ولكن من منظور مدارس تحليل المضمون "Content Analysis" المختلفة عن طبيعة المطارحات "D.A" كما سبقت الإشارة وكذلك على السياق الأدبي والذي تهيمن على مناهجه مدارس تحليل النقد الأدبي «كالبنوية» (Structuralism) و مدارس ما بعد «البنوية» أو ما يسمى بـ (Post-structuralism) ومدرسة «البناء المناقض» أو «التفكيكية» (Deconstruction) و مدارس ما عرف بالنقد الجديد (New criticism)

إن أهمية وجود أبحاث إزدواجية في المجالات المذكورة أعلاه في الوطن العربي يعتبر من الأمور المطلوبة والهامة حيث أن نتائج هذه الأبحاث على صعيد الخصوصية الثقافية العربية سوف تثرى المحاولات المتعمقة لفهم

الأسئلة المركزية المتعلقة بظواهر الإتصال والتفاعل المذكورة أنفاً وتقديم قراءة تحليلية أفضل للنصوص في سياقاتها المختلفة.

المنظور الثاني: التربوي الديني والديمقراطي

في الوقت الذي يتسم فيه المنظور الأول بالجوانب التقنية لديناميكيات الحوار فإن هذا المنظور الذي يمكن تسميته بالمنظور التربوي الديني والديمقراطي يختص بتعميق آداب الحوار العامة وتجدر بنا الإشارة إلى أن هذا المنظور يعنى أساساً بالحاجة إلى اللياقة والكياسة العامة وتجنب الألفاظ الخارجة والابتعاد عن الانفعالية والعصبية والتوتر عند مخاطبة الآخرين ووصفهم بما ليس بهم والتحلي بأخلاقيات التخاطب العامة. والمصادر التعليمية الخاصة بأستنباط قواعد السلوك العام توجد بقدر كبير من التفصيل في بطون كتب الحكمة والتراث من ناحية، ومن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف والأديان السماوية من الناحية الأخرى فعلى صعيد كتب الحكمة والتراث على مستوى الذبوع العالمى نجد كتاب لجون هيدر (John Heider) (١٩٨٥) بعنوان إستراتيجيات القيادة لعالم جديد والذي بيع منه ملايين النسخ والذي يقدم ترجمة لمقولات أحد حكماء الصين المعروفين وهو لاو تسوز تاو وتشنج ذلك الحاكم السياسى المحنك الذى ظهر في القرن الخامس قبل الميلاد والذي أصبحت أدبياته ومقولاته من الكلاسيكيات التى تنتشر الى يومنا هذا ويستعين المتحدثون بمثل هذه الحكم لتدعيم مواقفهم وتصرفاتهم في السياقات المختلفة ومن أمثلة حكمه المشهورة «رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة» «والسهل الممتنع» «والعنف يولد العنف» ويتحدث الكتاب أساسا عن طرق القيادة وحكم الآخرين وتعليمهم في ظل التألف مع القوانين الطبيعية.

وعلى صعيد الخصوصية الثقافية نجد العديد من الكتب التى يستنبط منها كبسولات عديدة تتعلق بالتحلي بالآداب العامة في الحوار والحكمة فيه، فنجد

على سبيل المثال كتاب ابن خلدون: الشفاء السائل لتهديب المسائل، تحقيق اغناطيوس خليفة عبد الرحمن، (١٩٥٦)، وكتاب أخبار الأذكياء لابن الجوزي، تحقيق محمد مرسى، (١٩٧٠) وتلك الكتب التى إهتمت بإيقاظ البعد الإيماني السلوكى فى النفوس على سبيل المثال لا الحصر أنظر السلوك الإجتماعى فى الإسلام، لحسن أيوب، (١٩٧٠). وهناك من الكتب التى عالجت أمر الخلاف والإختلاف وأدابهما من منظور المنهجية الفقهية للسلف والضوابط التى كانوا يقيمونها لعمليات الإجتهد والإستنتاج وضبط الرأى لتحقيق الغايات والمقاصد الشرعية أنظر على سبيل المثال كتاب أداب الاختلاف فى الإسلام، لطف العلوانى، (١٩٨٧) والحوار نافذة من نور للاميري (١٩٧٥).

وفى إطار إستنباط أداب الحوار من الكتب السماوية تجدر بنا الإشارة هنا الى العديد من آيات القرآن الكريم التى تدعونا الى أهمية مراقبة ما نقوله والحرص على التحلى بأداب الحوار فيقول الحق سبحانه وتعالى «ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون». فإن الرسائل بين المرسل والمستقبل تحتاج الى عملية وصول وتوصيل وهذا الأمر يتضمن معانى التسلسل المنطقى الواضح البين الذى لا يحمل فى طياته غموض أو لبس أو شوشرة... وكذلك قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا إتقوا الله وقولوا قولا سديدا» وقوله تعالى «واصبر على ما يقولون» وقوله تعالى «وجادلهم بالتى هي أحسن»... «وكلمة طيبة كشجرة طيبة» وهناك العشرات من آيات القرآن الكريم ومن الكتب السماوية الأخرى التى تحدد بجلاء إطار أداب الحوار والإختلاف وهو من الأمور التى يجب أخذها بعين الإعتبار بكل تأكيد. وهناك العديد من الأدبيات العربية التى تندرج تحت إطار هذا المنظور ولكن فى إطار هذا المنظور وإنطلاقا من قوله تعالى «قل سيروا فى الأرض فأنظروا كيف بدأ الخلق» والذى يمثل للإنسان دعوة واضحة لتعميق التأمل فى السؤال المتعلق

بحيـثيات الكيفيـة دائـماً وجـب النظر إلى الجانـب العلمـي والموضـوعي للمنظـور الديني والتربوي والديموقراطي لطبيعة ديناميكيات الحوار، وهنا نجد مفتقدات واضحة على الصعيدين الإعلامي والتعليمي. فعلى صعيد الفهم الحقيقي للحوار الديمقراطي وجب إدخال العديد من المكونات الخاصة بهذا الأمر سياسياً وتعليمياً بما يناسب طبيعة الأمر وطبيعة الخصوصية الثقافية العربية والإسلامية. فسياسياً وجب اتخاذ الخطوات الواعية لمزيد من الديمقراطية على مستوى العالم العربي بأكمله فلا مناص من هذا الأمر لمصلحة الجميع فلقد أصبح تحقيقه بمثابة حتمية تاريخية خاصة بعد أحداث أزمة الخليج العربي وما فجرته من جدليات حوارية وكذلك سقوط الشمولية والكتاتورية والقمعية في دول المعسكر الشرقي وما حدث أخيراً في الإتحاد السوفيتي (أو ما يسمى حالياً «بالكمونولث» وسرعة إنتقال المعلومات وتشابك وسائل الإعلام التي تتيح للجميع معرفة كافة مايدور في أى مكان من الكرة الأرضية الأمر الذي فجر ميكانيزماً دولياً خاصاً لايمكن الابتعاد عن بؤرة تأثيراته. فعلى صعيد هذا المحور الخاص بالفهم الحقيقي لطبيعة الحوار الديمقراطي وجب في الوقت الذي تنادى به القيادات التعليمية في العالم العربي بما يسمى بعملية ديمقراطية التعليم (أى جعله ديمقراطياً) أو مايسمى بـ (Democratization of Education) - وهو الخاص بإتاحة العدالة في الفرصة التعليمية - وجب أيضاً إدخال المكونات التعليمية الخاصة التي تتيح الفهم الحقيقي والصحيح للحوار الديمقراطي سياسياً واجتماعياً وبما يناسب طبيعة الخصوصية الثقافية العربية والإسلامية أى أنه وجب إعطاء نفس الاهتمام لنفس المفهوم الخاص بعملية ديمقراطية التعليم مع عكس ترتيب مفردات ذلك المفهوم ليكون «تعليم العملية الديمقراطية» (The Education of Democratization) وهنا وجب الأخذ بعين الاعتبار سلبيات الممارسات السابقة والحالية بالوطن العربي عند النظر للمستقبل كأسلوب تربوي علاجي حيوي وبالتالي وجب الالتزام بالآتى:

(أ) تأصيل المفاهيم الديمقراطية الحقيقية المختلفة في العملية التعليمية ذاتها.

(ب) معالجة ظاهرة إبتذال المسميات والأزدواجية بين القول والفعل بحيث تواكب هذه العملية التعليمية المزيد من محاولات التصدى للخارجين على الأسلوب الديمقراطي من ناحية وكذلك التصدى لهؤلاء الذين يسعون إلى تقنين الأساليب السلطوية الاستبدادية من خلال مسميات مختلفة تربط العملية الديمقراطية بالشكليات الروتينية المعقدة والتي تمثل أسوأ الصور القمعية الحديثة والتي لم ينتج عنها سوى مزيد من فقدان الطاقات وكذلك فقدان الشرعية ومزيد من تعميق تهميش الامة العربية بأكملها على المستوى الدولي.

ان هذه الأنماط السلطوية والاستبدادية هي في الواقع كانت ولا زالت وليدة ممارسات تعليمية تلقينية جامدة لم تسمح بالفرصة لظهور الملكات والمهارات وخلق المواطن المتطور الذي يستطيع أن يتعامل مع الآخرين بديناميكية صحية فيقبل النقد البناء ويستطيع القيام به، ويستطيع بالتالى التغيير والتكيف مع إيقاع العصر المذهل في سرعته. لقد أدت هذه الأنماط السلطوية الاستبدادية والتي تتنوع صور وجودها بالمجتمع العربى إلى كوارث قومية كبرى نعانى من أثارها إلى الآن وأبسطها هو ذلك الوقت الكبير المستهلك في تلك الاختلافات على البديهييات المتعلقة بأسس صناعة القرار السليم والمشاركة التنظيمية الفعالة والعمل بروح الفريق الواحد والحرص على معطيات الثقافة الجامعة التى تشكل اللبنة الأولى والحيوية لكل عمليات التنمية. ولعل هذا النمط الإستبدادي الذي يتجسد من خلال أليات تفاعلية متعددة ومتنوعة هو أهم الأسباب التي أدت إلي كوارث قومية كثيرة كان أخرها وأفدحها كارثة الخليج .١٩٩٠

الفصل الثاني: **« منظور لغويات التفاوض »**

ويوضح هذا الفصل الآتي :

(أ) ما المقصود بمنظور «لغويات التفاوض ومدى الحاجة إلى هذا المنظور خاصة إذا ما نظرنا بصفة عامة إلى الخريطة الأكاديمية الراهنة التي تتسم بإنعزال العلوم الإجتماعية، وكذلك إذا ما نظرنا إلى مدى الحاجة إلى النظرة الأكثر شمولية اللازمة للتعرف على الأطر المرجعية الواجب فهمها والتعامل معها في عملية فهم وتحليل النصوص وديناميكيات لغة الحوار التفاوضي في السياقين الإجتماعي والسياسي وتداخل هذه الأطر وتشابكها إلى حد بعيد بصفة عامة وفي هذه الأزمة بصفة خاصة.

(ب) فجوات البحث الحالية في علم العلاقات الدولية والعلوم السياسية كأكثر مجالات العلوم الإجتماعية إهتماماً بموضوع التفاوض ومدى الحاجة إلى منظور «لغويات التفاوض» .

(ج) مناهج «تحليل المضمون» من منظور تطور علم اللغويات .

(د) منظور «لغويات التفاوض» ومدارس تحليل المضمون (الخطاب) في العالم العربي والغربي.

(أ) ما المقصود بمنظور «لغويات التفاوض» ومدى الحاجة إليه ؟

المقصود بهذا المنظور هو إستخدام مفاهيم من علم اللغويات والعلوم السياسية والعلاقات الدولية بهدف دراسة ديناميكيات التفاعلات التفاوضية

عبر النصوص المتعددة والمتبادلة بين أطراف موقف تفاوض ما في سياق الأزمات أو في غير سياق الأزمات. وهذه النصوص (Texts) تتضمن «الأجندة الأصلية» لأطراف الموقف التفاوضي والتحركات الإستراتيجية والتكتيكية للأطراف وتفاعل وإصطدام هذه التحركات التي يتمخض عن عملية إصطدامها وتفاعلها عمليات إزاحة وإحلال أو إستمرارية مما يولد «نصوص ناتجة أخرى» هذه النصوص الناتجة عن تفاعلات تحركات أطراف التفاعل قد تكون ممثلة للأجندة الأصلية للطرف الذي إستطاع أن يفرض أجندته وقد تكون بمثابة «أجندة وسطية» تتضمن حلول وسط تشمل عناصر من «الأجندات المتصارعة» أو قد ينتج عن عملية تفاعل التحركات «نص مستجد (أجندة مستجدة)»، ويتم الإستعانة في التعرف على دقائق تفاعلات الأجندات بعدة وسائل تحليلية منها تحليل أثر فعل القول Speech Act Analysis على مستوى الخصوصية الثقافية أو عبر الثقافات وتحليل الموضوع Topic Analysis وتحليل التحركات الاستراتيجية والتكتيكية Strategic & Tactical Move Analysis ولقد استخدم الباحث كل هذه الأدوات التحليلية لتحليل أكثر من ثلاثين موقف تفاوضي في أطروحتة للدكتوراه ولكن ما أود أن أوضحه هنا أنه من الممكن أن تُستخدم أداة تحليل واحدة فقط أو اثنتين فقط أو الثلاثة معاً في تحليل عمليات التفاوض الإجتماعي والسياسي حسبما تقتضي الحاجة وطبيعة الموقف أو النص أو المادة موضوع التحليل. ولمزيد من التفاصيل الدقيقة بخصوص هذه التحليلات وعلاقة الترابط بينها (أنظر حسن - وجيه ١٩٨٩).

(ب) فجوات البحث الحالية في علم العلاقات الدولية والعلوم السياسية كأكثر مجالات العلوم الإجتماعية إهتماماً بموضوع التفاوض ومدي الحاجة إلي منظور «لغويات التفاوض» :

إذا ما بحثنا في تعريفات علم العلاقات الدولية لوجدنا أن من أهم الكلمات التي يتم تداولها في معظم التعريفات الخاصة بهذا العلم ومفاهيمه الأساسية

هي كلمات التفاعلات "Interactions" وأنماط التفاعلات "Patterns of Interactions"، وعملية التفاعلات "Patterns of Interactions"، إلخ (أنظر على سبيل المثال هولستي 1988 Holsti، آرون 1966 Aron، ودويتش 1978 Duetsch، فالحلاقات الدولية في واقعها الحقيقي ما هي إلا سوى تفاعلات بين الدول على كافة المستويات . واللغة في هذا السياق ليس مجرد تعبيرات أو مفردات تدرس كشيء منفصل وإنما طبقاً لمنظور «لغويات التفاوض» فهي وسيلة التفكير والتخطيط والتنفيذ المتعلق بتلك التفاعلات وسياقاتها المختلفة ومع ذلك فلقد كان دائما النظر إلى أمر اللغة على أنها أداة أوتوماتيكية ولم يتطرق إليها البحث بالتمعق المطلوب الذي يواكب دوره المركزي والتعقيدات المصاحبة للأداء اللغوي في سياق هذه التفاعلات الدولية أو الاجتماعية وهذا يمثل فجوة بحثية على خريطة أبحاث كل من العلوم السياسية وعلم العلاقات الدولية حيث لا يوجد سوى أعمال قليلة جداً من قبل علماء السياسة التي تناولت أمر علاقة اللغة بالممارسة السياسية ومن أمثلة هذه الأعمال كتاب مايكل شابيرو Shapiro اللغة والفهم السياسي، وإيدلمان Edelman في مجموعة كتبه السياسة كأفعال ترميزية، ١٩٧١، اللغة السياسية: الكلمات التي تنجح والسياسات التي تفشل، ١٩٧٧ ومن أحدث أعماله في هذا الصدد: العلاقة بين اللغة والسياسة الحقيقية، ١٩٨٥، إن هذه الأعمال والتي تعبر عن توجهات علماء السياسة في هذا الصدد نزعته في إستعراضها وتطرقها لموضوع تحليل اللغة في السياق السياسي على مناقشة الأمثلة اللغوية التي لم تتعد مستوى الكلمات والتعبيرات Word & phrasal levels وكذلك نزعته إلى الجانب النظري والفلسفي والإستقرائي Deductive Approach ولم تعالج هذا الموضوع إمبريقياً بتحليل البيانات وإستنتاج النتائج والتنبؤ بعد تحليل البيانات Inductive Approach (لمزيد من التفاصيل بخصوص البحث الإمبريقي في سياق اللغويات السياسية انظر حسن - وجيه ١٩٩١ .

إن أهمية إستخدام منظور «لغويات التفاوض» وهو الخاص بتحليل

ديناميكيات التفاعلات السياسية والاجتماعية كما أوردنا تعريفه يستمد شرعية خاصة من خلال آراء العديد من علماء السياسة والعلاقات الدولية وكذلك من خلال ارتباط ذلك بأمور حيوية تتعلق بفلسفة العلوم السياسية وعلم العلاقات الدولية وهنا تجدر بنا الإشارة إلى مقولات لبعض الباحثين البارزين فيقول أونوف Onuf في مقاله مابعد العلاقات الدولية، ١٩٨٧:

«إنه من ضمن مرفضه بعض المنظرين الاجتماعيين تلك المدرسة السائدة المسماة بالمدرسة الوضعية-الموضوعية positivist-objectivist ويصرون على إستبدالها بعكسها أي بما يسمى بد «الدور اللغوي أو المرحلة اللغوية Linguistic turn

ذلك التعبير الفلسفي الذي شاع من خلال كتابات رورتي Rorty (١٩٦٧). فإن مايسمى بالدور أو المرحلة اللغوية حين يتم تكوينه على نحو علمي دقيق كما هو الحال فيما يتعلق بالمدرسة الوضعية الموضوعية كمدرسة مخالفة في تكوينها، فإنه سيتم إستبدال العلاقات بالأشياء.. أي الكلمات بدلاً من الأشياء.. وبالمطبع فإن الكلمات ماهي إلا أشياء ولكن النقطة هي أن الكلمات لامعني أو مضمون لها دون علاقاتها بالكلمات الأخرى، إن الأمر الذي نعلمه هو أن العلاقات ذاتها متداخلة بصورة معقدة .. وليست الأشياء ..» (أونوف ١٩٨٧: ٣)

ويقول أدوارد عاذاز في مقاله بعنوان «الصراع وبنك البيانات المعروف بمشروع «كوبداب» والتي يعرض فيها دراساته الكمية لتحليل الأحداث.. Events Analysis.

«إن أحد الأبعاد التي يهتم بها علماء العلاقات الدولية هي تنمية وتطوير نظرية أساسية للغة السياسة ويتضمن ذلك سلوك التحدث وغيره من الأساليب الأخرى.. فكما تبني النظريات في مجال الإقتصاد على أساس تبادل العملات.. فإن

هذه النظرية للتفاعل السياسي من خلال اللغة ستكون مبنية على تبادل الرموز السياسية. إن تحقيق وجود مثل هذه النظرية يتخلله القيام بمهام أكثر تعقيداً من النظرية الاقتصادية.. حيث إن اللغة السياسية أو قواعد هذه الرموز لها أكثر تعقيداً من عملية تدفق وتبادل العملات والبضائع « Azar. (١٩٨٠:١٤٤)

ويقر وينستسن Weinstein في كتابه لغة المواطن والتبعات السياسية لإختيارات اللغة ، (١٩٨٣)، بأهمية أن يتنبه الباحثين في علم اللغويات إلى دراسة اللغة في السياق السياسي فيقول:

إن المناقشات الدائرة حول نظام المعلومات الدولي تعالج الرسائل دون أن تتعمق في الوسيلة الناقلة لهذه المعلومات وهي اللغة.. وفي مجال العلوم السياسية قام كارل دويتش (١٩٨٢) بمحاولة لربط السياسة بالإتصال وجعل هذا الأمر محل إهتمامه السياسي.. ومع ذلك فإن أمر معالجة اللغة علمياً وبقدر من التعمق لم يتعدي سوى جزء بسيط جداً من عمله.. ولكن بالقدر الكافي الذي يحرك الآخرين لأخذ هذه المهمة على عاتقهم لدراسة اللغة السياسية. وينتقد دويتش الباحثين وخاصة المتخصصين بعلم اللغويات بالتقاعس عن أداء هذه المهمة مشيراً إلي أن إهتمام الباحثين اللغويين مازال مقتصرأ على نواح خاصة بعلم اللغويات فقط مثل القواعد والصوتيات والوحدات الأساسية. والمستويات المختلفة للغة في حد ذاتها.. ويحثهم علي تناول أمر اللغة السياسية بالدراسة « (وينستين ١٩٨٣: ١٠).

وفي بحث غير منشور يهدف إلى تقييم دراسة أساليب المفاوضات الدولية الحالية يقول ديفيد بيل (Bell):

« إن المفاوضات من أكثر العمليات الذهنية تعقيداً.. وتحليل ما يحدث في المفاوضات يتضمن وجوب الإنتباه للغة وكذلك لنواحي الإتصال المتعددة الأخرى.. ومع ذلك فإننا نجد عدد صغير من نظريات المفاوضات يتعامل مع ذلك الأمر.. كذلك هناك قليل من البحث الإمبريقي يعالج هذا الأمر.. والحقيقة أن معظم الأبحاث الموجودة مشتقة من المدارس النظرية التي تخلو من أمر اللغة كعلم. والإهتمام بهذه الزاوية.. ونجد أن نظريات المفاوضات الحالية هي نظريات ترجع في أساسها إلى علم الرياضيات وخاصة لنظريات المباراة (Game Theory) (بيل ١٩٨٨ : ٢) .

(ج) مناهج تحليل المضمون من منظور تطور علم اللغويات

بما أن عملية تحليل الخطاب والمضمون ترتبط إرتباطاً كبيراً بمنهجية البحث في العلوم الإجتماعية وبمدارس البحث المختلفة وبما أن منظور «لغويات التفاوض» الذي قدمه الباحث في أطروحته للدكتوراه (حسن - وجيه ١٩٨٩) يمثل أحدث التوجهات الإزدواجية التي يشهدها علم اللغويات الحديث فإن إستعراض تطور علم اللغويات الحديث وعلاقة هذا التطور بنظرة اللغويين إلى تطور أو تطوير منهجية البحث وإنعكاس ذلك الأمر على عملية تحليل النصوص والمطارات يعد أمراً لازماً لتوضيح منطلقات منظور «لغويات التفاوض» ولتعريف المتخصصين في العلوم الإجتماعية الأخرى بهذه التطورات وماتمثله من تشابه وإختلاف مع العلوم الإجتماعية الأخرى. وتتلخص هذه التطورات في الآتي:

*** المدرسة التاريخية (Historicism):

وهذه المدرسة تمثل أولى مراحل دراسة ظاهرة اللغة بطريقة علمية ولقد مهدت هذه المدرسة لظهور المدرسة الثانية التركيبية Structuralism. وكان من رواد المدرسة التاريخية عالم اللغويات أوتو جيسبرسبي (Otto Jespersen) الذي ذكر في كتابه الهام اللغة، طبيعتها، تطورها وأصولها، (١٩١٢) إن الصفة الرئيسية المميزة للغة كظاهرة هي الصفة التاريخية وهذه الصفة تمكن الباحث من تعقب تاريخ اللغات ليوضح أسباب وعوامل إستمرارها، تطورها أو إنقطاعها وموتها وكذلك تأثيراتها المتبادلة مع اللغات الأخرى. وهذا التوجه يتيح لنا تفسير مجرى تطور اللغة من الماضي إلى الحاضر. فمن منطلق هذه المدرسة كان الإهتمام في تحليل المضمون بقضايا دراسة الأساليب اللغوية المميزة لعصر ما والتغير الذي لحق بها من خلال فحص الوثائق التاريخية.

*** المدرسة التركيبية (Structuralism) :

جاءت هذه المدرسة للوجود كرد فعل للمدرسة التاريخية وكان من روادها دي سوسير (De Saussure) والذي ذهب إلى القول بأن وصف اللغة ليس من الضرورة وأن يكون في شكل تعاقبي وتاريخي (Diachronic) «رأسياً» إنما يجب أن يكون وصفها في الأساس حالي «متزامناً» (Synchronic) «عرضياً» وهنا يكون الوصف تركيبياً (Structural) قبل أن يكون سببياً (Causal) كما في المدرسة التاريخية. وهذا التوجه يتيح أيضاً معالجة السؤال الخاص بمجري تطور اللغة إلي أن وصلت إلي ماهي عليه الآن؟ أي أن الدراسة التزامنية للغة تمثل دراسة جملة من الظواهر اللغوية في لحظة محددة من تاريخ اللغة بمعزل عن تطورها أي «الآن» فهذه المدرسة تعني بالوصف التركيبى للغة ما وعلاقة ذلك بمفاهيم العالمية والخصوصية الثقافية (Universalism & Relativism). هذا ولا تنكر هذه المدرسة صلاحية المدرسة التاريخية والتي

ما زالت قائمة إلى الآن فيما يعرف بفرع علم اللغويات التاريخيه (Historical Linguistics) لمزيد من التفاصيل أنظر لليونز (Lyons، ١٩٨١).

ولقد تأثرت هذه المدرسة (التركيبية) بالمدرسة السلوكية (Behavioral School) وركزت في معرض تطورها على التوجه الكمي الإستقرائي (Quantative Inductive Approach) الذي يبدأ بملاحظة وتحليل البيانات (DATA) ثم تكوين الإفتراضية فالنظرية. وكان ذلك بتحليل كم كبير من البيانات وعلى مستوي وحدات لغوية أساسية صغيرة مثل الفونيمات (Phonemes) «أصغر وحدة صوتية» والمورفيمات (Morphemes) «أصغر وحدة صرفية كذلك شهد المجال أسلوباً يماثل الأساليب المنتهجة في العلوم الطبيعية من خلال الدراسات الكمية الإحصائية وكتابة القوانين والمعادلات وما إلى ذلك وشاعت في ذلك الوقت دراسات مقارنات الأنظمة النحوية والصوتية للغات العالم المختلفة بفرض تعلم اللغات وإتقانها في أسرع وقت خاصة أثناء فترة الحرب العالمية الثانية. ولمزيد من التفصيل بخصوص دراسة التحليل المقارن (Contrastive Analyses) أنظر لادو (Lado) (١٩٥٧)، (١٩٦٤).

لقد حددت هذه المدرسة نطاق موضوع علم اللغويات بأنه فقط اللغة مستهدفة بذاتها ولذاتها وأن دراسة اللغة يجب وأن تكون بمعزل عن شروط إنتاجها الإجتماعية والتاريخية ومن أهم مدارس تحليل المضمون التي تمخضت عن هذه المدرسة هو منهج إحصاء المفردات حيث يقوم الباحث بحصر كمي شامل لمفردات النص دون إفتراضات أو أغراض مسبقة ويكون ذلك بإستخدام حاسبات آلية أو بدونها ويتم هنا ترتيب الأسماء والصفات والأفعال والحروف في جداول لتستخدم في دراسة لاحقة. لقد كان مفهوم الباحثين في علم اللغويات في هذه الفترة يذهب إلى مساواة مفهوم الإمبريقية (Empiricism) بمفهوم العلم (Science) من منطلق أن الحقائق المحسوسة والملموسة والمرئية من خلال تحليل البيانات هي فقط التي تمثل المنهج العلمي

لدراسة اللغة. لقد اعتقد مُنظري هذه المدرسة أن أمر دراسة اللغة كدراسة علم المنطق أو الفيزياء. واستمر هذا النهج إلى أن قدم نوم تشومسكي (Chomsky) في مستهل الستينات تفصيلاً لهذه المدرسة (التركيبية) السائدة وقدم نظريته الخاصة والتي عرفت بالنظرية النحوية التوليدية التحويلية عام ١٩٦٥ (Transforamntional Generative Syntax).

**** المدرسة التوليدية (Generativism or Innatism):**

لقد أحدثت نظرية تشومسكي في علم اللغويات تغييراً جذرياً في أمر تحليل اللغة فنظريته إستدلالية (Deductive) بدلاً من أن تكون إستقرائية (Inductive) كسابقاتها وهذا يفيد بأن الإفتراضيات والنظريات ليس من الشرط أن تكون نتيجة تحليل البيانات ولكن من خيال العالم ثم تأتي بعد ذلك إختبارات هذه الإفتراضيات والنظريات. فمدرسة تشومسكي تذهب إلى القول بأن البدء بتحليل كم كبير من البيانات كما في الطريقة الإستقرائية ليس هو الأمر الذي يجعل المجال علمياً أم ل (Sine que non)

وبذلك فإنه في الوقت الذي يدعونا فيه التوجه الأمبريقي إلى أن أراءنا قد تكون خاطئة وليس علينا إلا أن نثبتها بالدليل. أي نبدأ من منطلق التعبير الذي يقول «قد أكون مخطئاً» (I may be worng) فإن المذهب العقلاني (أو مذهب المنطق المقبول Mentalism or Rationalism الذي عبرت عنه مدرسة نوم تشومسكي فهو يبدأ بالتعبير القائل «أنا أعرف الحقيقة» (I know the truth) «حيث أنه لا توجد في بعض الظواهر اللغوية تلك النوعية التي يقال عنها «أنها ملموسة» وتتعلق بعمليات ذهنية معقدة تسبب عملية الإنتاج اللغوي.

ولقد سادت مدرسة نوم تشومسكي إلى أواخر الستينات وأحدثت جدلاً كبيراً ولكنها في نفس الوقت أحدثت ثورة في علم اللغويات وأوضحت بشكل إتسم بالتعقيد والدقة العلمية العلاقة بين النطاق الإدراكي واللغة الأمر الذي

جعل تشومسكي يؤكد على أن دراسة اللغة هي دراسة العقل الإنساني، وكمزيد من التفصيل إرجع إلي كتاب تشومسكي **العقل واللغة ١٩٦٨**، ولقد كان من أهم ماتركته نظرية تشومسكي من أمور حيوية لم يوضحها البحث الإمبريقي الذي كان سائداً قبلها الآتي:

– أن اللغة أكثر من مستوي تركيبى وأن هناك مستوي سطحي (Surface structure) وآخر عميق (Deep structure) وأن العلاقة بين المستويين تتسم بدرجات مختلفة من التعقيد. ولقد أوضحت النظرية قواعد الربط بين المستويين بدقة وصرامة علمية كبيرة.

– أن هناك قواعد للتحويل من تركيب لآخر.

– أن معرفة القواعد تختلف عن عملية إستخدامها وهذا ما أوضحتها النظرية من خلال تعبيرى «الكفاءة و الأداء» (Competence & Performance) وأن إهتمام البحث اللغوي يجب أن يركز فقط علي «الكفاءة» لوضع تصور علمي مثالي يصف أنظمة القواعد على مستوى لغات العالم (الامر الذي كان محل نقد شديد من قبل المدرسة الرئيسية الثالثة التي سوف يلي ذكرها والتي تركز علي مفهوم «الأداء في المقام الأول»).

– أن الإنتاج اللغوي والإبداعية في إستخدامات اللغة تحكمه قواعد أوضحتها النظرية.

لقد كان لهذه النظرية أثار كبيرة علي فكر الباحثين اللغويين إلي الآن وتمخضت عنها نظريات أخرى ولكنها ظلت تحت إطارها العام. كذلك فلقد تأثرت بهذه النظرية عدة أنظمة أكاديمية أخرى علي سبيل المثال مجال «الذكاء الصناعي» (Art Ficial Intelligence) في علم الكمبيوتر. وكذلك تأثرت بهذه النظرية الدراسات المتمخضة عن العلم الإزدواجي المعروف بعلم اللغويات السيكلوجيه (Psycholinguistics) خاصة تلك الدراسات التي ركزت علي موضوع إكتساب اللغة (Language Acquisition). ولقد تمخض عن هذه

التطورات بالإضافة إلى تحليل المفردات المذكورة سابقاً ما عُرف بطريقة تحليل شبكة المفردات المصاحبة لمفهوم مركزي ما والتي تستند إلى مفهوم ترابط الكلمات collocation وهو المفهوم الذي قدمه عالم اللغويات فيرث (Firth) وطبقاً لهذه الطريقة يتم إختيار مفهوم أو مجموعة مفاهيم في النص المراد تحليله وتحديد «شبكة الترابط» الخاصة به أو بهدف الكشف عن وعي المتحدث من خلال العلاقات المتبادلة بين المفهوم المركزي وحقل ترابطه اللغوي. وهذه الطريقة تستهدف الكشف عن شبكة العلاقات المفهومية في نص ما وتكون علاقة الترابط هي هذه الشبكة من خلال المفاهيم المتوافقة أو المتعارضة (Synonyms & Antonyms) مع المفهوم المركزي الذي تم إختياره وللتطبيقات ذات العلاقة بهذه الطريقة على الصعيد العربي انظر إلى كتابي التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر (مارلين نصر ١٩٨١) والخطاب الساداتي (عبد العليم محمد ١٩٩٠).

كذلك كانت طريقة تحليل المضمون المشتقة من مدرسة تشومسكي وزيلج هاريس من قبله هي تقطيع النص وإجراء تحويلات نحوية علي الجمل بغية ردها إلى بنيتها المبسطة ليسهل مقارنتها وتصنيفها ضمن فئات متعادلة نحوياً وتصلح هذه الطريقة لتحليل النصوص القصيرة.

ثم جاءت الفترة الرئيسية الثالثة، والتي نحن بصددھا الآن، في تطور المنهجية في علم اللغويات لتشهد توجه ينتقل بعلم اللغويات من الإطار الذي وضعه تشومسكي والذي يركز في تحليلاته علي التركيبات النحوية أساساً (Syntactic Structures) ومن منطلق «إستدلالي» إلى إطار معالجة مستويات اللغة المختلفة من تركيبات معاني (Semantic Level) وتركيبات نحوية (Synactic Level) وتركيبات فونولوجية «صوتية وظيفية من نبرات صوت إلى آخره» (Phonolgoical Level) منقلة بذلك نحو معالجة أكبر في نطاق معالجتها تصل إلى مستوى المطارحة بالكامل (Discourse Level)

وكان هذا معناه التعامل مع وحدات لغوية أكبر من الجمل والفقرات. ولقد شاهد علم اللغويات الاجتماعية دراسات تراكمية كبيرة منذ السبعينات إلى الآن في إطار هذه المدرسة الرئيسية الثالثة وكانت الدراسات طبقاً لهذه المدرسة على مستوى النص دون دراسة للأطر المرجعية خارجه ، أي النظر إلى النص كنسق تعبيري مغلوق على نفسه وهذا ما عُرِفَ بالـ Glossomatics إلى أن بدأت في الظهور مدرسة تحليل المطارحات في إطار علم اللغويات الاجتماعي وبدأ الاهتمام بعلم التداول Pragmatic ولقد بدأت تظهر توجهات مختلفة في إطار المدرسة الثالثة إلا أن هذه التوجهات قد أجمعت على نقد المدرستين السابقتين وكان من أعلام هذه المدرسة الثالثة والتي إهتمت بتحليل واقع المطارحات ولیم لاف (Labov)، روجر شاي (Shuy)، كمبرز (Gumperz)، شيف (Chafe)، وتنين (Tannen).

ولقد جمعت هذه المدرسة بين الإستراتيجية الإستقرائية والإستدلالية (Induction & Deduction) ومنطلق بدء البحث طبقاً لهذه الإستراتيجية هو تجنب الأمثلة الموضوعة أو المتصورة وهو ما قد يسمى بأمثلة الكرسي الهزاز (Rocking chair examples) «فعلى سبيل المثال بدأ لاف وفانشيل (Labov & Fanshel ١٩٧٧، بتحليل وحدات «أثر أفعال القول» (Speech Acts) في سياق المقابلات العلاجية (Therapeutic interviews) بين الأطباء والمرضى، وكانت نتائج هذا التحليل هامة فيما يتعلق بتركيبة ووظائف «أثر أفعال القول» وطرق تحليل هذه الوحدات والسبب يرجع إلى تحليل هذه الوحدات في سياق طبيعي وحقيقي وليس من خلال الأمثلة المتصورة. فلم يبدأ لاف وفانشيل «على سبيل المثال» بفكرة أن معلوماتنا عن نظرية «أثر أفعال القول» (Speech Act Theory) قد تتقدم من خلال فحص وتحليل الإستخدام الحقيقي (الطبيعي) للغة ولكنهما قد بدأا بالمشكلة الخاصة بكيفية إسهام عملية التحليل اللغوي في فهم أعمق لطبيعة المقابلة العلاجية بين الأطباء والمرضى. إن هذا توجه

الدائري (Abduction) لقريب الصلة بمفهوم التركيبيّة الإجتماعية (Social constructivism) الذي يستند بدوره علي أن الأشياء (objects) لا توجد فقط في العقل (Innatism) أو في العالم (Empiricism) ولكنها علي العكس من ذلك تتكون من خلال الأفعال المتعمدة للوعي. أي أن العملية تراكمية وهي لا تتركز في الفرد كما كما كان شائعاً ولكن هذه العملية تتركز في تركيبة التفاعل الإجتماعي أساساً والتي يجب وأن تدرس من خلال تفاعل الناس وليس من خلال الأمثلة المتصورة من عقل الإنسان (أنظر توميك وشاي ١٩٨٧ Tomic & Shuy) ، و (ميهان ١٩٨٢، Mehan).

والخطوات المنهجية التي تتم طبقاً لهذه الإستراتيجية الدائرية Abductive strategy هي:

- ١- البداية بمحاولة لفهم مبدئي لطبيعة موضوع البحث (بناء علي الخبرة)، ودون الإرتباط المسبق بنظرية أو نموذج نظري معين للتحليل.
- ٢- جمع البيانات المتعلقة بالبحث، وأخذ عينة منها للتحليل التقييمي (Judgemental / purposive sampling) وينبغي محاولة الحصول علي تلك المادة التي تتسم بالثراء وبالكشف عن موضوع البحث ثم يكون التحليل بعد ذلك من خلال أنسب النماذج النظرية وأدوات التحليل الملائمة لموضوع البحث.
- ٣- وضع الإفتراضية والمفاهيم النظرية المتعلقة بها.
- ٤- تحليل مزيد من البيانات للتأكد من صحة الإفتراضية وكذلك إختيار مزيد من البيانات التي تساعد عل إبراز المفاهيم النظرية المنصوص عليها. وهذا ما عرف بمفهوم (التركيز المتنامي) (Progressive Focusing) «أنظر Stubbs ١٩٨٣». وهذا المفهوم يسمح بإستقبال المعلومات الجديدة التي تظهر من خلال ما يظهر من إشكاليات أثناء عملية البحث وهذا المفهوم هو ما أسماه Labov بمفهوم تغذية البيانات (Enriching the data)
- ٥- يتم تحليل البيانات من أكثر من منظور فمثلاً بعد تحليل التركيبات

اللغوية المختلفة والمتعددة المستويات يتم تحليل الأطر المرجعية وتتمثل في الإشارة إلى سياقات النصوص الدقيقة داخل الإطار الثقافي أو إطار عبر الثقافات (Inter & Crosscultural context)

وقد تتضمن هذه الخطوة الانتقال من التحليلات الكمية إلى الكيفية ومن الكيفية إلى الكمية وهو ما أسماه Stubbs بالحركة المثلثية Triangulation وهذه الخطوة تتعلق بما عُرف تقليدياً بأسم المبدأ التأكيدي، verificalional principle

(د) منظور «لغويات التفاوض» ومدارس تحليل الخطاب (المضمون) في العالم العربي والغربي:

بالإضافة إلى إنتهاج منظور «لغويات التفاوض» لخطوات البحث الإمبريقي الخمس المشار إليها آنفاً فإن هذا المنظور له خصائص توضح علاقته بمدارس «تحليل المضمون / الخطاب الأخرى في العالم العربي والغربي وتتعلم بالنقاط التالية:

* حول المحتوى الظاهر والمحتوى الكامن:

بينما تتمحور غالبية دراسات الخطاب في العلوم الإجتماعية المختلفة في العالم العربي والغربي إلى الآن حول تعريف بيرلسون بأنه «أسلوب للبحث يهدف إلى الوصف الموضوعي المنظم والكمي للمحتوى الظاهر للإتصال» (برلسون ١٩٥٢)

فإن تحليل الخطاب (المطارات) طبقاً لمنظور «لغويات التفاوض» يتسم بالتعامل مع المعاني الكامنة بالنصوص Texts وعبر النصوص (التناسق) Intertextuality

كذلك فإن مجال الإهتمام يكمن في العمليات الوظيفية التي تتخلل المقولة المكتوبة أو المنطوقة أو ما يسمى بـ Discours processes.

**** حول مفهوم عملية الإتصال :**

يشترك «منظور لغويات التفاوض» مع مدارس تحليل المضمون في أن المقولة التي قالها عالم السياسة المعروف Lasswell ومفادها «أن عملية الإتصال في مجملها هي من قال ماذا، وعن أي شيء، وكيف قاله، وما الآثار التي تترتب على ذلك». تكاد تحيط بالمباحث الكبرى في مجال تحليل مضمون ووسائل الإتصال الجمعي» كما ذهب إلى ذلك السيد يسين ومجموعة الباحثين (١٩٨٢)، إلا أن تركيز الباحثين في مجال تحليل المضمون على الوصف الكمي للمعلومات الخاصة بأنواع القيم المذكورة في نص ما لفاعل من الفواعل لا يوضح ديناميكيات التفاعل بين هذه القيم عند توظيفها من قبل المتحاورين عبر النصوص والأطر المرجعية لها في السياقات المختلفة وهذا الأمر المفتقد يعتبر من أهم المباحث التي يعني بمعالجتها منظور «لغويات التفاوض» الذي يعني بدراسة كيفية إحداث ناتج إتصالي (تفاوضي) ما ويبحث في ظواهر تركيبية وإثنائية (Ethnic) تتعلق بكيفية تصنيف الفواعل actors (على المستوى الاجتماعي والسياسي) للواقع وعلاقة ذلك بإدراكهم للأحداث ولطبيعة موقف التفاعل والتعرف على شبكة إستدعاء المفاهيم؛ في عملية التفاعل . من هذا المنطلق فإن منظور «لغويات التفاوض» يعني أيضاً بتقديم تعريف لتحليل المضمون يتمثل أساساً في كيفية توظيف عناصر «القدرة» power في عملية التواصل لتحقيق هدف تفاوضي ما في موقف تفاوضي ما وهذا الأمر يتعلق بفهم النصوص وعلاقات الإزاحة والإستبدال بين النصوص وديناميكيات الحوار المتعلقة بفهم هذه النصوص (الأحداث). وعناصر هذا التعريف مستمدة من الدراسات المتعلقة بمفهوم «كفاءة التواصل» Communicative competence في علم اللغويات الاجتماعي. ودراسات القدرة في العلوم السياسية والعلاقات الدولية. وأهم هذه التعريفات الخاصة بكفاءة التواصل كما ذهب إليه أحد خبراء علم اللغويات الاجتماعية هو تعريف بيكر الذي ينص على:

« إن فهم العمق الحقيقي لمعاني الأحداث يتمثل في فهم كيفية تراكم النصوص السابقة . فهذه النصوص السابقة تتسم بالخصوصية المحددة ويتم إكتسابها وإستيعابها من مصادر معينة ومحددة ومن خصوصية هذه النصوص تبرز عموميات الأحكام والتي تستند إلى إعادة صياغة تلك النصوص الخاصة لتناسب سياق حوارى جديد ما، وإن كفاءة التواصل للمتحاورين تتمثل في عمليات البحث عن وتداول تلك النصوص من خلال الذاكرة التي تمتليء بتلك النصوص السابقة وتصنفها بطريقة تختلف من متحاور إلى آخر». (بيكر ١٩٨٤: ١١)

كذلك إذا فإن عملية «تحليل المضمون» طبقاً لمنظور «لغويات التفاوض» تستلزم دراسة القدرة السلوكية للمتحاورين وهي قدرة المتحاور على التعامل مع النصوص وديناميكيات لغة الحوار لتحقيق هدف تفاوضى ما.

وهنا إستلزم الأمر تحديد تصور دقيق لعناصر كفاءة التواصل من خلال المفاهيم المتعلقة «بالقدرة» (Power) وإستلزم الأمر كذلك النظر إلى أدبيات «القدرة» في العلوم السياسية وعلم العلاقات الدولية وتكوين مفاهيم مستمدة من هذه العلوم وعلم اللغويات مجتمعين. ويعتبر مصطلح «القدرة» في العلوم السياسية والعلاقات الدولية أهم مصطلح تفاوضى فهو مصطلح مركزي يدور في فلكه عدة مصطلحات تفاوضية أخرى، وهذا المفهوم هو بطبيعته من أكثر المفاهيم التي يتناولها علماء السياسة والعلاقات الدولية بالتحليل والبحث إلى الحد الذي دعا هارولد لاسويل Lasswell إلى أن يقول «حينما نتحدث عن علم السياسة إنما نحن بصدد الحديث عن علم «القدرة»». (لاسويل ١٩٤٩: ٨).

وإلى الآن مازال علماء العلاقات الدولية والعلوم السياسية يقدمون تعريفاتهم المتعددة لمصطلح «القدرة» ومعظمها يركز حول فهم «القدرة» على كونها مجرد مجموع تلك المصادر الملموسة (Aggregate Resources) التي تمتلكها دولة ما، ولكن الأمر من منظور «لغويات التفاوض» يعني بتعريف عناصر ومهارات تلك «القدرة» السلوكية والذهنية التي يكون الهدف من تنميتها هو تعظيم المنافع وتحقيق الأهداف الإستراتيجية من خلال كفاءة التواصل (communicative competence)

فتاريخ العلاقات الدولية قد أثبت أن الكفاءة العالية في توظيف القدرة السلوكية Behavioural power قد مكنت لدول صغيرة من أن تدير الصراع بكفاءة مع دول عظمى تفوقها من حيث «القدرة المادية الملموسة» بطريقة حسمت ناتج الصراع لصالح الأهداف الإستراتيجية العليا لهذه الدول الصغيرة علي سبيل المثال أنظر حالة المواقف التفاوضية بين بنما والولايات المتحدة بخصوص قناة بنما (حبيب، ١٩٨٨). وإدارة مصر للصراع في أزمة السويس ١٩٥٦ (انظر حسن وجيه، ١٩٨٩).

ولقد حاول العراق ولكن بمقارنات خاطئة وإدراك مُضلل من خلال إدارته لأزمة الخليج وتحركاته المختلفة بها إثبات تلك المقولة التي تقر بإمكانية تحقيق دولة صغيرة لأهدافها الإستراتيجية العليا بعد خوض جولات صراعية مع دول كبرى، وبالتالي كانت النتيجة هي ماحدث بعد إنتهاء الأزمة.

ولقد حاول البعض أثناء تفاعلات الأزمة تشبيه ما فعله العراق بإدارة مصر للصراع مع القوتين العظمتين في أزمة السويس ١٩٥٦ وذلك بتشبيه إحتلال الكويت بتأميم قناة السويس ولكن تناس هؤلاء هذا الإختلاف الكبير للغاية لطبيعة الحدثين ولسياقات التفاعلات في أزمة السويس ١٩٥٦ وأزمة الخليج ١٩٩٠.

لقد تضمن تعريف «القدرة» المستمد من علوم اللغويات والعلاقات الدولية والعلوم السياسية على عدة كفاءات (قدرات) مطلوبة للتواصل الفعال communicative competencies داخل وعبر الثقافات وتمثل هذه العناصر التقنيات الرئيسية اللازمة لتجاوز ما لتحقيق أهدافه التفاوضية بنجاح في السياقين السياسي والإجتماعي وكذلك فهي تمثل العناصر والمحدثات الأساسية للفهم الموضوعي للحوارات ولنص ما ولعمليات تفاعل النصوص Intertextuality (التناص) وميكانزماتها. وبالتالي يعتبر فقدان أي عنصر من عناصر هذه «القدرات» أو «الكفاءات» لدي متحاور ما بمثابة تحديد للخلل في أداء ذلك المتحاور. ويوضح الجدول التالي «جدول رقم (١)» هذه الكفاءات

(القدرات) التواصلية (ولمزيد من التفاصيل بخصوصها أنظر حسن - وجيه
١٩٨٩).

جدول رقم (١) كفاءات (قدرات) التواصل من منظور لغويات التفاوض

عناصر كفاءة الحوار اللغوية الأساسية Basic Linguistic Competence	عناصر كفاءة الحوار اللغوية الاجتماعية والعرقية (داخل وعبر الثقافات) Socio / Ethnolinguistic Competence
<p>- إتقان قواعد اللغة المستخدمة في التفاوض على مستوياتها النحوية والدلالية .</p> <p>- معرفة قيمة العناصر اللغوية المختلفة واستخداماتها وهذا يتضمن فهم طبيعة معاني المفردات في إختلاف المقامات أو السياقات وكذلك المعني الإصطلاحي - كان يتقن التفاوض معرفة المصطلح القانوني أو الدبلوماسي المتعلق بالموقف التفاوضي .</p>	<p>- معرفة الخلفية السياسية والاجتماعية للمفاوض -</p> <p>- معرفة المتحاور لما يحيط بموضوع التفاوض من موضوعات متعلقة به .</p> <p>- معرفة قيمة أثر أفعال القول Speech Acts ودرجة هدفها أو خفتها في السياق التفاوضي سواء داخل إطار المجموعة الثقافية الواحدة أو عبر الثقافات ،</p> <p>- إعتبار الفروق في معايير الحوار الموضوعية بين ثقافة وأخرى .. التعرف على معايير جراسيس Grice Maxims وهي تتضمن :</p> <p>- مقولة الكمية</p> <p>- مقولة الكيفية</p> <p>- مقولة الإتساق</p>

<p>عناصر كفاءة الحوار اللغوية الدبلوماسية Diplomatic Linguistic Competence</p>	<p>عناصر كفاءة الحوار اللغوية النفسية Psycholinguistic Competence</p>
<p>— القدرة السريعة على توظيف أدوات إحتواء الاثر الدبلوماسي السيئ (اجتماعياً أو سياسياً) Diplomatic Damage Control — معرفة المستويات المتعددة للغة الدبلوماسية وهذا يتضمن على سبيل المثال لا الحصر القدرة على أداء العمليات التفاوضية الآتية :</p> <p>١ — الإقناع ، وسلامة وإتساق الحجج ، وبناء التحالف . Coalition Building ٢ — التجنب عند اللزوم Evasion (عدم السقوط في فخاخ الخصم) وطرق الإستدراج المختلفة . ٤ — فهم الفرق بين التساوم والتفاوض ويتضمن الفروق بين توضيح الرسائل Explicitness of Messages وبين إرسال رسائل تحتل إنكارها مستقبلياً Deniability of Messages ٥ — الإستخدام الموزون لإستراتيجيات التهديد وفتح الباب للمهادنة والموائمة بينهما لتحقيق الهدف التفاوضي . إلى آخره .</p>	<p>— القدرة السريعة على فهم طبيعة الموقف وأولوياته . — معرفة الخلفية النفسية للمفاوض الآخر والتوظيف الفوري لأنسب الإستراتيجيات للتعامل معه ومع الموقف وهذا يتضمن :</p> <p>إتقان أسلوب تحليل الدور Context Role ويعني بقياس التوقعات التي يكونها الأفراد تجاه السلوك المرتبط بالدور الذي يؤديه أو الذي يؤديه الآخرون وإدراك هذا الدور Perception of the Role Behaviour وصراع الدور Role Conflict وهما يمكن للمفاوض أن يرسم خريطة ذهنية تعبر عن نسق الأدوار Role System للكشف عن أسلوب تفاعل الشخصيات الذين يشغلون أدوار مقابلة وتوقعاتهم الكامنة إذاً بعضهم البعض .</p>

لمزيد من التفاصيل بخصوص الأبحاث التي تفصل عناصر الجدول رقم (١) وهي عناصر كفاءات «قدرات» التواصل من منظور «لغويات التفاوض» (أظر حسن وجيه، ١٩٨٩).

إن مانريد الإستدلال عليه في سياق الدراسة المقدمة هنا هو أن مصدر «خطاب الفاولات» الذي يهيمن على الكثير من تفاعلاتنا على المستويين الإجتماعي والسياسي هو إنتهاكه لمعايير قدرات التواصل المشار إليها بنسبة أو بأخرى بالجدول رقم (١).

**** حول منهجية منظور لغويات التفاوض**

بينما قد تشترك مجموعة من مدارس تحليل «المضمون» ومنظور «لغويات التفاوض» في إنتهاج بعض الخطوات الإجرائية الخمسة كما سبق الإشارة إليها إلا أن هناك إختلافين منهجين أساسيين بين منظور «لغويات التفاوض» ومدارس تحليل المضمون أو ماعرف عند بعض الباحثين بتحليل الخطاب وهما يتعلقان بالنقاط التالية:

(١) دراسات مقاييس العلاقة والنماذج التفاعلية:

إن من أهم منطلقات منظور «لغويات التفاوض» هو المحاولة العلمية لوصف ظواهر وكوامن الأداء اللغوي في السياقات المختلفة دون الإرتباط المسبق بنظرية أو تحليل بعينها خاصة تلك المستمدة من العلوم الطبيعية كما هو سائد في الكثير من دراسات العلوم الإجتماعية بما فيها علم اللغويات وذلك من منطلق أن البحث العلمي وعملية التنظير الخاصة بالعلوم الإجتماعية وعلي وجه الخصوص المتعلقة بتحليل الأداء اللغوي تحتاج إلي السيطرة علي عوامل أصعب وأعقد من العوامل التي تتم السيطرة عليها معيلاً في العلوم الطبيعية.

فعلى سبيل المثال نجحت دراسات مقاييس العلاقة Correlative Studies في بعض السياقات وفشلت في الكشف عن طبيعة الظاهرة محل الدراسة في سياقات أخرى فدراسات مقاييس العلاقة المنقولة عن العلوم الطبيعية هي تلك

الدراسات التي يمكن من خلالها قياس درجة العلاقة بين متغيرين بمعامل الارتباط الذي يرمز له برمز وتعطي له قيمة رياضية تبين درجة هذه العلاقة ويكون موجبا بين متغيرين (Dependent & Independent Variable) بمعنى أنه إذا تغير أحدهما في اتجاه معين يتغير الآخر في نفس الاتجاه مثلاً.

لقد كان من بين الذين استخدموا دراسات مقاييس العلاقة بنجاح في علم اللغويات الاجتماعي (Sociolinguistics) وليم لاف (Labov) لتحديد العلاقة بين المتحدثين وأعمارهم وأوضاعهم الاجتماعية وذكائهم واختلاف أساليب تناولهم في أدائهم اللغوي والتي لم تكن واضحة بطريقة علمية من قبل والتي كان من أثارها إعادة تقييم نظرية عالم الاجتماع (Bernestien) المعروفة بنظرية «العجز الاجتماعي» (Social Deficit Theory) والتي كان لها صدي وأثر كبير في إيقاظ الآمال في أمريكا وأوروبا في حل مشاكل الصراع الإقتصادي الاجتماعي بين الطبقات من خلال تدخل الدولة في عمليات التعايش الاجتماعي (socialization) لتحويل الفقراء الى متعلمين يعتمد عليهم لمواكبه تحول الاقتصاد من اليد العاملة الى الاعتماد على الخدمات و بالتالي على الاداء اللغوي الى حد بعيد و التي انفقت الولايات المتحدة اموال طائلة عليها في عهد الرئيس كينيدي في الستينات (انظر Dittmar ١٩٧٦). الا ان مدرسه تحليل المطارحات في علم اللغويات الاجتماعي والتي يستند الي نتائجها منظور «لغويات التفاوض». تنتقد اساءة تطبيق هذه النوعيه من الدراسات القياسيه التي شاع استعمالها وسوء استعمالها في العلوم الاجتماعيه و قدمت البديل الذي عرف بالنماذج التفاعلية (Interactionist Models) انظر (Gumperz 1977, 1970) وكان ذلك من منطلق نواحي القصور الناتجه من استخدام الدراسات القياسيه التي لا تقدم تفسيراً دقيقاً لاسباب اختلاف السلوكيات حيث انها لا تشرح لماذا تختلف سلوكيات اساليب التناول اللغويه من مجتمع لآخر؛ كذلك فان دراسات القياس (Correlative Studies) لا تمكننا من فهم المعايير الاجتماعيه والقواعد

الخفيه التى تنظم عمليات السلوك اللغوي أثناء التفاعل بين الأفراد أو تفسير ادراك هؤلاء الأفراد لطبيعة العلاقات الاجتماعية المختلفة كما أشرنا إلى ذلك من قبل . ومن ثم انصرف العديد من الباحثين إلى انتهاج مناهج النماذخ التفاعليه وتراكمت الدراسات فى هذا الاتجاه علم اللغة الاجتماعى . انظر (١٩٧٧) Gumperz (١٩٨٤ ، ١٩٨٦ Tannen) ، وكذلك تستخدم هذه النماذخ فى دراسات تحليل المطارحات القضائية (انظر على سبيل المثال Shuy (١٩٨١ ، ١٩٨٧) Walke (١٩٨٧) .

(ب) منظور « لغويات التفاوض » وما عرف بمدرسه تحليل الخطاب فى العالم العربى :

بينما يعالج منظور « لغويات التفاوض » تحليل المضمون فى إطار المنظور الدائرى (Abductive Approach) المشار إليه فى استعراض تطورات توجهات البحث الامبريقى فى علم اللغويات فإن معظم مدارس تحليل المضمون كالتى عرفت بمدرسة تحليل الخطاب السياسى ومن أعلامها الفيلسوف الفرنسى ميشيل فوكو (Michael Facuault) وروتى (Rorty) وهاك ديريدا Jack Derrida تقترح دراسة الايديولوجية من خلال الخطاب السياسى . وفى العالم العربى نجد أن أهم الأعمال التى مثلت هذه النوعية من المدارس الفلسفية هي أعمال الفيلسوف المغربى محمد عابد الجابرى الذى قدم عدة مؤلفات منها تحليل الخطاب العربى المعاصر (١٩٨٥) ، وتكوين العقل العربى (١٩٨٤) ، وبنية العقل العربى ، وهذه المدارس هي مدارس فلسفية فى واقعها أي أنها تتخذ من علم الفلسفة منطلقها الأساسى للنظر إلى دور اللغة فى سياق تحليل النصوص الاجتماعية والسياسية فهى إذاً تختلف فى أساليبها عن أساليب البحث الامبريقى الذى يتسم به منظور «لغويات التفاوض» ولقد وصف السيد يسين كتابات الجابرى كاحد الممثلين لهذه المدرسة فى سياق تعرضه لها بالتحليل فى مقالته « بحثا عن هويه جديدة للعلوم الاجتماعية فى الوطن العربى»

١- الخطاب والاصولية المنهجية والاستراتيجية قائلًا :

أن الجابري حين درس الخطاب العربي المعاصر قد ركز انتباهه على التناقضات بين الخطابات المختلفة ونادرا ما أشار إلى الممارسة وكان اهتمامه بمقياس عدم التناسق الداخلي أكثر من اهتمامه بتقويم التجربة المعاشة ... وأن الجدل بين الفكر والواقع والذي يعد أساسيا في علم اجتماع المعرفة ، يغيب كليه عن تحليلاته » (السيد يسين ١٩٨٦ : ٤٨٨) .

كذلك فإن النقد الموضوعي الذي يمكن توجيه لكتابات الجابري ومن ينتمى إلى هذه المدرسة هو نفس النقد الذي يمكن أن يوجه للمدرسة التفكيكية Deconstructionism التي إذا كان لها الجانب الموضوعي الذي يتضمن تفكيك النص إلى مكوناته التي توضح النص كبيانات وليس كبيانات مرصوفة إلا أن ما نعتبره سلبيا هنا هو إنشغال العديد من أعضاء النخبة العربية بمثل هذا المنهج التفكيكي والتركيز عليه فقط ولحد ذاته في كثير من الأحيان ، مثلهم في ذلك مثل العديد من الباحثين الغربيين وهذا ما انتقده الأستاذ Walter Jackson Bate الأستاذ بجامعة هارفارد الذي هاجم المنهج التفكيكي بقوله إن هذا المنهج التفكيكي أولاً قد خلق من تحليل النص باستخدام مفردات هذا المنهج لغة خاصة لا يكاد يفهمها أحد في معظم الأحيان . ويرى هذا الأستاذ « إن التفكيك فيه إنحرافا يجمع بين عناصر تحليلية بنيوية وبين نزعة عدمية وهو يأسف لرواج التحليل التفكيكي ولا يرى فيه إبتكاراً بل صياغة جديدة للنزعة التشكيك، التي شاعت قديماً عند الفلاسفة والتي رد عليها كل من إفلاطون والفيلسوف كانت Kant من بعده . ولهذا فهو لا يرى داعياً للتشكيك والتفكيك لأن هذا الأمر يؤدي إلى خلق فراغ معرفي » (٤٦ : ١٩٧٩) Bate, 1979

إن هذا المنهج التفكيكي هو المنهج الذي هيمن على مقولات غالبية من الباحثين العرب في تفنيدهم للمسائل الفلسفية المتعلقة بالتراث العربي والحداثة وإنتهاج أسلوب تعميمي يميل إلى ترك التراث أو التجسس التام من النموذج

السلفي، الأمر الذي جعل تركيزهم ينصب أساساً علي تفكيك الماضي إلي كتل من المطارحات المشكوك في كل ما تتضمنه، وهذا الأمر لايساهم بالتأكيد في بناء المستقبل، ولكنه يسبب نوع من الخلخلة لأسس وقيم كثيرة يصعب الحسم فيها. ولاشك أن أنتهاج هذا المنهج التفكيكي قد أسهم أكثر في خلق ذلك الفراغ المعرفي وخلق روح من الشك في كل شيء واليأس والأحباط لأجيال قادمة الأمر الذي أدي إلي وجود عدم يقين لدي كثير من شباب اليوم في أي شيء وهو الوضع الذي نلاحظه في كثير من مقولات شباب هذه الأمة في الوقت الراهن وهو ماسوف نقدم له تحليلاً أكثر تفصيلاً عند تناولنا لنمط اليأس والإحباط في الحوار في الفصل الرابع من هذه الدراسة.

الفصل الثالث

خريطة تفاعلات أزمة الخليج وموقع الدراسة عليها

إذا كانت عمليات المساومة والتفاوض (Bargaining & Negotiation) من أعقد العمليات الذهنية خاصة أثناء إدارة الأزمات الدولية وتناولها العديد بالدراسة العلمية من زوايا ومجالات متعددة (علي سبيل المثال لا الحصر أنظر Fraser ١٩٨٤، Goffman ١٩٦٩، Habeeb ١٩٨٨، Snyder & Diesing ١٩٧٧، Ikle ١٩٨٧، Montville ١٩٨٧، (Aly) ١٩٨٢، Hassan - wageih ١٩٨٩) فلقد كان لأزمة الخليج تعقيدات فريدة من نوعها. فإذا كانت صفة «المفاوض العربي» في سياق الأزمات الدولية الساخنة السابقة والتي حدثت في إطار نظام عالمي يهيمن عليه قطبين Bipolar System تتضمن أساساً مواجهة مع مفاوضين من غير العرب، فإن «المفاوض العربي» أثناء هذه الأزمة يمثل «المفاوض العربي» في مواجهة «مفاوض عربي آخر» من ناحية وكلاهما في مواجهة مفاوضين من غير العرب - كل بطريقته - من الناحية الأخرى وفي هذا الفصل سنقدم تحديداً لخريطة تفاعلات الأزمة وبمعنى آخر التركيبة الهيكلية العامة للموقف التفاوضي الذي اتسمت به هذه الأزمة وسوف تحاول هذه الدراسة التركيز علي جزئية من هذه الخريطة وهي الخاصة بالإشكاليات الأساسية في عملية التفاوض الدولية العربية والعربية العربية من منظور «لغويات التفاوض» (المكون رقم ٦ في شكل رقم (١))

فالباحث يري أن إشكاليات التفاوض التي قذفت بها تفاعلات هذه الأزمة لم تكن وليدة أحداث هذه الأزمة فقط ولكنها تمثل في واقعها ناتج تلك الأزمة المزمنة التي كان ولا يزال يعاني منها العالم العربي سواء على مستوى تفاعلات

النخبة أو الرأي العام وتظهر أعراض هذه الأزمة المزمنة من خلال هذا الكم الهائل من السلبيات التي ترسخت في أنماط وإستراتيجية الحوار التفاوضي اليومي في العالم العربي وبنسب متفاوتة بين البلدان العربية المختلفة. ولا ترجع هذه السلبيات إلي وجود أزمة أخلاقية فقط كما يري ذلك غالبية الباحثين وأعضاء النخبة العربية ولكن الأمر يرجع أساساً إلى إفتقاد التألف مع تقنيات وديناميكيات التفاعلات الحوارية التفاوضية المعقدة بطبيعتها علي المستويين الإجتماعي والسياسي والتي يهتم العالم المتقدم بالتعامل معها من خلال العديد من المجالات الإزدواجية الحديثة والتي يمثل عدم وجودها في برامج الدراسات العليا في مجالات العلوم الإنسانية وفي مراحل التعليم بمستوياتها المختلفة (بعد تبسيطها) في العالم العربي في الوقت الراهن قصوراً بحثياً وتعليمياً كبيراً. (أنظر حسن وجيه (١٩٨٤) - (١٩٩٠)، (١٩٩١) .

والإفتراضية المقدمة في هذه الدراسة هي أن عمليات التفاوض علي المستوي الإجتماعي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمفاوضات السياسية ولها الكثير من الملامح المشتركة معها، وإن زادت الأخيرة في حجم تعقيداتها وتبعات نتائجها وإن لكل من نوعي التفاوض تعقيدات بالغة الضخامة ينبغي النظر إليها بأسلوب شمولي في إطار نظام القيم الإجتماعية والثقافية لأفراد مجموعة ثقافية ما وكذلك في إطار منظومة التفاعلات الدولية الأكثر إتساعاً وتعقيداً. وبالتالي فإن نجاح التفاوض الإجتماعي والسياسي يستلزم من المتحاورين التدريب علي إكتساب قدرات خاصة بكفاءة التواصل الحواري والقدرة علي التعامل مع أساليب التناول المختلفة وإقامة الحجج وتفنيدها وإختبار إتساقها وإكتساب وتنمية المهارات التفاوضية الأساسية التي تمكن من توظيف أنسب الاستراتيجيات الحوارية الملائمة لسياق ما بعد الفهم الكامل والعميق للموقف التفاوضي وطبيعته والقراءة السليمة لما يتعلق به من أحداث (أو نصوص). والتي أوضحنا عناصرها من خلال الجدول رقم (١) الخاص بكفاءات أو

شكل رقم ١
تركيبة موضوعات التفاوض
المتضمنة من تحركات الأطراف
(Interactional Topics)



قدرات التواصل من منظور لغويات التفاوض في الفصل الثاني.

والشكل السابق (رقم ١) يوضح الإطار العام لخريطة تفاعلات الأزمة أو بمعنى آخر « رحم تفاعلات » هذه الأزمة منذ بدايتها.

أن الهدف من عرض هذا الشكل رقم (١) ليس تقديم تحليل لعناصر موضوعات التفاوض الرئيسية المتمخضة عن تحركات أطراف الأزمة والمتضمنة به، فهذا له سياق تفصيلي آخر، ولكن الهدف هو - وكما ذكرنا - توضيح الرؤية الشمولية لتفاعلات الأزمة وطبيعتها وتحديد لموقع هذه الدراسة التي تعني بالمكون رقم ٦ بالشكل رقم (١)، وهو ذلك المكون الذي يتعامل مع مجموعتين من الأشكاليات، الأولى تعني بإشكاليات التفاوض العربية الدولية، والثانية تعني بإشكاليات التفاوض العربية العربية، الأمر الذي سوف نتعرض له بالتفصيل فيما يلي ونكملة بالفصلين الرابع والخامس.

وكبداية لتناول هاتين المجموعتين من الإشكاليات نقدم النقاط التالية في هذا الفصل كمدخل عام لمجموعتي الإشكاليات بالفصل الرابع:

أولاً: خصوصية أزمة الخليج في ظل أدبيات الأزمات الدولية السابقة :

ينطبق علي أحداث الخليج ١٩٩٠ تعريف الأزمة :كما يقرها خبير العلاقات الدولية « وليام كوانت » حيث يقول:

« إن الأزمات بطبيعتها تطرح إفتراضات سائدة عن الواقع بطريقة خاصة وحادة. وعندما تتم مواجهة القائمين علي صناعة القرار السياسي بهذا الواقع بطريقة مفاجئة تتسم بوجود خطر داهم وعدم يقين بما سوف يحدث، يبدأ هؤلاء القائمون علي صناعة القرار بمعالجة الأوضاع علي أساس المفاهيم السابقة لديهم لذلك الواقع. ولكن عندما لا يتطابق هذا الواقع مع الصور الذهنية السابقة لديهم للأمور المختلفة وجب علي صناع القرار وبسرعة بالغة وفي ظل أحداث متلاحقة سريعة أن يقوموا بإعادة صياغة الصور الذهنية

للأوضاع السابقة لما قبل الأزمة.. فإذا ما انفجرت الأزمة بنجاح يستمر تواجد هذه الصور الذهنية الجديدة للأوضاع وكذلك لأطراف الأزمة وتستوعب الدروس الخاصة بما حدث وينبثق إطاراً جديداً للتحركات السياسية المستقبلية». (كوانت ١٩٧٧ : ١٦٥)

ثانياً: تصنيف هذه الأزمة:

صُنفت الأزمات الدولية إلى نوعين رئيسيين، الأول هي تلك الأزمات التي حدثت في نظام دولي تهيمن عليه عدة قوي دولية وهي ماسميت بأزمات عالم الأقطاب المتعددة "Multipolar crises" كتلك التي حدثت في مستهل هذا القرن والنوع الثاني يشمل تلك الأزمات التي حدثت في إطار النظام الدولي الذي هيمنت عليه القوتين العظميين في عالمنا المعاصر وهي ما سميت « بأزمات عالم القوتين » (Bipolar crises) وكان أهمها الأزمة التي ترتبت عن حرب أكتوبر ١٩٧٣. أما أزمة الخليج الراهنة فتصنف فيما يعرف « بأزمات عالم الأقطاب المتعددة الجديد » (New multipolar crises) [أنظر سنيدر وديزنج ١٩٧٧].

ويتلخص الفرق بين نوعي الأزمات الرئيسية في الآتي:

١- إنه عادة مايسمح النوع الأول (Multipolar crises) بوجود إعتبارات للتكيف والتنسيق الأكثر مع الأوضاع (alignment considerations) أكثر من المطلوب في النوع الثاني (Bipolar crises) وهذا يرجع إلى حدوث مكثف لنوعين من المساومات أحدهما مايسمي « بمساومات المتنازعين » (Adversary Bargaining) وهذا يعني وجود مباراتين علي الساحة «مباراة التنازع ومباراة التحالف» . وتتداخل أفعال الأطراف في اللعبتين ولكن تختلف طبيعة ذلك التداخل ففي «مباراة التنازع» (Adversary Game) تتسم طبيعة التداخل بمقدار الأذي الذي قد يلحقه طرف ما بالخصم ويتوقف هذا الأمر علي درجة حدة صراع المصالح، فكل طرف في هذه الحالة يحاول أن يجبر الخصم علي الرضوخ

لمطالبه، وتكون هناك إذا عملية تقييم مستمر للمصالح مع الإستعداد لإيقاع الأذى والسوء بالآخر ويتمخض عن ذلك توقعات بخصوص قوة عزم الطرف الآخر ومدى حسمه في الأزمة وعملية المساومة هنا عادة ماتتضمن محاولات السيطرة على قدرة الآخر على الحسم من خلال التهديد وإلا فإن تقديم الحلول الوسط بشأن الصراع وتقديم التنازلات هو الخيار الآخر لذلك الطرف أو ذاك. أما في «مباراة التحالف» (Alliance Game) فإن التداخل يرجع إلى القدر الذي يحتاج فيه المتحالفين وأشباه المتحالفين بعضهم لبعض وهذا يعني مدى حاجة كل من المتحالفين وإعتماده على قوة بعضهم البعض لمواجهة التهديدات التي يرسلها الخصم.

٢- إن التحالف في حالة أزمات النظام الدولي الثنائي (Bipolar crises) عادة ما يكون مجرد تسجيل للمصالح العامة لأعضاء التحالف فالمصالح كامنة في تركيبة القدرة لهذا النوع من النظام الدولي، وهذا هو ما كان سائداً في فترة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة و«الإتحاد السوفييتي» سابقاً. أما التحالف في حالة «أزمات النظام الدولي المتعدد القوي» (Multipolar crises) عادة ما يخلق مصالح مستجدة لم تكن موجودة من قبل .. ففي هذه الحالة يعكس أمر التحالف عدم وجود دولة تمتلك القوة الكافية بمفردها لمجابهة التهديدات التي قد تأتي بها مراحل الأزمة .

٣- أما الفرق الثالث بين نوعي الأزمات فهو كما حدده روبرت أوزجود Osgood أنه في حالة أزمات النظام الثنائي (Bipolar crises) فإن المصالح تكون متجانسة (Homogeneous) وفي حالة أزمات النظام المتعدد القوي (Multitipolar crises) تكون المصالح غير متجانسة (Heterogeneous) .

لمزيد من التفاصيل في شأن هذه الفروق (أنظر سنيدر وديزنج ١٩٧٧) وفي ضوء ما ذكر يمكن القول بأن أحداث الخليج ينطبق عليها ما يميز نوع «الأزمات التي تحدث في عالم تعدد الأقطاب الجديد» الذي تضطلع

الولايات المتحدة فيه بالدور الرئيسي فيه إلا أن العراق في هذه الأزمة قد وقف وحيداً وقد تحالف معه بقدر أو بأخر ومتأرجح بعض القوى ذات غير الوزن في النظام الدولي حركهم في ذلك إدراك مستقبلي وهمي (Illusionary perception) بإمكانية تحقيق قدر من المغانم أو رفع شعارات مغلوبة وغير عقلانية وهذا يكفي المراقب بأن يصف موقف العراق والذين أيدونه بأنهم ذوو أهداف متجانسة وأن العراق كان هو سيد هذا التحالف. وفي مقابل العراق كان هناك خصم يضم حلفاء لهم وزنهم الدولي ورغم أهدافهم المتنافرة فقد إتفقوا على إدانة الغزو العراقي للكويت وضم الكويت ورفعوا شعار الشرعية الدولية تحت مظلة الأمم المتحدة التي إتخذت العديد من القرارات لإدانة العدوان والمطالبة بعودة الحكومة الشرعية للكويت وفرض العقوبات الإقتصادية والحصار البري والبحري والجوي علي العراق إلى أن اندلعت الحرب وحقق التحالف ما أرادته وفرض أجندة الموضوعات التي أعلنها في بدء صراع الأزمة.

الفصل الرابع

إشكاليات التفاوض العربية الدولية، والعربية العربية

إذا كنا قد إستعرضنا في الفصل الثالث تركيبة الموقف التفاوضي لأزمة الخليج كأزمة لها سمات الأزمات العالمية من ناحية وجود صور ذهنية قد استجذت للأطراف عند بداية الأزمة وبالتالي فلقد حاولت جميع الأطراف أن تتعامل مع هذه الصور المستجدة في ظل عدم اليقين بما سوف يحدث، وفي هذا الفصل سنوضح ذلك البعد التركيبي الآخر للموقف التفاوضي للأزمة والذي بلا شك، قد زاد من تعقيدات التعامل مع هذه الأزمة ويتمثل هذا البعد في تلك التركيبات والإشكاليات الإثنية الثقافية المتعددة والمعقدة التي أحاطت بالأزمة. وهذه الإشكاليات التركيبية تتلخص -كما ذكرنا- في حدوث هذه الأزمة في سياق أزمة أخرى مزمنة يعاني منها العالم العربي في تفاعلاته التفاوضية اليومية وعلي مستوي النخبة قبل أن يكون الأمر علي مستوي الجماهير. ونحاول من خلال هذا القسم من الدراسة تقديم تقييم للمقولات التي تتعلق بهذه الأزمة المزمنة وتسليط الضوء علي تلك الأنماط الحوارية التي تسبب شيوعها في مزيد من تأزم التفاعلات الحوارية في العالم العربي وبالتالي فشلت المحاولة بعد الأخرى في إنجاح عملية التفاوض العربية العربية التي كان الهدف منها منع تدمير العراق وتحرير الكويت. ولقد أدي « خطاب الفاولات » وعدم إدراك ما يحدث على الساحة الدولية إلي أن تكبد العالم العربي خسائر فادحة كان في غنى عنها بكل تأكيد.

ولقد تناول العديد من المتخصصين في العلوم الإجتماعية العرب وغير

العرب تعقيدات الأوضاع الثقافية العربية للأزمة المزمنة ولعلنا نجد في مفردات بعض هذه الدراسات الرئيسية مؤشراً واضحاً على كينونة الواقع الثقافي العربي، فغليون قد قدم دراسة بعنوان **إغتيال العقل العربي** (١٩٩٠) والتي وضح بها أن علاقة العرب بثقافتهم علاقة معقدة ومتناقضة إلى أبعد الحدود. فالبعض يري هذه العلاقة سبب في التخلف والبعض الآخر ينظر إليها كخشبة الخلاص. ولقد حاول غليون من خلال كتابه أن يبين كيف أن محنة الثقافة العربية ليست إلا مظهرًا لمحنة الذات العربية وتشتتها بين التأكيد الشكلي للذات، والرفض السلبي للآخر.

وأنتقد الجابري العقل العربي في كتابه بنفس العنوان لعامي (١٩٨٤، ١٩٨٦) وفي كتابه **العقل السياسي العربي** في عام ١٩٩٠ أما هشام شرابي فيقدم تحليلاً سياسياً اجتماعياً للثقافة العربية وينتقد فيه عوامل الشلل والجمود التي تعوق حركة التغيير من وجهة نظره في كتابه بعنوان **البنية البطركية** (١٩٨٧) وإذا كانت هذه الأعمال تصف الوضع العربي بمسميات مختلفة فإن السيد يسين قد وصف الواقع العربي بأنه « أزمة » عندما تحدث عن « خطاب الأزمة » (١٩٨٩) وكان يعني بذلك تلك الخطابات المتصارعة في الوطن العربي ورغم أن تعريف « الأزمة » في ظل التفاعلات الدولية وكما ورد ذكره في الفصل الثالث من هذه الدراسة (كوانت ١٩٧٧) يختلف عن استخدام تعبير « الأزمة » بمعناها المجازي والمتمثل في وصف عنف تصارع الخطابات في العالم العربي من دينية وعلمانية وخلافه، إلا أن المتأمل في هذا الوصف المجازي يجد وكأنما كان هذا الاستخدام ينبئ بإستمرارية الأمور في إتجاه طريق الأزمة الحقيقية الكبرى التي نعيشها الآن. ولقد أشار السيد يسين في معرض حديثه عن « أزمة الخطاب العربي المعاصر » إلى أهم الندوات العربية التي تعرضت بالنقد للأوضاع الثقافية العربية المعاصرة والتي كان عنوانها « أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي » ومن

سخریات القدر أنها عقدت بالكویت عام ١٩٨٤ وكان دافع مجموعة الباحثين البارزين من المثقفين العرب لعقد تلك الندوة في ذلك الوقت هو «حالة التشرذم الذي وصل إليه العالم العربي وظهور جوانب الضعف الجسيمة في بنائه مما جعله أرضاً مستباحة للعدوان بأشكاله وصيغه المتعددة». (السید یسین ١٩٨٩).

إن معظم الدراسات التي عنيت بأمر تأمل الوضع الثقافي في العالم العربي هي دراسات وصفية من منظور نظري فلسفي واستقرائي "deductive" وليس من منظور امبريقي استدلالي Inductive (empirical) أو دائري Abductive كما في حالة استخدام منظور لغويات التفاوض الذي قدمنا تفصيلاً له في الفصل الثاني من هذه الدراسة. وسوف نستعرض في هذا الجزء أكثر الأنماط سلبية في التفاعلات التفاوضية العربية في سياق الأزمة المزمدة وكذلك ما حدث منها أثناء أزمة الخليج. وسوف نسلط الضوء أولاً على تلك الإشكاليات الخاصة التي عادة ماتصاحب الأزمات الدولية عموماً ثم نستعرض إشكاليات الأزمة المزمدة في العالم العربي وكيف أنها أضافت بعداً غاية في التعقيد للتركيب الهيكلية للموقف التفاوضي الخاص بأزمة الخليج ١٩٩٠. إذاً فإن الإشكاليات التي سنتعرض لها في هذا القسم من الدراسة تنقسم إلى مجموعتين من الإشكاليات. المجموعة الأولى وتبحث في عناصر الأزمات الدولية والثانية تبحث في عناصر الخصوصية الثقافية للأزمة والإشكاليات المتمخضة عن تلك الخصوصية وهذا ماسوف نتناوله في إطار ماود أن أسميه « بخطاب أو مطارحات الفاولات» كما أرشارنا إلى ذلك آنفاً .

أولاً: المجموعة الأولى من الإشكاليات :

الإشكالية الأولى: حدة تنافس الأطراف لتكوين الصورة الذهنية لدى الآخرين بما يؤثر في ناتج الأزمة (Image & Schesmogensis)
من الممكن النظر لموضوع تنافس الأطراف لتكوين صورة ذهنية لدى

الأخرين تساهم في ناتج الأزمة من خلال مستويين، الأول يتعلق برؤية الأطراف بعضهم لبعض بصفة عامة بعيداً عن أزمة الخليج والثاني يتعلق بكيفية رؤية الأطراف بعضهم لبعض في سياق الأزمة ذاتها. ويتعلق المستوى الأول بصراع المنافسة الحادة بين الأطراف من حيث توظيف أساليب الحسم والدفاع عن المبدأ والقوة وعدم الرضوخ أو المهادنة في لحظة ما من لحظات الأزمة وإنتهاج كافة العمليات التفاوضية التي تبقى على حدة الصراع وهذا هو ما يعرف بما يسميه خبراء اللغويات الإجتماعية†(Linguistic Schesmogensis) أنظر Bateson ١٩٧٧ .

وإذا كان لإعتبار الصورة الذهنية للأخرين أمر هام في تحديد مسار العديد من الأزمات الدولية السابقة والتي لم يكن العرب أطراف فيها فإن أمر إعتبار الصورة الذهنية لدى الآخرين في هذه الأزمة كان له قدر كبير من الأعتبار لأنها لم تمثل فقط صراعاً بين طرفين يهتم كل منهما بالصورة التي يريد أن ينقلها للآخر والتي تمكنه من الخروج فائزاً أو على الأقل متعادلاً بعد الأزمة والتي تعتبر فرصة أي زعيم لتأكيد ذاته أمام شعبه وأمام العالم، ولكن الأمر في هذه الأزمة قد مثل صراعاً بين ثقافتين يعرفهما الباحثون في مجال اللغوية العرقية (Ethnolinguistics) والإنثربولوجي « بالثقافة العليا » و « الثقافة الدنيا » (High & Low Cultures) فأفراد « الثقافة العليا » والتي صنفت في إطارها الثقافة العربية يهتمون بشكل الصورة التي يريدون أن ينظر إليهم بها الآخرون ويضعون ذلك الأمر فوق كافة الأولويات والإعتبارات الخاصة بنظام القيم لديهم، بينما لا يضع أفراد « الثقافة الدنيا » (Low Culture) نفس القيمة لهذا الأمر في ترتيب نظام القيمة لديهم وهذا يجعلهم أكثر قدرة على التكيف بطبيعة الحال. (للفروق بين نوعي الثقافة أنظر تينج تومي Ting-Toomy ١٩٨٥) وهنا يظهر سبب مقنع في تفسير « عناد » صدام حسين للنهاية ومحاولة تصوير نفسه بالبطل المنقذ الذي يستطيع أن يتحدى أعنى القوى في العالم بل يستطيع

أن يتحدى العالم أجمع دون أن يرضخ مهما كانت النتائج ويستحيل عليه أن يتراجع أو يتكيف بصورة سريعة مع الأحداث طالما يتعارض هذا مع الصورة الذهنية التي إقنته هو نفسه أنها الصورة الوحيدة التي يريد أن ينظر إليه من خلالها الجميع.. ولذلك فإن تصويره في الغرب في بداية الأزمة بأنه « هتلر، وموسوليني، وناصر، وصلاح الدين، وربين هود، وكابون » (كما ورد في نيوزويك ١٢ أغسطس ١٩٩٠) قد زاد من إحساسه بالصورة الذهنية التي أراد أن يُنظر بها إليه فعلي الرغم من عدم دقة هذه الأوصاف عليه خاصة بوصفه صلاح الدين أو حتي عبد الناصر — وفي هذا ما يعكس الرؤية التأطيرية للعالم الغربي التي تتسم هي الأخرى بالمغالطات التاريخية والموضوعية في كثير من الأحيان والنظر للعرب والمسلمين والأرهابين بمعنى واحد . - إلا أن ما وحد بين هذه الشخصيات أنه يتوفر فيها عامل الحسم والقوة وهو ما قد أقنع صدام حسين بالإستمرار في عناده بالقدر الذي أتاح للغرب تسديد الضربة التي رأوا ألا يتراجعوا عن تسديدها له ولذلك وُصف بأنه ذلك المفاوض العنيد (نيوزويك ١٢ أغسطس ١٩٩٠) الأمر الذي وُلد لديه إحساس بالثقة والإستمرار في عناده فهذه الصورة التي أوحى له الغرب بها قد أكدت له نجاحه ولو لحين، فوصفه بالمفاوض العنيد أو بالإنجليزية Bully Negotiator والمعني هو المفاوض العنيد المتحكم فيمن هو أضعف منه والذي يجد المتعة في إجبار الآخرين علي أن يفعلوا دائماً ما يريدهم أن يفعلوه. ولقد عرف ماتسبوره Matsurah ١٩٨٨ هذه النوعية من المفاوضين بأنه

« ذلك المفاوض الذي يعرف بإستخدام مبدأ العين بالعين ولا يهادن أبداً.

وإذا كانت هذه صفة تفاوضية لها ميزتها في بعض الأحيان إلا أنها ليست بالتأكيد أفضل صفات التفاوض. والميزة الأساسية لهذه الصفة إذا لم يساء إستخدامها وتوظيفها هي الحصول على أكبر قدر من الفوائد من العملية التفاوضية وعدم تحمل أي نوع من الإستجابة من الطرف أو الأطراف الأخرى

هذا ولايستريح هذا النوع من المفاوضات إلا في حالة تعاون ومهادنة الطرف أو الأطراف الأخرى تماماً. (Matusburah ١٩٨٨: ٨)

وفي مقابل صدام أكد بوش هذه الصورة الذهنية لصدام لإستدراجه في مستنقع لم ينجو صدام منه وذلك عندما ذكر في حديث له « إنه قد تعلم منذ طفولته أن يقف إلي جانب المظلوم والمستنجد به وكما أنه يراعي الأخلاق وصفات المسيحي الطيب إلا أن تربيته في مؤسسة واسب المسيحية (Wasp) قد مكنته من أن يرد الشخص العنيد الذي يسيء إستخدام قوتهBully (نيوزويك ٢٠ أغسطس ١٩٩٠).

ومن الأمثلة الشيقة التي حدثت أثناء تفاعلات الأزمة والتي توضح صراع الثقافتين العليا والدنيا، واللتان أشرنا إليهما أنفاً، واللتان يحدث في إطارهما تفاعلات كل من صدام وبوش، هو ماحدث أثناء المحادثات التي أجراها وزير الخارجية العراقي طارق عزيز ونظيره الأمريكي جيمس بيكر في جنيف في بداية شهر يناير ١٩٩١ أي قبل إنتهاء المهلة الدولية للعراق للإنسحاب من الكويت. ففي نهاية المحادثات رفض طارق عزيز مجرد أن يحمل رسالة خطية من الرئيس بوش إلي صدام حسين لمجرد أنه يخاطبه فيها بـ « صدام مجرداً» !!، وكأنما جرده بوش من أهم شىء لديه، من لقبه « المهيّب الركن» ، رفض وزير الخارجية العراقي حمل الرسالة وحاول إفهام بيكر عبثاً: إذا ما كان بوش يعتزم سلاماً حقيقياً فعليه أن يتأدّب في الخطاب!! ولقد وقف الرئيس بوش بعد ذلك بساعات قليلة أمام كاميرات التلفزيون وهو يقسم بأن الخطاب كان في منتهى الأدب وأنه كان مباشراً وقصيراً ومختصراً... وبالفعل ففي الثقافة الأمريكية يكون الحوار أكثر قرباً بين اطراف الحوار إذا لم تكن الألقاب سائدة. أما في ثقافتنا العربية فإن اللغة الفخمة مطلوبة، فتفاعلاتنا غنية بالألقاب وعبارات التكريم، فالعربي البسيط عندما يخاطبه أي شخص فإنه عادة لا يستمع إلي الكلام بقدر ما ينصت إلي الأسلوب الذي يساق به هذا

الكلام، فما بالنا إذا كان المخاطب رئيس دولة.

وإذا كان ماسبق ذكره يلقي بالضوء على طبيعة أمر صراع الشخصية في عمليات التفاوض العربية الدولية، فإن صراع الشخصيات المحورية في سياق الأزمة علي مستوي عملية التفاوض العربية العربية نجده في صراع شخص الرئيس مبارك والرئيس صدام حسين.

ولقد كان لهذا الصراع الأثر الحاسم في تحديد ناتج أزمة الخليج وكان أول آراء النخبة في هذا الصدد ما أورده الدكتور سعد الدين ابراهيم بعد أيام قليلة من غزو العراق للكويت علي صفحات جريدة الأهرام بإيجاز يمثل تصارع الشخصيتين وما تمثله كل منهما من أنماط في عمليات التفاوض العربية العربية ونورد هنا هذا الرأي بنصه الذي نشر بالأهرام في ١٦/٨/١٩٩٠ تحت عنوان « مبارك وصدام ومستقبل الأمة العربية ».

« لاشك أن الأزمة التي أحدثها الرئيس العراقي صدام حسين باجتياحه للكويت الشقيق، يمكن أن تتحول إلي كارثة مدمرة بالنسبة له وللعراق والخليج وبقية الوطن العربي. وشأن هذا الرجل هو شأن الشخصية التراجيدية في الأساطير الإغريقية، يري الكارثة قادمة أمام عينيه مثل كتاب مفتوح، ولكنه بوعي أو بغير وعي يقذف بنفسه إلي قلب الكارثة كما لو كان يستجيب لقدر محتوم. وقد قبل الكثير حول فقدان الرجل لرشده السياسي واختلطت عليه « الأزمة » و« الأمكنة » وقوانين الحركة في النظام العالمي. ويتصرف صدام حسين الآن كما لو كان يؤمن بأنه استثناء فذل لقوانين التاريخ والإجتماع، بينما كل الشواهد تشير إلي أنه نشاز صارخ لهذه القوانين.

وفي مواجهة هذه الشخصية التراجيدية الناشزة يقف الرئيس المصري حسني مبارك بثبات وشجاعة وعقلانية يحاول أن يمنع تحول الأزمة إلى كارثة ويؤمن أن « الإنقاذ » ممكن وأن الكارثة ليست حتمية. وقد عبر عن ذلك كله في خطابه إلي الأمة يوم الأربعاء ٨/٨/١٩٩٠، ثم أمام مؤتمر القمة يوم الجمعة ١٠/٨/١٩٩٠، وأثبت مبارك أنه زعيم قومي عاقل ورجل دولة مسئول.

وكبر بمصر وعقلاء العرب، وكبرت معه مصر وعقلاء العرب. وكان واضحاً أن الرجل يعرف «مكانته» و«زمانه» وقوانين عصره وعالمه بكل الشفافية والوضوح.

وبين شخصية صدام التراجيدية النشاز، وشخصية مبارك رجل الدولة العاقل، يتأرجح حاضر ومستقبل الأمة العربية بأسرها. أحدهما يستثير أخط غرائز الغوغائية العربية، والآخر يستنفر أسمى مبادئ الأمة العربية. والمقابلة أو المقارنة هنا ليست بين شخصين أو رئيسين وإنما هي بين ظاهرتين، وبين نزعتين، وبين اتجاهين. ظاهرة البقاء في مقابل ظاهرة الفناء نزعة عقلانية في مواجهة نزعة خرافية اتجاه نحو المستقبل واتجاه نحو الماضي وسواء يدرك الرجلان ذلك بوعي أو لا يدركانه، إلا أنهما في لحظة الدراما القومية هذه يجسمان كل جدليات التاريخ والإجماع العربي.

ولأننا مع «البقاء» و«العقلانية» و«المستقبل» فلا يمكن ولا ينبغي أن نترك رجلاً واحداً في قطر عربي واحد يقرر مصير مائتي مليون عربي، خاصة إذا كان هذا الرجل شخصية تراجيدية ناشزة، تجسم نزعات «الفناء» و«الخرافة» و«الماضي». لذلك لا بد أن يقف العرب مع مبارك ومع مصر ومع قوات السلام العربية في الخليج ولا بد من دعم ما يمثله هذا الرجل من نزعات البقاء والعقلانية والمستقبل بالمال والسلاح والرجال، ففي أمتنا من لديهم فيض من الرجال وفيها مآلديهم فيض من المال والسلاح، ولا بد من المزاوجة بين الرجال والمال والسلاح بلا وهن أو تردد. فإذا فعلنا ذلك بحسم وجدية، فلا بد للأزمة أن تنتهي دون أن تتحول إلى كارثة عربية.

لقد كلفت الأزمة التي خلقها صدام حسين لنفسه وللعراق وللخليج والوطن العربي في أسبوعين فقط ما يوازي عشرة مليارات دولار ذهبت هباءً منثوراً، غير كل الآلام الإنسانية والبشرية لشعب الكويت والعرب والعالم، وهي آلام لا تقدر بمال. ولعل في هذه الحقيقة نفسها أحد مؤشرات ما كان ينبغي علينا أن نفعله في الماضي. وبالقطع فهي مؤشر لما ينبغي أن نفعله في المستقبل مباشرة بعد إحتواء الأزمة ونقصد بذلك بناء نظام عربي جديد أكثر تكافلاً بين عرب اليسر وعرب العسر. منعاً لإنفجار أحقاد مكبوتة، نظام عربي أكثر

ديموقراطية منعاً لظهور المستبدين المغامرين من أمثال صدام، نظام عربي أكثر قوة من داخله وعماده مصر، منعاً لإلتهام أقطارنا الصغيرة بواسطة أشقاء جشعين أو أجانِب طامعين. ومهما كانت كلفة هذا النظام العربي الجديد - الأكثر تكافلاً وديموقراطية وأمناً- فإنها بالقطع ستكون أقل من تكاليف أهدار المال والبشر والأمن والكرامة لكل الأمة كما رأينا في الأسبوعين الماضيين.»

الإشكالية الثانية: إشكالية تفاعل الأنظمة المتصارعة :

إذا كانت دراسة تصارع الشخصيات بطبيعتها المختلفة تتم من خلال بعض النظريات والنماذج التي تعني بتحليل الأزمات والتفاعلات الدولية. (أنظر علي سبيل المثال كالدويل دانCaldwell، كيسنجر شخصيته وسياسته ١٩٨٣) وكتاب Barber James خواص الرؤساء، ١٩٨٥. فإن هناك منهج آخر لتحديد دراسة الأزمات من خلال تحليل الطبيعة التفاعلية للنظم المتصارعة وعملية صناعة القرار بها (علي سبيل المثال أنظر سنيدر وديزنج ١٩٧٧) فإن النظر من خلال هذا المنظور الأخير يوضح أن أحد عناصر الهيكل التركيبي لعملية التفاوض التي ينبغي إعتبارها في تقييم تفاعلات الأزمة هو وجود صراع بين نظام ديكتاتوري يوظف ما يسمى بالدبلوماسية الشمولية من ناحية وعدة نظم دولية توظف أغلبها تفاعلات تتماشى مع ما يسمى بالدبلوماسية الديمقراطية بخصوص هذه التصنيفات أنظرNicolson، ١٩٨٨).

ولقد تجسدت ملامح هذا الصراع بين نوعي الدبلوماسية في سياق أزمة الخليج ١٩٩٠ في نقطتين رئيسيتين هما:

(١) إن النظام الشمولي في بغداد استطاع من خلال إجراءاته وألياته ومفاهيم سخرة الفرد أن يصمد في وجه العقوبات الإقتصادية لفترة أطالت من أمد الأزمة ولقد تنبأ بطول هذه الأزمة منذ الأيام الأولى للأزمة د. مايكل هدرسون أستاذ العلاقات الدولية بجامعة جورجتاون حين ذكر علي لسانه في مجلة نيوزويك يوم ٢٠ أغسطس ١٩٩٠ قوله « أن هذا النظام لديه القدرة علي

أن يستخلص من الشعب أكبر قدر من المعاناة. كذلك فإنه نظام يتسم بدرجة عالية من النظام والانضباط ولذلك فبإمكانه أيضاً إستغلال الرقعة الزراعية لديه تحت وطأة الأزمة لزيادة إنتاجه من الأساسيات مع الإلتزام بإجراءات تقشف حادة». (نيوزيك يوم ٢٠ أغسطس ١٩٩٠).

(ب) إن النظام الشمولي بطبيعته يستطيع القيام بحملات دعائية مركزة تكون لها نتائج حاسمة في عقول الجماهير بداخلها وقد تؤثر هذه النظم الشمولية في معقولية وقدرة الجماهير علي التميز بين الحقيقة والدعاية فيها ومن هنا يمكن تبرير إستجابة جموع كبيرة من الجماهير العربية في شكل مظاهرات تأييد للعراق أثناء الأزمة .

ولعل من الأمثلة الشيقة التي أفرزتها هذه الأزمة في هذا الصدد هو إستخدام أجهزة الدعاية العراقية لتعبير « الحملة الصليبية Crusade » . فعلي الرغم من أن المملكة العربية السعودية قد طلبت دخول القوات الأمريكية للسعودية بعد غزو صدام للكوي وتهديد أوضاع قواته الهجومية بغزو السعودية إلا أن العراق قد وصف القوات الأمريكية والدولية المتواجدة بالمنطقة بأنها « حملات صليبية جاءت لتحقيق مطامعها الخاصة بها وقد وجدت هذه الترجمة لتعبير "Crusade" وللأحداث المعبرة منه تأييداً في العديد من البلدان العربية وسوف نتناول هذا الأمر بالتفصيل في الفصل الخامس في معالجتنا للنمط الحادي والعشرين.

ثانيا : المجموعة الثانية من الاشكاليات:

«خطايا الحوار التفاوضي» أو «خطاب الفاولات» :

– «مدخل عام لخطاب الفاولات»

لاشك أن اشكاليات لغة التخاطب المزمّنة والتي يعاني منها العالم العربي في عمليات التفاوض الاجتماعي والسياسي سواء على مستوى تفاعلات النخبة أو الرأي العام قد وصلت إلى حد لم تصل إليه من قبل بغزو العراق للكويت . وبطبيعة الحال ، فإن هذه الاشكاليات الحوارية لم تكن وليدة حدث بعينه ولكنها نتيجة تراكمات اجتماعية وسياسية وتعليمية عميقة ترسخت في انماط واستراتيجيات الحوار اليومي في العالم العربي بنسب متفاوتة بين البلدان العربية المختلفة .

إن سوء الفهم والتفاهم المستمر وعدم الانسجام والتآلف بين اعضاء الاسرة العربية باتساعها كان ومازال في حالة تدهور بسبب عدم التعامل مع هذه الاشكاليات على نحو علمي ، إن العالم المتقدم يهتم بدراسة التفاعلات الحوارية في سياقتها المختلفة من خلال نتائج دراسات علم اللغويات الاجتماعية والنفسي والسياسي . فما هو الحال بمعاهدنا وكلياتنا المتخصصة؟! .. الواقع يقول انه لايزال معظم خبراء علم اللغويات عندنا يتناولون في برامج التدريس والابحاث النظرية النحوية اساسا لعالم اللغويات نوم تشومسكي والذي لا جدال حول مكانته العلمية الرفيعة ، فلقد احدثت نظرياته ثورة في علم اللغويات وكان لها اثارها العميقة على بعض العلوم الاجتماعية الاخرى . ولكن اين الاهتمام بالنظريات الحديثة التي جعلت

تشومسكى نفسه يتخلل - وبتواضع وموضوعية العلماء - عن الكثير مما ذهب إليه في النظريات التي طرحها بذاته !؟ كذلك مازالت قضية اللغة واللهجات وظاهرة الازدواجية بين الفصحى والعامية - والتي ظهرت معظم الابحاث الرئيسية الخاصة بها في الستينات والسبعينات - والمعروفة بظاهرة الـ Diglossia (وهي ظاهرة في العربية واليونانية والالمانية والعبرية وإن اختلفت طبيعتها بين هذه اللغات) تحتل موقع الصدارة في اهتمامات العديد من خبراء اللغويات عندنا . أننى أرى أن الوقت قد حان لتناول قضية ، يجب وأن يكون لها الاولوية في البحث والتدريس واعنى بذلك ان نفتح «ملف قضية لغة التخاطب» واکرر هنا الدعوة إلى أهمية تدريس مادة تسمى «بتقنيات لغة التخاطب» ليس فقط في الكليات المتخصصة ولكن أيضا في المدارس بمراحلها المختلفة (وهذا النداء موجه لكل القائمين على تحديث التعليم في الوطن العربى) حتى يتسنى لنا معالجة اشكاليات الحوار المزمنة من الاساس وبطريقة علمية . فهذه الاشكاليات المزمنة والتي نحاول التعرض إليها في هذه الدراسة ، نجدها واضحة في سياق التحدث بالفصحى وبالعامية وحتى في سياق التحدث باللغة الأجنبية إذا ما استخدمت في حوار ما .

ولتوضيح المقصود باشكاليات لغة التخاطب بصفة عامة ، نتعرض في هذا المدخل العام لبعض الاسس المعيارية البسيطة والتي غالبا ما تنتهك في الحوار اليومي رغم بدايتها وهذه الاسس مثل تلك الاسس التي سماها احد علماء اللغويات باسمه وهي ماتعرف باسم معايير أو مقولات جرايس وهي معايير الكمية والكيفية والاتساق والسلوك . وتتعلق هذه المعايير بالآتى :

(١) حجم المعلومات التى يتطلبها الحوار ، فعلى المتحدث ان يشارك في الحوار بالقدر المطلوب طبقا لسياق الحدث ذاته وعليه أن يتجنب الاسهاب وان يكون مركزا .

(٢) على المتحاور الا يفرض نفسه أو يناقض ما يقوله أو ما يتعهد به وعليه

ايضا تجنب الغموض والالتباس في حوار ه .

(٣) على المتحاور أن يجعل مشاركته في الحوار متسقة مع الواقع ومع عناصر الحجة التي قد يكون بصدد اقامتها .

إن مراعاة هذه المعايير وطريقة التعامل معها هي التي تشكل الاساس فيما يعرف بأسلوب الحديث لمتحاور ما . كذلك يتعلق بامر هذه المعايير علاقات «القدرة» ، POWER في الحوار والمقصود بهذه العلاقات هو ما يملكه المتحاورون من القدرة اثناء الحوار فهناك حوار الرئيس والمرؤوس والرجل والمرأة والطبيب والمريض والمذيع والضيف والمتهم والقاضي إلى أخره وتختلف هذه العلاقات باختلاف سياق الحديث من رسمى إلى شبه رسمى إلى ودى أو شبه ودى وكذلك ترتبط هذه العلاقات ببنية النظام الاجتماعى والسياسى لثقافة ما.

*** «فاولات» كأس العالم واشكاليات الحوار اليومى على المستويين الاجتماعى والسياسى :**

إن احدى اشكاليات الحوار اليومى الرئيسية في الوطن العربى هو عدم ادراك الكثيرين لما قد يحدث اثناء الحوار وعدم تحديد نوع الاشكالية بدقة وهنا نعود بالذاكرة إلى مشاهد "فاولات" كأس العالم التي كانت توضحها بجلاء تلك الكاميرات «العجيبة» التي زودت بها ارض الملاعب في ايطاليا في المسابقة الماضية فقد كانت توضح وبالتصوير البطيء مدى حجم الانتهاكات الكبيرة لقواعد اللعبة والتي كان يمارسها بعض اللاعبين سواء عن قصد أو غير قصد ، وكان من الصعب حتى على حكام المباريات ، في كثير من الاحيان ، ان يدركوا كل وحجم هذه الانتهاكات والآن ، فإن نفس الامر ينطبق على عمليات الحوار اليومى ، فكثير من «الفاولات» الكلامية والمكتوبة لاترصدها أى كاميرات دقيقة ولايرصدها حتى المراقب العابر ، وتمر هذه "الفاولات" دون

حساب وكذلك دون ادراك حقيقى لما حدث من انتهاك لقواعد لعبه الحوار ، وبالتالي دون التعرف على اسباب حالات عدم انسجام المتحاورين أو وصولهم إلى حالة تصارعية حادة . فهناك حالات حوار تصارعية نتجت وتدهورت بسبب ان نبرة صوت المتحاور كانت حادة عندما ذكر شيئا ما يتسم بنوع من الحساسية الخاصة لطرف الحوار الاخر ، وهناك حالات أخرى ادت فيها تقلصات وجه المتحدث وحركة يديه إلى ترك انطباع لدى احد اطراف الحوار بان احد المتحاورين يرسل رسائل تتسم بالتهديد والتحدى والعداء أو الاستهتار بالأخر، وفي احيان أخرى كان ايقاع المتحدث سريعا وحماسيا فتصور الطرف الاخر ان المتحدث انفعالى ويريد أن يستئثر بالحوار ، هذا فى الوقت الذى ثبت فيه ، بالدراسة ، أن هذه الحالات كانت لا إرادية ولم يقصد المتحاورون فيها أى عداء أو تهديد أو جفاء أو استهتار أو استئثار بالحديث ولكنهم لايشعرون بوقع مايقومون به على الآخرين وحجم الانزعاج الذى يتسببون فيه . كذلك فان هناك اشكاليات ذات طبيعة اكثر تعقيدا حين يتصارع المتحاورون لفرض «اجندة موضوعاتهم» على مساحة النقاش وما يصحب ذلك من استراتيجيات حوارية متعددة تتعلق باساليب بناء الحجة وتفنيدها واستخدام الاستراتيجيات المباشرة وغير المباشرة فى الحوار كذلك ترجع نسبة كبيرة من اشكاليات الحوار إلى اختلاف فى فهم وتفسير النصوص السابقة والمتعلقة بحوار ما وهذه من اكبر اشكاليات الواقع الحوارى فى العالم العربى على وجه الخصوص .

إن تحليل الحوار (المكتوب والمسموع) وتحليله وتحديد موقع الخلل الذى ادى إلى حدوث عدم الفهم أو التفاهم لمن الامور التى تحتاج إلى دراسة وممارسة وتدريب فهذه الانشطة هى بمثابة «كاميرات ملاعب كاس العالم» التى اشرنا إليها سابقا وهى التى توضح إلى ابعد الحدود حجم انتهاكات «أو

فأولات» الحوار وتحدد أين وقع الخطأ ولماذا ومن هنا يبدأ علاج ذلك الواقع
الحوارى الفوضوى الذى نعانى منه جميعا وإلى أبعد الحدود .

* «القنبلة» وانتهاء حوار !

إن خطورة ترك اشكاليات الحوار دون التعرف على طبيعتها ومحاولة
التعامل الايجابى معها قد يؤدى إلى حدوث مزيد من " الفأولات " غير
المقصودة أو المقصودة ، والخطورة الاكبر هى حدوث هذه «الفأولات» فى
الاقوات الحرجة لعلاقة ما سواء كانت بين افراد أو دول فيكون وقعها كوقع
قنبلة الدمار الشامل التى تنهى الحوار والعلاقة برمتها .

إن استخدام تعبير «القنبلة» ليس استخداما مجازيا ، فمن الدراسات
الطريفة التى وردت فى دراسة لعالم اللغويات الايطالى امبرتو ايكو . انه عند
تحليل الوثائق الخاصة بالقاء القنبلة الذرية على اليابان ، قامت الولايات
المتحدة ، وقبل اتخاذ اخر الخطوات لتنفيذ عملية ضرب اليابان ذريا بمحاولة
للتأكد من امكانية استسلام اليابان دون استخدام القنبلة ، وهنا استعانت
الولايات المتحدة بالاتحاد السوفيتى ليقوم بجس نبض اليابان بخصوص
الاستسلام الكامل والنهائى ، الا أن رسالة اليابانيين والتى نقلها السوفيت
اتسمت بظاهرة حوارية يابانية حيث تضمنت استخداما متعددا لادوات النفى
مع افعال التوقع والاستنكار والاستثناء والتى فهم منها طرف الحوار
الامريكى رفض اليابان للاستسلام بينما قصد الطرف اليابانى من توظيف
هذه الظاهرة الحوارية القبول بالاستسلام مع التفاوض وليس الرفض .

إن هناك امثلة اخرى عديدة لتوضيح الآثار المدمرة على علاقة ما نتيجة
لسوء الفهم أو التفاهم بين المتحاورين من ثقافات مختلفة وقد يحدث نفس
حجم سوء الفهم أو التفاهم بين افراد الثقافة الواحدة ويكون فى هذا مأساة اكبر
واسف اشد وما اكثر الأمثلة المؤلمة فى واقعنا العربى وما اكثر الامثلة الحديثة

جدا والتي ولدتها أزمة الخليج.

من منطلق هذا التقديم لطبيعة الاشكاليات الحوارية استعرض في هذا الجزء من الدراسة اشكاليات الحوار التي تمثلت في كم من الانماط الحوارية السلبية والتي تتداخل وبعضها البعض . ولكن على سبيل توضيحها لتعميق الاحساس بها سأسردها بصورة جزئية من خلال الانماط التالية :

** النمط الأول : " حوارات المباراة الصفرية " :

المقصود بهذا النمط الحوارى هو وصف تلك الحالات الصراعية غير المتعاونة في الحوار والتي تصل درجة حدتها إلى منطق تعامل مفاده «لابد ان اجعل الطرف الاخر يخسر كل شىء وان اكسب انا كل شىء» ، وهذا ما يطلق عليه اصحاب نظريات مباريات التفاوض Game theorists في علم العلاقات الدولية «مباراة محصلتها صفر» "Zero-Sum Game" وطبقا لقواعد هذه المباراة فان المتحاورين يؤمنون بان ادارة الصراع الاجتماعى والسياسى لا تحتمل حلولا وسطا - أى أن الامر ينبغى وان يكون اما رفضا مطلقا أو قبولا مطلقا «اما قاتلا أو مقتولا» وممارسة هذه النوعية من المباريات تعتبر من اسوا انماط ادارة الحوار التفاوضى اجتماعيا وسياسيا ، فمفهوم المنافسة والمسابقة طبقا لهذه النوعية من المباريات لا يكون عادة من خلال الاستعداد واللياقة والسعى للفوز بطريقة شرعية ، بل ان الفوز يتحقق اساسا من خلال تدمير وتشويه الاخر . والمؤسف حقا انه في الوقت الذى لم يعد العالم فيه متقبلا لمباراة «المحصلة صفر» وبعد أن أصبح يسود معظم قطاعات هذا العالم المتقدم قواعد مباراة اخرى تسمى بـ «اكسب واكسب» أو مايسمى «بعكس» (اسم المباراة الاولى) - «المحصلة ليست صفرا» (Non-Zero-Sum Game) ، نجد ان المباراة الاولى أى «المحصلة صفر» هى التى لاتزال شائعة للغاية بين اعضاء النخبة والعامه في العالم العربى .

ولقد تجسد هذا النمط من خلال كتابات ومواقف كثيرة لأعضاء النخبة العربية اثناء المراحل المختلفة من الازمة إلى ان " الخطاب النخبوى " من ناحية قد جسد هذا النمط وكان من الواضح أن " خطاب السلطة " ايضاً قد جسده فعلى سبيل المثال أصر العراق على أن يعطب هذه المباراة الصفرية من ناحيته وان يصير عليها في كافة مراحل الازمة إلى أن خسر في ادارتها .فلو ادار الازمة بسلوك غير سلوك " المباراة الصفرية " واستجاب لنداء العقلانية وانسحب من الكويت بعد هذا الكم الهائل من المبادرات التى قام بها عدد كبير من زعماء العالم وهيئاته لكان ناتج الامر مختلفاً ولفضح على الأقل مواقف المتربصين ، اذا كان السياق تحكمه نظرية المتربصين والمتأمرين !!! .

*** النمط الثانى : حوارات " التأطير " Framing

والمقصود " بنمط التأطير " هو عملية تصنيف المتحاورين لبعضهم البعض أثناء التفاعل الحوارى .

ولقد وجد كاتب هذه السطور - من خلال تحليل كم كبير من التفاعلات الحوارية المنطوقة والمكتوبة . أن هذا النمط يمثل واحداً من أكثر أنماط الحوار شيوعاً وسلبية ويوظفه المتحاورون من كافة التوجهات التى تمثل «الخطابات» (المطارحات) المتعددة والمتصارعة في العالم العربى، سواء كانت هذه «الخطابات» «يمنية» «يسارية» ، «اسلامية» ، «علمانية» «مستقلة» أو فاشية (على حد وصف د . سعد الدين ابراهيم لبعضها) ونجد أن أكثر الأمثلة التى تعكس الطبيعة التناحرية بين هذه الخطابات هو ذلك القول المتبادل بأن «هذا عميل» ، و هذا «عنصر مندس» وذلك «متطرف» وهذا «رجل قوال أو هؤلاء قوالون» .. الخ

والملاحظ أن الاشكالية في هذه التصنيفات - رغم أنها قد تكون صحيحة في سياق ما في بعض الاحيان - إذا وجد الدليل الواضح عليها - الا ان التفسير

الذى استطيع تقديمه بخصوص ما يتعلق بـ «التأطير» في الحوار وبعد تحليل العديد من المواقف التفاوضية على المستويين الاجتماعي والسياسي يرجع الى الآتي :-

١ - أن يكون المتحاور قد عزم النية على تشويه الآخر من خلال وضعه في قالب ما لا يكون موضوع استحسان من الأغلبية رغم أدراك ذلك المتحاور لما يفعله .

٢ - أن يكون المتحاور حسن النية ولكنه يستخدم أسلوب التأطير من منطلق فهمه وأدراكه الطبيعي للأمور ، ولقد أثبت التحليل ، أنه في أغلب الأحيان يكون المتحاور تحت تأثير «نظرية المؤامرة» التي تكون قد ولدت لديه قنوات وأوعية ذهنية مفادها أن هناك دائماً «مؤامرة» وهناك دائماً «متآمرون» على مستوى التفاعل الاجتماعي والسياسي وبالتالي فإن كل شيء «مرسوم» و «متوضب» وليس هناك هامش للحركة بصيغة فاعلة . وهذه النوعية التي تمكنت منها «النظرة التأمرية» للواقع الاجتماعي والسياسي قد فقدت القدرة على التعامل الايجابي مع الواقع وتكون مساحة الادراك لديها لامكانية وجود «ميكانيزمات» معقدة لاشأن ولا علاقة لها بمفهوم «الأمور المرسومة» غير وارد ولو حتى بنسبة ضئيلة . كذلك أوضح تحليل البيانات موضع الدراسة افتقاد هذه النوعية للقدرة على إقامة الدليل الواضح والصحيح لما تذهب اليه من تفسيرات وكذلك وجود خلط كبير لديها في تفسير الشواهد والنصوص . كذلك فإن لغة هذه النوعية من المتحاورين تتسم باستخدام مكثف للمبنى للمجهول "دُبر" "رُسم" "خُطط" الخ والأفعال التي لا يتحدد معها الفعل (Process verbs) ، مثل "سيحدث" "سيتم" .

٣ - أن يكون سبب استخدام أساليب «التأطير» هو خليط من ١ ، ٢ .

وللتأطير أساليب متعددة وأكثرها شيوعاً هو أخراج الكلمات والعبارات بل والنصوص برمتها عن سياقاتها الأصلية عمداً أو سهواً ، وهذا مايسميه خبراء علم اللغويات الاجتماعى بالDecontextualization. وهناك أسلوب آخر يتم من خلاله استخدام الألفاظ والعبارات التى تترك أطيب الأثر لدى المتلقى لها لتحقيق أهداف غير أخلاقية تتعارض ودلالة المفاهيم المستخدمة فى حقيقتها ، وطبقاً لذلك فقد تكون «حرب التحرير» حرب غزو دنيئة فى واقعها والاجراءات الديمقراطية قد تكون إجراءات قمعية و«كشوف البركة» قد تكون فى واقعها «كشوف رشوة» وهذا ما يطلق عليه خبراء علم اللغويات الاجتماعى Sociolinguists بما يسمى بـLinguistic Manipulation وإذا كان نمط «التأطير» من أكثر الأنماط الحوارية سلبية وشيوعاً فى المجتمع العربى ، فهذا لاينفى عالميته واستخدام أفراد وجماعات الثقافات الأخرى له خاصة فى الصراعات السياسية ولهذا الأمر سياق تفصيلى يندرج تحت ما اسماء خبراء علم اللغويات الاجتماعى «بلغويات أروويل» Orwellian Linguistics وهذا التعبير مستوحى من أشهر روايات الكاتب البريطانى المعروف جورج أروويل بعنوان ١٩٨٤ وفى هذه الرواية يتصور أروويل وجود مدينة غير فاضلة "Negative Utopia" تمارس فيها أشكال التأطير المختلفة .

لقد تبنت أجهزة الإعلام العراقية منهج " لغويات أرويل " الى أبعد الحدود عند إدارتها للازمة فلقد قامت بتغليف الممارسات العراقية البغضية بمسميات رأت القيادة العراقية أنها ذات وقع إيجابى على الجماهير العربية مثل : إن الغزو قد جاء لمساندة حكومة الثورة فى الكويت.

ثم الانتقال الى القول بأن هذا الأمر جاء أيضاً لتوزيع الثروة واقامة العدل الاجتماعى بين الدول الغنية والدول الفقيرة وأن ما قام به العراق هو نوع من مقاومة ما فرضه ذلك المقص الاستعمارى الذى ساهم فى قطع الكويت عن العراق « وحجة الحق التاريخى » أنظر الى نص خطاب الرئيس العراقى المرسل

إلى الرئيس مبارك بملحق الدراسة ولقد أكدت أجهزة الدعاية العراقية على محاولة تثبيت أفعال القول "التأطيرية" هذه من خلال تحركات حوارية تمثلت في إرسال تهنئته لإلمانيا بمناسبة الوحدة (أثناء الفترة الأولى من الأزمة) سعياً في تأكيد تشبيه العراق بضم الكويت بالوحدة الإلمانية . كذلك نجد هذا الاسلوب التأطيري يتجسد في تعبير «ضيوف العراق» على الرهائن إلى آخره . أما على صعيد تفاعلات الأزمة الثقافية المزمنة التي تذخر بعشرات الأمثلة يتجسد من خلالها أساليب التأطير في الحوار ، نستشهد بمقال للكاتب الكبير ثروت أباظة بعنوان:

أقتل وبهتان؟!

سأل شاب من شهود ندوات المعرض واحدا ممن كانوا ينتسبون إلى الأخوان المسلمين ثم أصبح ينتسب إلى المتطرفين « لماذا قتلتم النقراشى ؟ » فإذا المتطرف يجيب في ثقة أن النقراشى كان عميلا للانجليز كبرت كلمة تخرج من أفواههم أبهذا يأمر الإسلام .. أيامر الإسلام بشاهدة الزور ورمى الناس بالباطل والاعتداء على تاريخ الكرام بهذه السهولة وهذا اليسر .. النقراشى الذى وضع رأسه على يده هو وزميله أحمد ماهر واتهما بتهم خطيرة من أنهما كانا يقتلان الانجليز وقدا إلى القضاء وكادا يفقدان حياتهما . هذا النقراشى كان عميلا للانجليز ؟

النقراشى الذى وقف في هيئة الأمم المتحدة يصيح بالانجليز في مواجهتهم أخرجوا من بلادنا أيها القراصنة فتدوى صرخته في العالم اجمع فهى صرخة لم يسمعها المحتلون طوال حياتهم ولم يقله قائل لهم قبل النقراشى . النقراشى كان عميلا للانجليز . فماذا جمع من هذه العمالة وكان ما كان في جيبه حين قتلتموه ثلاثة جنيهاً والله وحده يعلم كيف كان يعيش كموظف ليس له من دخل إلا مرتبه . النقراشى كان عميلا ؟ !

أيها القاتل السفاك المزور لقد حدثت في مصر في عام ٥٢ ثورة وقد حاولت بقضها وقضيضها أن تعصف برجال الحكم الذي كان قبلهم وتكونت المحاكم في شتى أوقات وشتى أسماء منها محكمة الثورة ومنها محكمة الغدر وغيرهما وغيرهما ما استطاع الببغاوات من الضباط الذين وضعتهم الثورة على كراسي القضاء المقدس أن ينالوا من الشرف الوطني لواحد ممن حاكموهم وكم اساءوا إلى رجال مصر وكم تهجموا عليهم الباطل . ولكن الثورة وممثليها وقواتها وقضااتها الذين لم يكونوا قضاة لم يستطعوا أن يمسوا وطنية شخصية واحدة من الشخصيات التي حاكوا حولهم ما حاكوا واختلفوا عليهم ما اختلفوا لم تستطع الثورة بكل جبروتها الذي نعرفه ان تدعى ان بين رجال مصر عميلا واحداً . وبين رجال مصر لم يسمع عن سياسى أنه كان على صلة مربية بالانجليز إلا امين عثمان وأنا لا أعرف الرجل ولكن أعرف من يعرفونه ويقولون عنه أنه كان مصرياً صميماً ولكنه كان يرى أنه مع المحتل الذي يملك ما يملك من قوة عسكرية وجنود وحشود لا سبيل إلا تحسين العلاقات حتى تنال منه حقوقك ولو بالتدريج ما دمت لا تستطيع أن تنالها بالقوة في حرب ولا تستطيع أن تنالها جميعاً في دفعة واحدة .

وهذا رأى يقبل النقاش . وإذا نظرنا إلى تاريخنا مع الانجليز نجد أننا لنا حقنا كاملاً على مراحل بدأت بتصريح ٢٨ فبراير الذي تمكن منه ثروت باشا رحمه الله ثم مشينا مع المحتلين الهوينى حتى تم الجلاء . ومع ذلك فقد عادوا في عام ١٩٥٦ إلى حرب يريدون بها أن يستردوا ما تركوه .

فرأى أمين عثمان ليس مرفوضاً جملة وتفصيلاً وإنما كان رأياً جديراً بالمناقشة . وعلى كل حال فأمين عثمان قتل . ولم يشهد الثورة .

ومصر ترفع رأسها في فخر وعزة إلى السماء أن ليس بين رجالها خائن واحد لها ففيم إذن عدوانك هذا الأثم على النقراشى بعد أن قتلتموه أما يكفيكم

قتله وتريدون أيضا أن تعتدوا على سمعته وكرامته . كبرت كلمة تخرج من أفواهكم أهذا هو الإسلام . هل قرأتم القرآن أم على قلوب أقفالها .. هل قرأت قوله تعالى : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور » الآية ٣٠ سورة الحج ، أو لم تقرأ قوله سبحانه « والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما » .

الآية ٧٢ سورة الفرقان

ولا والله ما كان النقراشى عميلا بل كنتم قوما بورا ظالمين ومازلتم .
وأن كان هذا رأيكم في النقراشى فقتلتموه فما وضعكم للقنابل في دور السينما ودور القضاء لتقتل قوما ربما كانوا في انصاركم . تلك القنابل التي كانت تنفجر فتصيب من تصيب لا فرق بين رجل وامرأة ولا بين عجوز وطفل ولا فرق بين من يؤيدكم وبين من يعارضكم .

أن كان هذا رأيكم في النقراشى فما قتلتم الخازندار القاضى الذى حكم على واحد منكم حكما لم ترضوا عنه ٩

لماذا أعدت إلى الحياة ما ينبغى أن يظل بعيدا عن الذاكرة وما سيظل سبة سوداء في تاريخكم الغاشم الظلوم في تاريخ الإنسانية جمعاء . إنما هو عدم التوفيق .. أوقعكم فيه الله لأنكم لستم من أهل الله .. فلو كنتم من أهله ما استحللتم دم البشر ولا كرامات الناس .. والله سبحانه هو المولى وهو نعم الوكيل ..

بقلم ثروت أباطة

الأهرام ٢٧ / ١ / ١٩٩٢

*** النمط الثالث : حوارات " تضخم الاحساس بالذات " .

والمقصود بهذا النمط أن يقوم المتحاور بتوظيف أساليب المبالغة التي تعكس درجات متعددة من الانفعالات غير الموضوعية التي يسيطر عليها

أحساس بتضخم الذات والاستخفاف الفعلي بالآخر والانعزال عن رؤية الحقيقة المجردة . ويرجع شيوع استخدام هذا النمط الى عدة عوامل إجتماعية وسياسية وتعليمية ومنها على وجه الخصوص هذه العوامل التي شهدتها فترة تعبئة الوطن العربى فى حقبة الستينات بطموحات كبيرة لم يتم تدريجها ومواكبتها بالإنجاز ... فالاحساس بقدرتنا وحضارتنا وقيمنا وقيمتنا فى العالم أمر مهم ، ولاشك أن له أهمية خاصة فى شحذ الهمم وهنا اذكر أننا فى اثناء فترة ابتعائنا بالخارج ، وكمجموعة من الدارسين المصريين (فى الغربية) كنا نختلس بعض الدقائق سويا عند قرب اوقات امتحانات درجة الدكتوراه لنستمع إلى أغنية « عيون مصر » لأنها كانت ولا تزال تمثل احدى هذه الاغاني الوطنية التى تشحذ النفس بكل الهمة والعزم فى مواجهة صعاب الامور ومكانتها واختلافها كمجرد أغنية انها ترتبط فى اذهننا بنمط مفقود للغاية فى الوطن العربى وهو اننا حين كنا نستمع إلى كلماتها الهادئة والقوية للغاية فى نفس الوقت كانت مصر ، جيشا وشعبا ومؤسسات تترجم كلماتها القوية والمعبرة عن ارادة مصر وشموخها الى واقع فعلى بعبور قواتنا الباسلة الى الضفة الشرقية للقناة وتطهيرها لارض مصر الغالية من دنس المعتدين واستعادة الكرامة لمصر وللعرب . إذا فإن الاحساس بالذات فى سياق الانجاز الحقيقى لمن الامور الطبيعية لدى البشر عموماً الا أن تضخم الاحساس بالذات ، خاصة إذا ما صاحبه الفشل فى تحقيق إنجاز فعلى ليمثل ابشع الصور سلبية فى مجتمعنا العربى . لقد فقدت المعانى دلالتها على الصعيد العربى بسبب توظيف هذا النمط فى الكثير من تفاعلاتنا ، ومن الأمثلة التى استوقفنى فى الفترة الماضية هى تشبيه أحد معلقينا الرياضيين لتعادل الفريق المصرى مع بعض الفرق العالمية فى مسابقة كأس العالم الماضية بإيطاليا، بأنه انتصار ولم يتوان هذا المعلق عن الاسراع بسؤال لكابتن الفريق القومى قائلاً « لمن تهدى هذا الفوز ؟ !! » وإذا كان هناك الكثير من الأمثلة على صعيد التفاعلات الحوارية

الاجتماعية ، فإن جذور هذا النمط قد تجسدت بصورة صارخة للغاية في تفاعلات أزمة الخليج السياسية – فالعراق رغم أنه وصل الى أن يكون إحدى القوى العربية الرئيسية والتي فقدناها بسبب رعونة اداء النظام العراقى وعدم جديته إلا أنه كان يصور للجماهير العربية « بأنه قادر على انزال الهزيمة المؤكدة بالقوات المتحالفة كلها » – وبالحرب لأكثر من ألف عام وأن صدام هو السبب في إستقالة مارجریت تاتشر وشيفرنادزة وإلى ذلك من المقولات .. الأمر الذى كان يرثى له من يعرف حقائق الاوضاع . لقد كان لعمق تأصل نمط تضخم الاحساس بالذات العربية في العقود السابقة وخاصة في فترة ما قبل حرب ١٩٦٧ أن نجحت القيادة العراقية في استغلال هيمنة هذا النمط وما اثبت ذلك انها استطاعت ان تستقطب لمقولاتها اعداداً كبيرة من الشارع العربى خاصة اثناء فترة الأزمة .. ولعل من الأمثلة الشيقة في هذا الصدد هو مثال " كويتنام " .. فلقد ظهر جنرال أمريكى سابق على شاشات التلفزيون الامريكى يتحدث عن مخاطر الحرب في الخليج ويعيد الى الأذهان ذكرى إليمة لدى الامريكيين وهى ذكر فيتنام واستخدم تعبير « كويتنام » على سبيل التحذير ان الموقف في الخليج قد يكون بمثابة فيتنام اخرى وهنا إلتقطت وسائل الاعلام العراقية التعبير وردده ورددده صدام حسين إلى الدرجة التى صدق معها صدام بان هذا الامر قد يحدث وأن الوجود العراقى في الكويت لا بد وأن يستمر وليكن اسم الصمود والتصدى إذاً هو " كويتنام " وأن فيتنام اخرى تنتظر أمريكا في الخليج وكان بداية الفعل نحو تحويل الخليج إلى فيتنام هو الاسم فقط !! أى كويتنام . وبهذا تجاهل صدام العراق القيام بالحسابات الدقيقة والاعتبارات الجادة لكل تعقيدات الموقف ماخوذاً أساساً بموسيقى اللفظ الضخم مرة أخرى . ليضيف إلى أمثلة الاحساس بتضخم الذات الكثيرة في واقعنا العربى اسوأ وابشع الامثلة .

**** النمط الرابع :حوارات « رد الفعل المتأخر » "Delayed Reaction" :**

يرتبط هذا النمط الحوارى بنمط آخر يمثلته تناقض القول والفعل والقول والقول والأمر ليس أخلاقيا فقط ولكنه يرجع الى فقدان القدرة على استيعاب الموقف ووضوح الرؤية والتدرب على سرعة تكوين الرأى الصائب والثابت عند التفاعل أثناء الوقت الفعلى لحدث ما "Real Time Interaction" فكثيرا ما يخالف المتحاورون فى العالم العربى ما قد أترفقوا عليه فى جلسة ما بخصوص موضوع ما بسبب أجراء الحسابات « البطيئة » أو " البليدة " بعد الجلسة وعدم القدرة على الرؤية الصائبة والمتسقة فى وقت الحدث . وهؤلاء يعانون من ظاهرة رد الفعل المتأخر Delayed Reaction وهذا ماجسده أداء بعض أعضاء الأسرة العربية فى تفاعلات الازمة وأوضح مثال على ذلك هو ادانة البعض للغزو العراقى فى قمة القاهرة فى ٨ أغسطس (١٩٩٠) ثم مفاجأتهم للجميع بتكوين رأى آخر بعد الرأى الأول له معطيات أخرى تتناقض مع محاضر المؤتمر والموقف الذى سجلوه أثناء تفاعلات محاضر المؤتمر . وإذا ما استرجع كل منا شريط احداث التفاعلات اليومية التى مر بها لوجد حتما العديد من الأمثلة التى تجسد نمط «رد الفعل المتأخر» فى الحوار التفاوضى وهذا النمط السلبي ما زال يتسبب فى إحداث اعاقة رئيسية لابسط صور الوصول الى حد أدنى من الاتفاق المبدئى ذى الطابع الاستمرارى والذى لانجده بالطبع مفتقدا فى تفاعلات العالم المتقدم.

ولعل أحداث مؤتمر السلام الأخيرة بمدريد وما تلاها من خطوات قد اقلت بالضوء على هذا النمط والذى تجسد فيما قالتة حين قال احد أعضاء الوفود العربية اننا نفعل الان ماكان يطلبه السادات منا ولكن بعد أكثر من عقد من الزمان. لقد امتثلت الصحف العربية بعناوين من المقالات العديدة التى تلقى بالضوء على نمط "رد الفعل المتأخر" دون الاشارة المباشرة إلى هذا النمط

بعينه بل من خلال الإشارة إلى تبعات تأصله في التفاعلات العربية وهذا ما ينعكس جلياً في عناوين مقالات كثيرة مثل «قبل ضياع الفرصة» إنظر على سبيل المثال لا الحصر أحمد نافع الأهرام ١٩٩٠/٨/٢٦ «قبل أن تضيع الفرصة الأخيرة» احسان بكر الأهرام ١٩٩٠/٨/١٤ ... وكأن هذه النوعية من المقالات تمثل ارسال نداءات للطراف العربية بالتخلي عن القيام برد فعل بعد فوات اوانه .

***النمط الخامس»: حوارات "المؤامرة الكبرى"

«الاصابع الخفية» ، «والايدى الخفية» هذه بعض من تلك التعبيرات التي كثيراً ما نسمعها في تعاملاتنا الاجتماعية والسياسية وكذلك تلك المنطوقات التي تبدأ «بهناك ...» «هناك من يههمه ...الخ» "وهناك من يتأمر" ... أو بأفعال المبني للمجهول المختلفة ولا تعرف من المتحدث ومن هم "هؤلاء" في كثير من الاحيان .. وفي إحدى الندوات وكانت عن طه حسين ومستقبل الثقافة العربية في كلية الآداب بجامعة القاهرة وقع في يدى بحث عن الثقافة العربية لباحث أردنى من جامعة اليرموك كان ضيف على جامعه القاهرة ولعل أبدأ تحليل نمط المؤامرة بالاستشهاد بتعبيرات وقعت عيني عليها في الصفحة الأولى من بحثه الذى القاه عام ١٩٨٩ وهى :-

«إن أخطر ما في الأمر أن الوطن العربى قد أقحم إقحاماً وزج به زجاً بلا شفقة عليه أو رحمة به ، وبلا متسع لديه من الوقت كى يلتقط انفاسه، وقد أدخل في دنيا جديدة لايعرف لها أول من آخر ... ما الذى يُراد به ؟ وما الذى اصابه أو حدث له في هذا المضطرب الجديد ... هل هذا الهامش الضيق الذى مُنح للوطن

العربى يتسع لكى يتحرك فيه بإرادة وحرية...

أبوالعدوس ١٩٨٩ : ١ «

إن هذه المقولة اعلاه تتسم بكثافة الادوات اللغوية التي تعكس أدوات نمط المؤامرة بجلاء شديد وتعكس تصوراً أساسياً يتكرر سماعه من اغلبية من ممثلى النخبة العربية الذين تسيطر على مقولاتهم ملامح نظرية وسيناريو المؤامرة ... بصورة شعورية أو لا شعورية . لقد تأصل هذا النمط في الفكر العربى على مدى سنوات التدهور والتخلف وإذا كان العديد من أعضاء النخبة قد تشبعوا بهذا السيناريو التأمري الذى تسلط على تفكيرهم فما بالنا بحجم الاشكالية على مستوى العامة؟ .. لقد كانت ساحة العقل العربى مهيئة للغاية لتفسير ماحدث في أزمة الخليج على أنه في المقام الأول مؤامرة جبارة قد رُسمت كل تفاصيلها بعناية بالغة من قبل الاعداء. وبأنها مؤامرة صليبية أو صهيونية أو الاثنين معاً... وإنما استمرار أكيد لسيناريو التآمر على العرب والمسلمين منذ قرون طويلة . أن الكارثة تكمن في هذا التبسيط الشديد للأمور والذى أدى إلى فقدان كل عوامل الصيغة الفاعلة التى تتعامل مع تعقيدات الأمور بنوع من الاقتدار بدلاً من هذا السقوط في براثن فكرة التآمر السلبية. وهذا لايعنى أنه ليس هناك مؤامرة ولكن هناك دائماً «أجندات» مختلفة بكل تأكيد للمتصارعين والمتنافسين معنا وهم بطبيعة الحال يريدون فرض «أجنداتهم» كلما سنحت لهم الظروف بذلك ... ولكن الايمان بأن ذلك " الآخر " المتآمر علينا على هذا القدر من الجبروت الذى يخلق كل الظروف السانحة لتحقيق أهدافه فهذا أمر مُبالغ فيه وينقصه الفهم الحقيقى للأمور والطبيعة العلمية للتفاعلات الدولية من ناحية وكذلك ينقصه القراءة المتأنية لتاريخ العرب والمسلمين الأوائل الذين واجهوا «أجندات الآخرين» بصيغة فاعله كانت تقطع الطريق دائماً على ذلك التآمر بدلاً من الشكوى الاستسلامية بشأنه، كذلك أن المتصارعين أو المتنافسين معنا هم بالدرجة الأولى سياسيون والسياسة هى فن الممكن

واستغلال انماط تفاعل الآخر وليست عملية «خلق من جديد» لظروف أو لديناميكيات معينة ولكنها دائماً وابتداءً استغلال لما هو مسموح به وقابل للتحقيق . ولقد كانت طبيعة مكونات منطقة الشرق الأوسط تسمح بقدر من الاختراق الخارجى ولقد كان هذا الاختراق أو حجمه وتحجيمه أو تعميقه دائماً مرتبطاً بما تصنعه مكونات هذا النظام في الشرق الأوسط وكذلك بالقائمين على إدارة الصراع وقدراتهم المتباينة وتوجهاتهم . ولزيد من التفاصيل في هذا الصدد أرجع إلى كتاب كارل براون بعنوان **السياسة الدولية والشرق الأوسط (١٩٨٤)** . وإذا عدنا بعد هذا السرد النظرى لتفاعلات أزمة الخليج لوجدنا أن نمط المؤامرة يحدث عادة مع مجموعة أخرى من الأنماط وأكثرها هو نمط التآطير من أجل التشوية . والمراقب للأحداث يجد كم كبير للغاية من اطراف الخطابات المتصارعة في العالم العربى - سواء كانت سلطوية أى معبرة عن الانظمة أو كانت معارضة داخلية تتهم بعضها البعض بالعمالة أساساً . وقد يكون الأمر ليس من قبل تشوية الآخر العربى أو الاسلامى ولكن تكون المباراة الصفرية في العديد من الحالات هى المحركة لمنهج التفاعل . وكذلك يلعب حدود الادراك لبعض الاطراف الدور الرئيسى في الترجمة التآمرية للأحداث . ولقد تنوعت أطروحات التآمر في تفاعلات أزمة الخليج فلقد رأى الكثيرون ان الأمر كله مجرد فخ أمريكى قد نُصب لكل من العراق والكويت وإن أمريكا قد حرضت كل أطراف النزاع الرئيسية ؛ أولاً على الغزو ثم على رد الفعل تجاه هذا الغزو بحيث لا يوجد أى مساحة لدى أصحاب العقلية التآمرية ليتصوروا حدوث الامر بطريقة أخرى أو لاسباب رئيسية أخرى مثل جهل وحماقة وإستبداد بعض الاطراف .. في المقام الأول !!.

**** النمط السادس : حوارات "المواربة" أو اللامباشرة Indirectness**

ونمط المواربة أو اللامباشرة من الانماط التى تستخدم من قبل المتحاورين لطرح موضوع ما بصورة غير مباشرة بحيث يقع دائماً على المتلقى للكلام عبء

فهم ما المقصود به . فعلى سبيل المثال حين يقول متحدث ما لصديقه في حوار «الساعة الثانية عشر الان!» ويتصور المتحدث أن على المتلقى أن يفهم أن المعنى هو «ليس إشارة لمجرد تأخر الوقت وإنما المقولة تعنى شيئاً مثل «دعنا نعود إلى منازلنا» أو «ليس من المناسب الذهاب لصديق ثالث الان» (أو حان الان موعد الدواء !) أو كثير من المعانى الأخرى التى تحددها خلفية سياق الحديث وطبيعة علاقة المتحاورين ... ويلاحظ المراقب أن إستخدام هذا النمط يتردد كثيراً في لحظات التفاعلات الحوارية التى قد تتطلبها بعض المواقف في السياقين الاجتماعى والسياسى، إلا ان سوء توظيف هذا الأسلوب وكثرة إستخدامه حين لا يكون مناسباً يعد من أكثر سلبيات تفاعلاتنا الحوارية في الوطن العربى ففي الوقت الذى ينبغى فيه المصارحة والوضوح وينبغى أن يكون مايقترح واضحاً دون مواربة نجد أن الكثيرين يوظفون نمط "اللامباشرة" هذا بطريقة تسبىء الى صحة العلاقة بين المتحاورين وعلى حساب تحديد الامور مما قد ينتج عن ذلك مشكلات في عملية التواصل الحوارية قد تؤدي إلى سوء فهم. وهناك العديد من الدراسات في مجال اللغويات الاجتماعيه وعملية الاتصال عبر الثقافات قد تعرضت لهذا النمط ولمزيد من التفصيل «راجع Tannen ١٩٨٦ وحسن وجيه ١٩٨٩».

حوار جلاسبى الشهير !؟

في سياق الازمة بالخليج نورد في هذا الجزء من الدراسة ذلك الحوار الشهير بين الرئيس العراقى والسفيرة الأمريكية ابريل جلاسبى . وأهمية هذا الحوار هو أنه قد تمت ترجمته وتفسيره من قبل العراق على انه بمثابة الضوء الأخضر من الولايات المتحدة للعراق لغزو الكويت، وإذا كنا نريد تسليط الضوء على ميكانزم «المواربة» كما يتضح من حوار جلاسبى وصدام فلننا سوف نقدم تحليلاً موجزاً لهذا الحوار بناءً على النص الذى تداولته اجهزة الاعلام الدولية من خلال ثلاثة ميكانزمات وهى :

(١) اللامباشرة (٢) المؤامرة (٣) طبيعة التفاوض والتساوم .
لقد كان الجزء الهام من حوار جلاسي وصدام الذي حدث يوم ٢٥ يوليو ١٩٩٠ والذي اعتبر على انه بمثابة اعطاء الضوء الاخضر لغزو الكويت كمايلي :

جلاسي لصدام : «الرئيس جورج بوش،
شخصياً، يريد أن يطور ويعمق العلاقات مع
العراق واننا لسنا لدينا ما نقوله بخصوص
الاختلافات العربية العريقة مثل موضوع
حدودك مع الكويت . وكل ما نأمل فيه أن تحل
هذه الامور سريعاً » .

[التايم ١ / ١٠ / ١٩٩٠]

ان هذا الجزء من الحوار يقيد أن ابريل جلاسي قد تيقنت من ان نمط
اللامباشرة "أو المواربة " هو نمط المقترحات المفضل في كثير من التفاعلات
الاجتماعية العربية وبالتالي اذا كان في نيتها الايحاء بإعطاء الضوء الاخضر
لصدام فانها قد تمكنت من توظيف نمط المواربة واللامباشرة السائد في
التفاعلات العربية بجدارة ويكون استخدامها لاداة اللامباشرة الحوارية
بمثابة الطعم الذي ابتلعه صدام دون احتراز من جانبه ويكون بذلك قد صدق
أن امريكا ليس لها رأى ، فيما يتعلق بالاختلافات العربية العربية مثل موضوع
الحدود بين العراق والكويت كذلك يكون صدام قد افتقد الفهم الصحيح
والادراك لطبيعة الفرق بين " التفاوض والتساوم " (Negotiation &
Bargaining) فعادة ما يتسم التفاوض بالطرح المباشر والواضح بهدف
الوصول الى اتفاق ما من خلال تبادل المصالح المشتركة والاعتراف بهذه
المصالح. كذلك فإن التفاوض يتعرض لكل تفاصيل الامور التي يجب وأن

تنتهج من قبل طرفي التفاوض حتى وان كان سرياً في حين ان المساومة (Bargaining) تتمثل في التحركات والمقولات التي تكون عادة غير مباشرة وتكون غير معلنة في بعض الاحيان ومن (امثلة ذلك الخط الاحمر في لبنان بين اسرائيل وسوريا فالطرفان يفهمان عدم تجاوزه ويحدث ذلك في الواقع دون وجود اتفاق تفاوضي صريح بذلك . إن المشكلة تكمن في ان صدام يصور حوار جلاسبي على انه عمل صريح ومباشر من جانب أمريكا لاعطاء الضوء الأخضر لغزو الكويت (اي انه بمثابة تفاوض سري مثلاً) وهذا يوضح افتقاد صدام لفهم طبيعته التفاعل التفاوضي والتساومي . والفرق بينهما .. الامر الذي قد تجسد بشكل واضح في العديد من مواقف صدام التفاوضية الاخرى قبل واثناء وبعد الأزمة . اما جلاسبي وكذلك أى محلل محايد في الشئون الدبلوماسية يعي جيداً ان التساوم في الاساس يعني قابلية انكار الرسائل أو (Deniability of Messages) من قبل طرفي التساوم ولايعنى ما يعينه التفاوض من الوضوح وعدم قابلية الانكار في الاساس فكلام جلاسبي لايعنى بالضرورة احياء بالتحريض على الغزو اذا تم تفسيره بمعزل عن الغزو.... بل من الممكن جداً أن يفهم على انه تأدب ودبلوماسية من قبل سفيرة أجنبية عند محادثة لها مع زعيم عربي . فقولها " اننا لسنا لدينا ما نقوله بخصوص الاختلافات العربية العربية ، مثل موضوع حدودك مع الكويت . وكل ما نأمل فيه أن تحل هذه الامور سريعاً لايجوز تفسيره باطلاقية كما حدث من جانب العراق على أنه بمثابة " الضوء الاخضر " الذي شجع صدام على القيام بالغزو . ولكن الذي قد راج بعد نشر حديث جلاسبي في العالم العربي ان الامر مؤامرة فقط . فمن المحتمل أن يكون الامريكيون قد اغروا العراقيين ووقعوا بينهم وبين الكويتين ، ليتذرعوها بما جرى ولكن لماذا تصر العقلية التأمرية على ان التحريض هو العامل الرئيسي في كل ما حدث وتحجب دعاوى صدام بشأن الحقوق التاريخية للعراق وهي لم تكن بجديدة . وتحجب امر ان الغزو قد جاء

من دوافع اخرى مثل المصلحة الاقتصادية ففى ذلك الوقت كان العراق يمر بمحنة اقتصادية كبيرة عقب حربه مع ايران وان احتلاله للكويت كان يمثل حلاً لازمته حسب تصور اخر ؟ .. ولماذا حجبت العقلية التأميرية أهمية ان يصرف النظام السلطوى والاستبدادى في بغداد جيشة الى امور أخرى بحيث لا يكون هناك فرصة مواتية لاحداث انقلاب ضد السلطة ؟! ولماذا يحجب اصحاب العقلية التأميرية عرض صدام على جلاسبى اثناء حوارهم معها ان يحل محل المملكة العربية السعودية في علاقاتها الوثيقة مع الولايات المتحدة قائلاً لها : " ان العراق افضل لكم من التحالف مع السعودية " . لقد كان عهد العقلية التأميرية في العالم العربى على الصعيدين الاجتماعى والسياسى أن تتجاهل مجموعة العوامل الكثيرة والاحتمالات المختلفة التى تتواكب مع حدث ما وتقتصر تفكيرها فقط على فكرة المؤامرة والاستهداف فقط ولاغير .

النمط السابع :حوارات " دفن المقولة الرئيسية " .

من سمات تفاعلاتنا السلبية على الصعيدين الاجتماعى والسياسى في العالم العربى ذلك الاسهاب والاطناب والتكرار دون داع لذلك .. الأمر الذى يصعب معه تحديد المقولة الرئيسية التى يريد المتحاور / الكاتب أو المتحدث ان ينقلها للمتحاور الآخر . وهذا النمط هو ما أريد أن اسميه " دفن المقولة الرئيسية " (... أى دفنها في خضم اسهاب لغوى بدلاً من البدء بها بوضوح ثم تدعيمها) . واحياناً تكون عملية " دفن المقولة الرئيسية " عن عمد حين يريد المتحاور ان يكون غير مباشر في حوارهم من خلال التمويه على المقولة الرئيسية . ولكن في معظم الاحيان تتم عملية " دفن المقولة الرئيسية " ومايصاحبها بطريقة لا شعورية . في حوارات الكثيرين من المتحاورين . ولعل ما أدى إلى رسوخ هذا النمط في تفاعلاتنا هو ممارسات عديدة على المستوى الثقافى تتمثل في أهمية وضرورة أن تكون خطبة الرؤساء طويلة وكذلك خطب الجمعة

ورسائل الدكتوراه وحتى العديد من الاغانى خاصة في فترة الستينات والسبعينات ... الا ان طبيعة العصر بدأت تفرض نفسها فبدأ هذا الامر في التغيير إلى حد ما وشاع في الشارع المصرى تعبير يتداوله رجل الشارع عند تحاوره مع الآخرين يقول "هات من الآخر" . إلا أن ارث التطويل والاسهاب المنافي لطبيعة العصر يبدو وانه لا تزال له الغلبة على تفاعلات الكثيرين إلى الان . والامثلة كثيرة ولكن من أكثر الامثلة الواضحة التى جسدت هذا النمط بصورة فريدة هو ذلك الخطاب الذى ارسله الرئيس صدام حسين للرئيس حسنى مبارك للتغاضى عن الوقوف في وجه الغزو للكويت والوقوف بجانب العراق في هذه الازمة والخطاب (النص الكامل لهذا الخطاب بملحق الدراسة ص ٢٤٩) يجسد العديد من الانماط السلبيه الأخرى . واهمها " خلط الأوراق " وتجاهل معطيات التفاعلات الدولية والاقليمية بشكل يدعو للدهشة . ولكن ما اركز عليه هنا هو نمط الاسهاب والاتيان بالمقولة الرئيسيه بعد مقدمات متعددة . فالقارئ لهذا الخطاب يستغرق الوقت ويبدل الجهد للتعرف على المقولة الرئيسيه (أو Claim) التى ينبغى وأن تكون قريبه وواضحة من مقدمة الطرح المكتوب أو المسموع ومن الملاحظ أيضاً في هذا الصدد ان الرئيس صدام قد بعث برسالة على شريط فيديو للرئيس الأمريكى ردّاً على رسالة الرئيس الأمريكى التي استمرت خمس دقائق ، وتناقلت وكالات الأنباء خبراً مفاده أن بوش قد جند احسن مستشاريه المتخصصين في الشئون العربيه لكي يتعرفوا وباختصار على « المقولة الرئيسيه » ويستخلصونها من خضم المقولات المتفرقة التي تضمنها شريط الفيديو الذي بعث به الرئيس صدام ودفن في مكان ما به مقولته الرئيسيه !

****النمط الثامن :حوارات الصمت والغموض**

ترتبط ميكانيزمات «الصمت والغموض» بمكايئزم اللامباشرة الذى ذكرناه

أنفاً . واستخدام هذه الميكانيزمات قد يكون له ما يبرره كادوات حوارية في سياقات معينة ، إلا أن ما نسلط الضوء عليه هنا أيضاً هو إساءة توظيفها في لحظات حرجة في علاقة ما حين يستلزم الأمر الوضوح الكافي والادلاء برأى حاسم ومحدد وتجنب الصمت واللامباشرة أو الغموض .

ولقد تناول بعض خبراء علم اللغويات الاجتماعي والاتصال عبر الثقافات هذه الميكانيزمات بالتحليل وقدمت كل من Saville-Troike, Tannen (١٩٨٥) كتاب مفصل عن ميكانيزمات الصمت عبر الثقافات المختلفة ووظائفه في عملية التحاور . فادراك الافراد والثقافات لهذه الميكانيزمات لا يزال بحاجة إلى دراسات متعمقة . ومن الامثلة الشيقة التي وردت بكتاب Saville - Troike Tannen كان عن حادثة اطلاق الطائرات القبرصية النار على طيار مصرى حينما كان مضطراً للهبوط بقبرص وطلب الهبوط ولكن لم يُصرح له بذلك وساد الصمت وهنا تصور الطيار المصرى ان الصمت يعنى «الرضا» والموافقة فهم بالنزول فإذا بالطائرات القبرصية تعترضه وتطلق رشاشاتها وتيقن الطيار عند الهبوط ان الصمت القبرصى في هذا السياق لم يكن علامة «الرضا» (انظر تنين وسافيك ١٩٨٥ : ١٩٩).

اما الدراسات المتعلقة بمفهوم الغموض في الحوار وفي الحوار السياسى على وجه التحديد فهي نادرة هي الأخرى واحدى الدراسات الهامة في هذا الصدد هي دراسة قام بها المعهد الدبلوماسى بجامعة جورجيتاون (١٩٨٥) وكانت عن الغموض المتعمد عند وضع صيغة القرار ٢٤٢ بما يسمح بموافقة اطراف الصراع وغالبية الدول الاخرى على القرار لحين التفاوض فيما بعد بشأن التفسيرات المختلفة للقرار : ولم تكن بعض الوفود المتصارعة على علم بهذا التعمد .

وحين ننظر الآن لتفاعلات ازمة الخليج لنرى تأثير ميكانيزمات كل من الصمت والغموض على سير هذه التفاعلات نجد أنها قد تم توظيفها من قبل

بعض من الاطراف العربية بما يجعل من استخدامها انتهاكاً «لمبدأ التعاون الايجابي» في الحوار وهو احد المعايير الأساسية اللازم توافرها في الحوار السليم طبقاً لما ذكره عالم اللغويات والفيلسوف جرايس وهو ما أسماه بـ (Cooperative principle).. فعلى سبيل المثال نجد انتهاكاً لهذا المبدأ حين وظف الطرف الاردني ميكانزمات «الصمت والغموض» في بداية الازمة وكان يعنى بهذا تأييد ضمنى للموقف العراقي وبالتالي تأييد ضمنى لعدم قبول الشرعية الدولية.. الامر الذي افقد الاردن الكثير من معقوليته اثناء تفاعلات الازمة وبعدها . ولقد انتقد هذا الموقف في كثير من المقالات التي أكدت على أن «الصمت» أو «الغموض» في سياقات تفاعلية مثل تفاعلات ازمة الخليج يعنى «الرضا» والموافقة فهذه هي الترجمة السائدة لمفهوم الصمت على محيط التفاعلات في المجتمع العربي . وربما لأن توظيف الصمت والغموض في الحوار قد يعنى نوعاً من الحياد احياناً واحياناً أخرى قد يعنى الابتعاد وفي أحيان أخرى قد يعنى الاستعلاء ، الا ان هذه الترجمة ليست الصحيحة في سياق تفاعلات الاردن في بداية الازمة لان ما يحسم الامر هو النظر إلى توظيف الصمت والغموض في اطار اثر افعال القول (Speech Acts) ككل . وربما ما يوضح مثل ذلك التفسير للغموض والصمت الاردني مقالات مثل مقال ابراهيم نافع بعنوان «محاولة لفهم الغموض الاردني» ٣٠ / ٨ / ١٩٩٠ بجريدة الأهرام حيث أشار الكاتب إلى أن الغموض والصمت من الجانب الاردني كان بمثابة تأييد واضح للعراق ويندرج تحت هذه الفئة العديد من المقالات الاخرى مثل مقال جمال بدوي في جريدة الوفد بعنوان « لغز الملك حسين» بتاريخ ٨ / ٢٨ وكذلك مقال لذكرياً نيل ١١ / ٨ / ١٩٩٠ (الأهرام بعنوان «نحن والرموز الغامضة في لعبة الانكسار العربي» وإذا كان ثمن الصمت من قبل بعض الاطراف العربية التي ايدت صدام باهظاً عليها وعلى العراق وعلى الأمة العربية ... الا ان ميكانزم الصمت الذي تبنته ووظفته اسرائيل في تفاعلاتها

اثناء الازمة كان له ثمن كبير لصالحها وهذا المعنى الاخير نستشفه في مقال لاحسان بكر بالاھرام ١٨/٢/١٩٩١ بعنوان « ثمن الصمت » . الامر الذي يؤكد على أن توظيف الميكانزمات الحوارية من قبل طرف ما في الوقت الملائم هو المحدد النهائي لنتائج التفاعل الحوارى السلبي أو الايجابى . وهناك عدة مقالات تلقى بالضوء على بعض الميكانزمات الرئيسية للصمت في تفاعلات أزمة الخليج . الاولى لعباس الطرابيلي بعنوان « الصمت .. الملعون ا » (الوفد ٢٥/٨/١٩٩٠) والاخرى لسعيد سنبل بعنوان « الازمة والصمت » . وفيما يل جزء من مقالة عباس الطرابيلي التي تلقى الضوء على مدى الضرر الذي نتج عن توظيف نمط الصمت في تفاعلات الازمة وتربط بين أحداث الخليج وضياع الأندلس بسبب «الصمت» :

... والذي يتابع صورة الوطن العربي الآن يجدها غاية في القتامة.. فليست هناك جامعة .. وليست هناك عربية . ويكفي لمن يريد أن يحل أن يسترجع ما حدث في مؤتمر القمة الطارئ الذي عقد بالقاهرة استجابة - ولو شكلية - لنداء الرئيس مبارك .. إذ لأول مرة ظهر جلياً عمق التفكك العربي واختلاف الأهداف، وتنوع الاهتمامات حتى وصل بنا الأمر أن رحبنا بالقوات الأجنبية ورأينا فيها البطل المنقذ لنا ولشعبنا من اعتداءات وتهورات بعضنا .

ثم ماذا حدث بعد القمة العربية .. للامة العربية والدول العربية العشرين، بعد اندماج اليمينين ! لا حس ولا خبر .. بل لا صوت سوى الصمت الرهيب - وكان كل رئيس أو بلد يرى أنه آمن داخل حدوده أو كان القضية لا تهمة ، بل تهم شعوب الزولو والماوماو . لقد نزل الصمت على كل الرؤساء والأمراء وكان الأمر لا يعينهم .. وكان كل جهادهم العربي هو الجلوس على مائدة القمة العربية حتى ولو جلسوا صامتين .. لأنهم للأسف لا يعرفون ما الذي يمكن أن يقولوه .. وإذا قال أحدهم فلا يعرف هل يرضي هذا أم يغضب ذاك !!

وإذا أخرجنا من حسابنا - للأسف الشديد - بعض الدول صغيرة الحجم والتأثير ، ولأنها ليست سوى مجرد صوت عند التصويت ، تماما كما حدث في قمة الشتامين في بغداد في نوفمبر ١٩٧٩ .. عندما كان الهدف الظاهري هو سب مصر ورئيس مصر وشعب مصر .. بينما كان الهدف « الاسمي » لهم هو ازاحة مصر وهدم دور مصر ، والغاء وجود مصر .. حتى يخلو لهم الجو - وهم الأقزام - ليصنعوا من أنفسهم أبطالاً .. ويحاولوا سد فراغ غياب مصر .. وما هم الآن - الكل يدفعون ثمن إبعاد مصر التي كانت تتحرك بلا مطامع .. وتحارب وليس في نيتها طلب الثمن .. كما فعلوا الآن إذا أخرجنا الدول الصغيرة الموجودة الآن تحت « مظلة » الجامعة العربية .. فما هي صورة الكبار الذين يمكن أن يفعلوا شيئا .. ولكنهم للأسف .. من الصامتين !!

بعيداً عن تقسيم العالم العربي إلى يسار ويمين وتقديمي ورجعي ، وانتهازي ونفعي .. ما هو الموقف الحقيقي لكل من الجزائر بكل امكاناتها العسكرية والاقتصادية والبشرية والزراعية .. وما هو موقف السودان ، وكانت دائماً في مقدمة المسرعين للعمل العربي - ولكنها الآن مفككة تحت حكم العسكر وضائعة بين عمليات انفصالية في الجنوب ، وأطماع في أراضيها من أفريقيا المسيحية !! وماذا عن اليمن - بعد التوحيد - وهي من تدعى أن شعبها أغرق العرب لأنهم - في نظرها - هم أصل العرب . ماذا عن اليمن ، وقد كنا نراها - بعد التوحيد - قوة للعرب لا دعماً للمعتدين .. وسوطاً على المعتدي عليهم .. وماذا عن المغرب ، وهل تكفي بما فعلت ، رغم أننا ننتظر منها الكثير .. من ملكها المشهور بالذكاء .. المشهود له بالعروبة ودعم الإسلام .. المغرب .. الامكانات البشرية والمالية .. والفوسفات الذي يتحول إلى مواد نووي !!

وماذا عن ليبيا .. وهل تكفي بمجرد التهديد من الانسحاب من الأمم المتحدة والتنديد بالعدوان والمعتدين .. ماذا وهي التي تعتبر

من كبرى الدول العربية المنتجة للبترول ، وكانت يوما من أعلى الأصوات صوتاً .. هل تكتفي بترك الساحة .. بعد أدانة المعتدي بنفس درجة إدانتها لأمريكا !!

ثم تونس .. التي غرفت في المشاكل ، وكنا نراها قد عادت عربية بعد ما قاله الذين انقلبوا على الحبيب .. ولكن للأسف كان الحبيب بورقيبة أكثر عروبة .

وعن الآخرين : الصومال . جيبوتي . موريتانيا . ولبنان الجريحة التي اقتسموها واشبعوها جراحاً ، وكان قادتها أكثر عروبة .. واسألوا قتلة رياض الصلح واحفاد بشاره الخوري .. لا شيء غير الصمت ..

وسوف يدفع كل العرب فاتورة ما يجرى الآن على الأرض العربية .. سوف يدفعون ثمن صمت حكامهم الذين لن تحميهم قصورهم .. ولا حرسهم الخاص ولا دنائيرهم . وسوف يدفعون - ملوكهم قبل رعاياهم - الثمن . أما عن الأردن فماذا أقول وقد كانت ملء العين .. فضاعت عن العين .. وتأهلت بين وعود شرقية من بغداد .. وتهديدات غربية من تل أبيب بالابتلاع ..

لم نعد نسمع سوى رجع الصدى .. سوى الصمت . وهذا ما حدث في أندلس المسلمين يوم تفرقوا - كطوائف - وكانوا هم ملوك الطوائف .. وأغلق كل ملك أو أمير قصره على نفسه حتى اجتاحتهم جيوش الفونسو وإيزابيلا .. وضاعت الأندلس وخرج منها آخر «أمير عربي مسلم» .

هل هي أندلس أخرى .. سوف يطويها الصمت . وهل القادمون أيضاً هم الفونسو وإيزابيلا مادام الصامتون هم أصحاب الأرض .. وهم ملوكها ..

لعن الله الصمت .. والصامتين ، حتى لو كانوا من ملوك الأرض!!

أن عدم التوظيف السليم لميكانزمات الصمت يجعل الصمت ملازماً للغموض وعدم الوضوح وربما في هذا الجزء من مقال سعيد سنبل بعنوان «الازمة والصمت» مايلقى بالضوء على الميكانزم موضع التحليل هنا على صعيد تفاعلاتنا الداخلية والتي هي جزء من سلبيات الحوار التفاوضي على مستوى الوطن العربى ودول العالم الثالث بصفة عامة . وفيما يلى نص جزء من هذا المقال والذى كان من الافضل وأن يكون عنوانه «الازمة والغموض» ليتناسب العنوان مع مضمون المقال أكثر :

.. اهتمامنا بازمة الخليج ، وتطوراتها ، يجب
 الا يصرفنا ، عن الاهتمام بازمة العائدين
 ومشاكلهم ، وبأزمة مصر ومشاكلها...
 لقد استوقفتنى عبارة نشرتها الصحف
 الصادرة أمس على لسان الدكتور عاطف
 صدقى رئيس الوزراء ، تقول العبارة :
 وناشد الدكتور صدقى المواطنين تفهم ابعاد
 الموقف الذى نتج عن احداث الخليج ، وان
 يساهموا قدر الامكان ، بالجهود الذاتية -
 خاصة ان موازنة الدولة فرضت عليها اعباء
 مالية كبيرة نتيجة النقص فى موارد السياحة
 ودخل قناة السويس ، وتحويلات المصريين
 العاملين بالخارج ، وارتفاع اسعار عدد كبير
 من السلع الأساسية عالميا .
 هذا ، ما نشرته صحف الامس ، واعترف
 اننى لم أقهم مايقصده رئيس الوزراء .
 هل يدعورئيس الوزراء المواطنين إلى
 التبرع ... ولئن ؟

هل يدعوهم إلى اقامة مشروعات بالجهود
الذاتية .. وما هي المشروعات ... وأين ؟!

* * *

وبكل امانة اقول : ان الموقف الذى نعيشه
لايحتمل الغموض أو الصمت ، أو حل المشاكل
من وراء الأبواب المغلقة !
الموقف اكبر من هذا بكثير وادق من هذا
بكثير .

الموقف يتطلب ان يخرج رئيس الوزراء وان
يتكلم بصراحة ووضوح ، ويشرح ابعاد
الموقف، ويقول ماهو المطلوب، لا أن يناشد
المواطنين من خلال كلمات غامضة غير
مفهومة .

ان كل مانطلبه من رئيس الوزراء هو ان
يتكلم ويقول الحقائق للناس، ويضع امامهم
صورة واضحة عن مشاكل مصر وهمومها
نتيجة المتغيرات الاخيرة ...

يقول لهم ما الذى تنوى الحكومة أن تفعله
لزاء هذه المشاكل .. وما الذى يجب أن تقوم به
الجماهير وتفعله ..

[الاخبار ٤ / ٩ / ١٩٩٠]

لاشك أن مسألة غموض الرسائل في عملية الاتصال قد ترجع إلى تعدد من
متحاور ما في سياق ما ولكن من تحليل الكثير من التفاعلات الاجتماعية وجد
كاتب السطور أن هذا الأمر يحدث بصورة غير متعمدة في أغلب التفاعلات التي

كانت موضع الدراسة وما أكثر ماواجهه في كتابات الطلاب من عدم تحديد للموضوعات مما يجعل كثير مما يكتبونه غامضاً ويحتاج لعلامة استفهام بجانبه. ففي كثير من الحالات نضطر لسؤال الطلاب اسئلة متعددة للوصول إلى مايريدون قوله ، فجملة " ممكن لو سمحت توضح كلامك شوية؟" هي جملة كثيرة التردد في تفاعلاتنا .. المشكلة ان كثيراً من الامور يُترك عبء تفسيرها على متلقى الكلام. ومن الامثلة الطريفة ذلك الحوار الذى دار بينى وبين استاذ في كلية الطب كان عنوان مقالة له بالعربية " دراسة طبية عشوائية " .

– فقلت له كيف تكون دراسة وكيف تكون عشوائية ؟

– فقال دى ترجمة من الانجليزية لجملة Randomized Medical study .

– فقلت ولماذا لانقول " دراسة طبية باستخدام طريقة العينة العشوائية " فيكون الكلام واضح ولاغموض فيه !! .. فليس من الشرط في عملية الترجمة ان تتم ترجمة عدد الكلمات من لغة في حدود نفس عدد الكلمات في الجملة الاخرى .. الهم هو دائماً الوضوح وعدم الغموض .

**** النمط التاسع حوارات الاحباط والياس والحيرة**

اذا كان هناك شعور كبير بالاحباط على المستويات الاجتماعية والسياسية على مستوى الوطن العربى بفعل تداعيات أزمة الخليج التى ماكانت الا تعميقاً لاحباطات اخرى سابقة وموجودة فإن النخبة قد اسهمت بالدرجة الاولى في تعميق خطاب الاحباط والياس لدى قطاعات عريضة في الامة العربية . فلقد اتسم اداء النخبة العربية بالاستغراق في وصف الاوضاع المُحبطة حتى في عملية اختيارهم لمنهج تحليل الاوضاع نجد أن الاغلبية منهم قد لجأ إلى انتهاج المنهج « التفكيكي » والتركيز عليه لحد ذاته .. الامر الذي وصل بالبعض إلى تفكيك كل ماض الامة إلى كتل من المطارحات المشكوك في كل ما تتضمنه وفي

أمر يصعب فيها الحسم الأمر الذي تعرضنا له بقدر من التحليل في الفصل الثاني الخاص بمنهجية تحليل النص وهو الأمر الذي ساهم كثيراً في وجود فراغ معرفي وروح من الشك في كثير من الأمور على الساحة العربية . ولعل أبسط توضيح لهذا الأمر هو عرض نماذج من بنك البيانات الخاص بتفاعلات أزمة الخليج أو الأزمة الثقافية المزمدة . ولنبدأ بعينات تجسد مفرداتها تلك الأزمة المزمدة التي سبقت تفاعلات أزمة الخليج ١٩٩٠ ولعل أكثر هذه العينات تمثيلاً للاحباط ... أو بمعنى آخر أكثر تعبيراً عن انزلاق أعضاء بارزين من النخبة إلى وصف الأوضاع المحبطة باوصاف ان دلت على شيء فهي تدل على تعميم وانفعالية في الوصف تزيد من تعميق الاحباط واليأس بدلاً من معالجة الأمر بصورة أكثر ايجابية . وهذه العينة تتمثل في المقولة التالية للدكتور هشام شرابي حين يقول في كتابه بعنوان «مقدمات لدراسة المجتمع العربي» :

« ان النزعة العدوانية (aggressive impulse) التي يقول فرويد انها تبدأ في البروز في الفترة الثانية من تطور الطفل البيولوجي (anal period) أى ابتداء من السنة الثانية من عمره عندما ينتقل اهتمامه إلى عملية البراز فينظر إلى برازه مثلاً كشئ ثمين وهام ، هذه هي النزعة السائدة التي تطبع الشخصية القضيبيية (Phallic personality) التي يصنعها مجتمعنا ، اعتماداً على التربية العائلية وطريقة معاملة الأطفال . ونرى هذه الشخصية القضيبيية مجسدة في أشكال ونسب مختلفة من العدوانية والشراسة . وهي على اختلاف اشكالها تتميز باعتزازها بذاتها وبشعورها انها شئ خطير وانها هدية الآلهة إلى هذا العالم . ويجد صاحبها

لذته في الحياة في إبراز الأنا ، فهو شديد الحرص على التأكد من احترام الناس له ، وفي التشديد على منزلته والدفاع عن سمعته . وهو يجد احترامه لنفسه في فرض نفسه على الآخرين، وفي تحقيرهم ، خصوصاً اذا كانوا من اقرانه واخوانه. انه في كثير من تصرفاته لا يزال طفلاً، يتأمل برازه كل صباح باهتمام وعطف كبيرين».

(شرايبي ١٩٨١ : ٢٤)

اما على صعيد عينات التفاعلات التي صاحبت أزمة الخليج على المستوى النخبوي والتي تعكس بعمق روح الاحباط واليأس نجد مقال طويل للدكتور حسن حنفي بعنوان «خطاب للأجيال القادمة» بصفحة الحوار القومي بجريدة الاهرام بتاريخ ١١/٧/١٩٩٠ ينتمى إلى خطاب الحيرة واليأس والاحباط الذى لا يزال يهيمن على كثير من تفاعلات النخبة إلا أن هذا الخطاب لم يتضمن ما هو شائع من القاء اللوم عادة على الآخرين أو على التنصل من المسؤولية ولكن هذا المقال قد تضمن الاعتراف بالاحباط في لحظة ما خاصة إذا كانت لحظة حاسمة في تاريخ الأمم دون مكابرة واستعلاء كما يحدث في كثير من تفاعلاتنا مع الاسف ولقد تجسد هذا في مقولة د . حنفي في آخر مقالة حين ذكر: «.. هل أكمل جيلنا دورة تاريخية ، هل عدنا بعد محمد على وعبد الناصر ؟ هل نحن في مخاض جديد يتعهد جيل قادم بعد ان تهرأ كل شىء ؟ " هذا اعتراف للأجيال القادمة واعتذار لها " ... ولقد كان هذا المقال موضع تأمل العديد من أعضاء النخبة ومن أمثلة هذه التأملات ما ذكره الاستاذ فهمى هويدى الذى تعرض (الاهرام ٨/١/١٩٩١) لماورد بهذا المقال ولقولات نخبوية اخرى في معرض حديثه عن «خطاب الخروج من المازق» ووصفه قائلاً انه كان بمثابة «اعتذار عن الماضى ، ويأس من الحاضر ، واستقالة من

المستقبل» (يتضمن الملحق نص مقالة الاستاذ فهمى هويدى ص ٢٧٧ ومقال د. حسن حنفى ص ٢٠٨). لقد كان لنمط «الاحباط والياس» جذور واسباب عديدة بطبيعة الحال ولقد عمقت تفاعلات الغالبية من اعضاء النخبة من تمكن هذا النمط لدى الكثيرين ولقد لاحظ د. عبد المنعم سعيد منذ فترة سبقت تفاعلات ازمة الخليج تأصل ذلك النمط في تفاعلاتنا فكانت له مقالة هامة في الاهرام بعنوان: " لماذا لانفوز بكأس العالم " (١٩٩٠ / ١ / ١٩) . وبالرغم من أن العنوان قد يبدو وكأنه حديث في الرياضة وهذا بالطبع مالا يخوض فيه د. سعيد الا إن المقال سياسى واجتماعى في المقام الأول . ومن الممكن اعتبار هذا المقال كنوع من رد الفعل الايجابي للتصدى لنمط الياس والاحباط وفقدان الثقة بالنفس لدى الكثيرين - من اعضاء النخبة الأمر الذى انعكس بالتالى على غالبية من الشباب -لقد كانت مقال د . سعيد بمثابة تحفيز للهمم لما يمكن وان تحققه مصر كدولة عريقة لها ثقلها الحضارى والثقافى وما يمكن ان يحققه الوطن العربى ككل .على شرط التخلص من هيمنة نمط اليأس والحيرة والاحباط ويتضمن ملحق الدراسة نص مقال د . سعيد ص ٢٣٤ وكذلك نص مقال لكاتب هذه السطور يتصدى لشيوع هذا النمط بعنوان « رؤية اجتماعية وسياسية» للاوضاع الراهنة بمصر (بمجلة صوت الدارسين المصريين بالولايات المتحدة وكندا (ديسمبر ١٩٨٦) (انظر الملحق ص ٢٢٩).

**** النمط العاشر : " حوارات جدلية الوسائل " (التسحلف):**

وهذا النمط يتجسد في فقدان الاتساق بين تحقيق الهدف واسلوب واجراءات تحقيقه باسلوب علمى وعملى وموضوعية تتعامل مع الواقع المعقد بطبيعته واولوياته ثقافياً واجتماعياً ودولياً. ولعل احتدام الخطابات المتصارعة من اسلامية إلى علمانية أو أى اسم اخر تعانى من هذا الخطأ الفادح الذى شنج حركة الامة وكبح انطلاقها وجعل الجميع يستهلكون الجهد

الاساسى فى مسائل اجرائية وخلافية والتعامل باسلوب «شخصانى»
وتعبيرية انفعالية بدلاً من الاهتمام بالانجاز لصالح الجميع . ولعل كل من
تفاعلات الازمة الثقافية المزمنة وازمة الخليج ١٩٩٠ قد قذفنا بعشرات الامثلة
ففى سياق الازمة الثقافية المزمنة نجد ابسط الامثلة واعمقها تتمثل فى عبودية
اجراءات روتينية كثيرة نفس معها انها ليست الهدف فى حد ذاته ولكنها
الوسيلة لتحقيق هدف اخر ولعل ممارسات القيادة العراقية اثناء ازمة
الخليج توضح انها قد حاولت اللعب على تناقض الخطابات المتصارعة
والتعامل مع دوامات الوسائل الجدلية بطريقة اطالت من امد الازمة وكان
الهدف من ذلك هو محاولة استقطاب اكبر تأييد لموقف العراق من ناحية
ومحاولة لتميع الموقف حتى يرجع التحالف عن عزمه فى طرد العراق وتحرير
الكويت ولقد تجسد نمط تغلب جدلية الوسائل على تحقيق الهدف بصورة
جلية فى تفاعلات الاربعة اشهر الاولى من الازمة من خلال ذلك الكم الهائل من
المبادرات العربية المختلفة لحل الازمة دون توحيد الجهد مما ادى الى فقدان
القدرة على ايجاد حل تحت المظلة العربية .

ومن صور هذا النمط ما اسميه باستراتيجيات التسلف والمقصود بها
فقدان القدرة على ترتيب أولويات الحوار وفقدان الاحساس بالندية والاسراع
بطلب التأجيل أو الانسحاب بخصوص اشكالية ما تكون موضع الجدل أو
طلب تأجيل الأمور دون البت فيها إلى أن تحل بقدرة قادر أو لاتحل نهائيا ومن
المقالات التى نستشف منها هذا النمط مقال لمرسى عطا الله بعنوان « سياسة
الهروب من المواجهة ليست فى مصلحة العرب ، وفيما يلى نص المقال :

على هامش مؤتمر موسكو ونيويورك :

سياسة الهروب فى المواجهة ليست فى مصلحة العرب !

رغم أن مؤتمر موسكو للمفاوضات متعددة الأطراف قد انتهى من حيث
بدأ دون أن يتعرض المشاركون فيه لاية مناقشات بشأن أى من القضايا التى

استهدف المؤتمر بحثها فإن حدة الجدل حول جدوى المشاركة أو المقاطعة مازالت دائرة على أشدها في عدد من الصحف العربية .

وقبل أن اتعرض لعناصر الجدل الدائر أود أن أشير إلى أن الذين أقاموا الدنيا ولم يقعدوها بعد حول مخاطر المشاركة العربية في مؤتمر موسكو قبل أن يحدث أى تقدم ملموس في مفاوضات السلام الثنائية بين العرب وإسرائيل في واشنطن قد فاتهم حقيقة أساسية يصعب الهروب منها ، هى أننا جزء من عالم واسع تجرى الآن محاولات غير عادية لاعادة تنظيمه وفق المتغيرات الجديد بعد أن سقطت كل الايديولوجيات والمعسكرات التى كانت تقسمه مناصفة بين القوتين العظميين .

لقد فات على الذين يملأون الصفحات بمقالات وكتابات أن مؤتمر موسكو ليس سوى اطار فرعى يستهدف ترتيب نظام اقليمى جديد في الشرق الأوسط ترتيب نظام اقليمى جديد في الشرق الأوسط يتجاوز حدود حل المشكلة الفلسطينية عل أساس مبدأ الأرض مقابل السلام وينتقل إلى شكل جديد من أشكال التعاون الاقليمى بين مختلف دول المنطقة سواء كانت عربية أو غير عربية ، وأن هذا الاطار الفرعى جزء من اطار شامل ظهرت ملامحه بوضوح في مؤتمر قمة نيويورك لرؤساء الدول الأعضاء في مجلس الأمن الذى يستهدف إقامة شكل جديد يقترب من حلم « الحكومة العالمية » التى ينبغى أن تتحمل مسئولية حماية الأمن والسلام العالمى بشكل عام .

وإذن فإن محاولة الهروب من الواقع الدولى الجديد ليست سلوكا ايجابيا مهما كانت الأسباب ومهما كانت الدوافع والمبررات .

إن الذين شاركوا في مؤتمر موسكو من الجانب العربى لم يرتكبوا جرما في حق أمتهم كما يزعم بعض المتشنعين الذين يكررون الخطأ التاريخى نفسه والذى وقعت فيه غالبية الدول العربية عندما رفضت مبدأ المفاوضات مع إسرائيل وقررت مقاطعة مصر ، ثم ها هم اليوم يحلمون بتحقيق نصف ما

حققته مصر بخطوتها الرائدة من ناحية الشكل ومن ناحية الموضوع .
والذين عاينوا مصر بقبول التفاوض مع إسرائيل تحت رعاية الولايات المتحدة الأمريكية كشريك كامل يلهثون اليوم من أجل تطويع موقف الرفض الإسرائيلي للتفاوض معهم ، ويلحون بكل السبل والوسائل على واشنطن أن تلعب أى دور مؤثر في المفاوضات لأن حلم الشريك الكامل بات حلما مستحيلا .
بل أن الذين هاجموا مصر بضراوة لأنها قبلت - في إطار اتفاقية السلام مع إسرائيل - التوقيع على إطار للحكم الذاتى للفلسطينيين لمدة ٥ أعوام فقط ، يريدون الآن أن يسمعوها ولو لمرة واحدة أن إسرائيل تقبل بحكم ذاتى مفتوح الأجل !

لقد كنت أفهم أن يقول المعارضون لمؤتمر موسكو أنهم يؤيدون المشاركة من مبدأ الفهم الصحيح للواقع الدولى الجديد ومن أرضية الرغبة في عدم مواصلة السباحة في بحر الفرص الضائعة ، مع التأكيد على أن المشاركة لا تعنى التراجع عن التمسك بحقوق ومبادئ ثابتة تحكم أساسيات الموقف العربى وأهمها :

١ - أن القبول بالمشاركة في المفاوضات متعددة الأطراف يمثل دليلا جديدا على حسن النية من جانب العرب في أرساء سلام حقيقى ، ولكن العرب غير مستعدين للالتزام بأى اتفاق تعاقدى حول التعاون الإقليمى مستقبلا قبل أن يتم إقرار التسوية السلمية المنشودة على أساس من الشرعية الدولية مثلا في قرارى مجلس الأمن رقمى ٢٤٢ و ٣٣٨ .

٢ - إن من بين أهم الموضوعات المطروحة على مائدة مفاوضات مؤتمر موسكو موضوع « الرقابة على السلاح » ، وهو موضوع يستطيع الجانب العربى - من خلال المشاركة وليس المقاطعة - أن يستثمره لمصلحته استثمارا جيدا ، خصوصا إنه لم يعد سرا أن إسرائيل تمتلك سلاحا ، نوويا وأنها مازالت - حتى الآن - ترفض التفتيش الدولى على مفاعلاتها النووية ولم توقع حتى

الآن على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية ، ومن ثم فإن إحدى أهم أوراق الضغط العربية في المفاوضات متعددة الأطراف هي ضرورة قبول إسرائيل بنزع سلاحها النووي تحت إشراف دولي حتى يمكن التفاوض بشأن الالغاء المتبادل للأسلحة الكيميائية التقليدية تحت رقابة دولية .

٣ - أن العرب - بالمشاركة وليس بالمقاطعة - يمكنهم أن يستقطبوا مزيدا من الضغط الدولي لمصلحة هدف الأسراع بمفاوضات السلام التي تسعى إسرائيل بكل الوسائل لاطالة أمدها ، وأن ذلك يكون أول اختبار حقيقي للنظام العالمي الجديد بعد حرب الخليج في مدى المصادقية للتعامل مع مختلف القضايا الإقليمية بميزان واحد يستند إلى الباب السابع من ميثاق الأمم المتحدة يستند إلى الباب السابع من ميثاق الأمم المتحدة وبالتحديد في المادة ٤٣ التي تتعهد بموجبها الدول الأعضاء بتقديم القوى المسلحة والدعم والتسهيلات لمجلس الأمن من أجل حماية الأمن والسلام .

ولسنا مقطوعى الألسنة ولا عديمى الحجة لكي نفرح بالهروب من ساحة المواجهة في ظل عالم جديد يتجه إلى حقبة من « الدبلوماسية الوقائية » كبديل لحقبة « الدبلوماسية العلاجية » التي كانت نتاجا طبيعيا لسنوات الاستقطاب والحرب الباردة قبل إعلان شهادة الوفاة للاتحاد السوفيتي .

وكفانا أربعون عاما من الجدل العقيم !

**** النمط الحادى العاشر : حوارات " الاستغراق في المثالية وفقدان الصيغة الفاعلة " .**

« صناعة كبرى ملاعب خضرا

تماثيل رخام على التربة واوبرا

في كل قرية عربية

دى ماهيــــــــش امانى وكلام اغانى

ده بر تانى .. ده بر تانى ! ..

كلامات للشاعر والمفكر الراحل صلاح جاهين تغنى بها الراحل عبد الحليم حافظ .. «ده بر تانى» هذا تعبير دقيق في سياق حوارنا الان ... انه بالفعل "برتانى" .. ولكننا لم نصل إليه بسبب الاستغراق في الحلم دون الأخذ بتلابيب الامور والنظرة العملية للواقع المعاش والتصرف من منطلق فن الممكن لتحقيق مايمكن تحقيقه. ان هذا النمط يتجسد فيما قاله رافائيل باتى برغم التحفظ على الكثير مما ورد في كتابه بعنوان «العقل العربى» واسلوب معالجته مادة الكتاب :

« ان العقل العربى يعطى وعن قصد ، وزن
اعظم للرغبات والامانى التى يود العربى أن
يحققها عن ذلك الوزن الذى يعطيه للواقع الفعلى
والموضوعى للامور»

(باتى (Patai) : ١٩٨٣ : ١٥٦)

ويتجسد هذا النمط ايضاً فيما اورده السيد ياسين في مقاله بمجلة المستقبل العربى (١٩٩١) بعنوان «التحليل الثقافى لازمة الخليج» حينما تعامل مع ما اسماه "بالخطاب المثالى" الذى ركز فيه على الوزن التأثيرى الكبير للشعارات على وعى الشارع العربى والاسلامى وهذا ما تجلى من خلال تأييد «القطاع الاكبر من الجماهير العربية للشعارات التى رفعها صدام حسين اثناء أزمة وحرب الخليج : لقد ذكر السيد ياسين «اهمية دراسة وتحليل السلوك الجماهيرى العربى اثناء الحرب ، وعلى وجه الخصوص بحث ظاهرة التأييد الجماهيرى الواسع المدى للخطاب السياسى للرئيس صدام حسين وخصوصاً جماهير الاردن والجماهير الفلسطينىة فى الضفة الغربية وغزة، وفى الجزائر والمغرب وتونس والسودان واليمن ، وبعض قطاعات الجماهير فى مصر وسوريا. واضاف قائلاً. « ان دراسة هذا السلوك الجماهيرى كشفت عن توحيد الجماهير مع الشعارات التى رفعها الرئيس صدام حسين فى خطابه، بغض

النظر عن حديثه في رفعها ، أو عمله الحقيقي لتحقيقها . وبغض النظر عن تناقض ذلك الخطاب وضعفه البنيوي وركاكه اسلوبه وبدائية افكاره . ولقد عزى السيد يسين هذا الأمر إلى الوضع النفسي للجماهير التي اختلط عليها الحقيقة بالوهم . ان امر الاستغراق في الاحلام المثالية دون مواكبة ذلك بالفعل قد تأصل بسبب ممارسات كلامية كان الغرض منها التعبئة السياسية من خلال الاعلام والعملية التعليمية في انحاء الوطن العربي ولفترة طويلة من الزمان. ولعل ما احدثته أزمة الخليج يدق على الاجراس لكي نتخلى اساساً عن مثل هذه الممارسات .

**** النمط الثاني عشر حوارات.الاطلاقية في القبول والرفض وحتى في " الحل الوسط " :**

عندما نتناول بالتحليل موضوع الحوار مع الآخر، فإن الأمر في واقعه يتعلق ببعدين رئيسيين للتحليل. البعد الأول ويتعلق بتحليل التفاعلات الحوارية داخل محيطنا الثقافي. والبعد الثاني ويتعلق بتحليل التفاعلات الحوارية بيننا وبين ذلك الآخر من الثقافات المختلفة والمتنافسة معنا . ويهيمن على تفاعلات هذين البعدين نمط «القبول المطلق أو الرفض المطلق» بمستوياته وظلاله المتعددة وأدواته المختلفة، والسبيل إلى سرد هذا الكم الهائل من الأمثلة التي تؤكد على الرفض المطلق كان تبني البعض لما قد نطلق عليه «نمط الوسطين أو التوفيقين» وهؤلاء قد أنقسموا إلى فئتين الأولى تمثل هؤلاء الذين أدركوا عن عمق حجم وطبيعة العلاقات والتداخلات في عالم اليوم والذي لانملك أن نعيش بمعزل عن تفاعلاته ونجحوا في احراز أهدافهم واتسمت تفاعلاتهم في نفس الوقت بعدم الاخلال بنظام القيم الاصيل في ثقافتنا ولم يكن التفاوض مع الآخر على حساب هذه القيم الاصيلية. أما الفئة الثانية من الوسطيين فهي تلك الفئة التي تتفاوض مع الآخر من منطلق الاستعداد للتنازل عن أمور تتعلق

بنظام القيم الثقافية الأصيلة وتفاعلات هذه الفئة تجسد ملامح تسودها ظلال الاطلاقية ايضاً، وهذه الفئة هي التي جعلت لتعبير «الحل الوسط» مدلولات سلبية، بحيث أصبح التعبير يعنى التهاون والتنازل وليس العقلانية ومراعاة الاختلاف كطبيعة بشرية، وهذا المعنى هو الذى يهيمن على إدارك قطاع كبير من جماهير الشارع العربى والإسلامى ومايلقى بالضوء على هذا الأمر ما ذكره باحث اللغويات الاجتماعى بروس فريزر Bruce Fraser (1987) في بحثة الذى تناول فيه إدراك الثقافات المختلفة لمفهوم «الحل الوسط» "Compromise" ولقد أورد الباحث عدة أمثلة منها مثل من الشارع الاسلامى في ايران حين ذهب مبعوث الامم المتحدة إلى إيران بشأن التفاوض في أزمة الرهائن الأمريكين الشهيرة، ويذكر الباحث أنه بمجرد أن ردد المبعوث تعبير «حل وسط» وأعلن أنه جاء للوصول إلى «حل وسط» فما كان من الجماهير إلا أن رشقت سيارته بالحجارة .

فاذا ماحاولنا الان النظر إلى ما طرحته تفاعلات أزمة الخليج من أنماط الاطلاقية لنجد أن جزء كبيراً من بيانات تفاعلات الأزمة يجسد هذا النمط وقد لاحظته ايضاً السيد يسن في مقالة بعنوان " المثقفون العرب في مواجهة أزمة الخليج " (الاهرام ٨/٣/١٩٩١). حين ذكر النقاط التالية عن سمات خطاب المثقفين العرب في الأزمة :

– «انطلق معظم خطاب المثقفين العرب من مسلمة مبناها أنك ما أن تكون مع العراق على طول الخط، أو مع الكويت على طول الخط ، ومثل ذلك تبسيطاً مخلاً لرؤية الواقع، ذلك أن الأزمة اثارت قضايا سياسية وفكرية وإستراتيجية معقدة. من الصعب للغاية حصرها في خانة «الابيض» أو خانة «الأسود» وبالتالي حرم هؤلاء المثقفون انفسهم من التحليل النقدي للأزمة والذى من شأنه أن يبرز سلبيات وإيجابيات سلوك كل طرف من الأزمة» .

وإذا عدنا بالأمثلة إلى أحداث قريية في الواقع الثقافى المصرى تتعلق بنمط

القبول المطلق والرفض المطلق لوجدنا مادة خصبة في التفاعلات الحوارية الخاصة «بقضية الغزو الثقافي»، وسنجد أن كل هذه التفاعلات تندرج تحت إطار أحد المواقف التي يجسدها نمط القبول المطلق أو الرفض المطلق أو نمط «الحل الوسط». وهنا تندرج مقولة وزير الثقافة المصري أ. فاروق حسنى الذى قال بالنص :

«إن التخوف من الغزو الفكرى والثقافى هو تخوف بلا أساس، لامخاطر من أى لون من الغزو الفكرى، ويا مرحبا بالغزو الفكرى في كل وقت وفي كل مكان». ولقد كان لهذه المقولة رد فعل لدى الكثيرين من أعضاء النخبة المصرية : الامر الذى دار بشأنه حورات على صفحات الجرائد استمرت لفترة لا بأس بها . وما أود أن ألقى بالضوء عليه هنا هو نمط الاطلاقية الذى يتجلى في معظم تفاعلاتنا الإجتماعية الراهنة. ولعل أعمالنا الفنية تعكس هذا الامر ايضاً، فعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن المسلسلات أو الأفلام التى يُطلق عليها «سياسية» لم تكن في واقعها إلا قبول مطلق لعهد عبدالناصر أو رفض مطلق لهذا العهد ونفس الشئ ينطبق على عهد السادات، كذلك فإن ما يقتحم إذاننا من أغاني هابطة بهذا الكم الضخم ما هو إلا صورة من صور نمط القبول المطلق أو الرفض المطلق لقيم ثقافية معينة.

إننا إذا ما حاولنا توسيع نطاق تأمل مواقف «العقل العربى» عموماً بخصوص التفاعلات الإطلاقيه مع الآخر لوجب علينا تأمل أهم مقولات المفكر المغربى د. محمد عابد الجابرى وهى مقوله رئيسية اكدها في كتابيه الأول والثانى عن العقل العربى . يقول د. الجابرى .

«أن الذات العربية الراهنة تفتقد استقلالها لأنها تستمد فعاليتها ودرود فعلها من مرجعيتين اثنتين متنافستين ومتعارضتين،

وهما معاً منفصلتان عن الذات العربية أعنى
أنهما تنتميان إلى عالمين لا يعبران تعبيراً مطابقاً
عن عالم العرب اليوم، إحداهما تنتمي إلى الماضي
لعربي الإسلامى والثانية تنتمي إلى الحاضر
والمستقبل الأوروبى. إن تحكم هاتين المرجعتين،
المرجعية التراثية العربية الإسلامية والمرجعية
المعاصرة الأوروبية، في الذات العربية، في توجه
تفكيرها ورؤاها، هو ما نعنیه بافتقادهما إلى
«الاستقلال التاريخى التام»، على صعيد الوعى
والفكر كما على صعيد السلوك والفعل. وذلك إلى
درجة أننا أصبحنا نحن العرب اليوم لا
نستطيع، إلا نادراً، التفكير في أية قضية من
قضايانا إلا من داخل إحدى المرجعتين
المذكورتين، وفي كلتا الحالتين يكون فكرنا في واد
واقعنا في واد آخر، وبالتالي تغدو «الذات» الذات
كفكر وكفاعلية وسلوك، موزعة بين فكر مغرب
في الماضى أو عند الغير وبين سجن مظلّم هو
سجن الواقع الذى لا ينيرة فكر ولا يحكمة عقل.
وإذن «فسبيل الاستقلال التاريخى للذات
العربية هو التحرر من النموذجين معاً - أعنى
المرجعتين - التحرر من سلطتهما «السلفية»
سلطتهما «المرجعية»، ذلك ما أكدناه في خاتمة
الخطاب العربى المعاصر» ونؤكد هنا من
جديد.

(الجابرى ٨٥:٥٦٧)

إن ما يتحدث عنه ويؤكدّه د. الجابري بصورة جلية هو «التحرر الكامل من السلطة المرجعية للنموذجين» «السلفى» و«الاوروبى» حتى يتحقق ذلك الاستقلال التاريخى التام للذات العربية وهذه المقولة مقولة هامة تعبر عن الامل فى التجرد والموضوعية وعدم سجن الذات فى نموذج بعينه . وهذا مفهوم .. إلا ان هذه المقولة تحمل فى طياتها ايضاً ظلالاً قوية لنمط الاستغراق فى المثالية التى تبتعد بنا عن الواقع المعاش وتجسد مفهوم «الاطلاقية» ، حيث أن التحرر التام من أى نموذج أو فكرة أمر طوباوى أكثر منه أمر علمى يشهد على عدم حدوثه وقائع التفاعلات الحوارية العلمية ، ووقائع التاريخ .

إن مقولة د. الجابري بخصوص أمر الاستقلال التاريخى للذات العربية فى عالم تتشابك مصالحه وتحركاته يدعوننا إلى تأمل مقولة عالم السياسة المعروف كارل دويتش حينما يتعرض للواقع الأمريكى الذى ينبغى وأن نتأمله كمجرد خبرة إنسانية انبثقت من خلال التفاعل فى اطار سلطات نماذج مختلفة تمثلت فى مهاجرين من انحاء العالم . فبعيداً عن هاجس التبعية نستشهد بهذه المقولة لكارل دويتش الذى يقول . «إن الاستقلال شىء نسبى، فنحن الأمريكيون نعتمد على العالم الآخر بطريقة كبيرة والجميع يعلم ان العلم والتكنولوجيا والطب هى موضوعات «دولية» ولكن القليل هم الذين تأملوا ... وماذا يعنى هذا؟ .. إن الأمر يعنى وببساطة إنه لا يوجد شعب فى العالم قد وصل إلى ماوصل إليه من تقدم تكنولوجى ورخاء، دون الإستعانة بالعالم الخارجى وإسهاماته، ويضيف قائلاً ... إن عالم الطبيعة كارلوت يذكرنا بأن هناك ثلاثة إكتشافات إمبريكية من الـ ١٢ إكتشاف الرئيسة التى سمحت بإنتاج الطاقة الذرية ... إننا نفخر بأننا نشكل ١/١٨ من سكان العالم وبإننا قد أسهمنا بالربع فى هذا الأمر... ولكن هذا أيضاً يجعلنا نتأمل الحقيقة القائلة بأن الامر قد جاء من بلاد العالم الأخرى (دويتش ١٩٦٦) .

إن أمر الإستقلال التاريخى التام» فى عالم اليوم هو بمثابة استمرار «الحلم

العربي» المجرّد والراهن والذي يخرج عن نطاق نواميس أحلام البشرية المختلفة في عالم اليوم وخاصة الحلمين، «اليابانى» و«الألمانى»...فهذه «الأحلام» الأخيرة تحولت إلى واقع بينما كان الشعبين الألماني واليابانى تحت تأثير هيمنة سلطة نماذج المنتصرين بطريقة أو بأخرى . كذلك فإن تجارب دول مثل ماليزيا وكوريا والهند .. تؤكد أن هذه الشعوب لم تنشغل بالإستغراق الفلسفى المجرّد والإطلاقية المثالية وإنما اندمجت مع الواقع والتجربة العلمية المعاشة بكل تعقيداتها فلقد تفهمت هذه الثقافات واستوعبت جيداً قواعد اللعبة الدولية وايقنت إن ملاعب التحرك قد اتسعت وإن هناك حيثيات قد أصبحت حقيقة واقعة على الساحة، ومنها حيثية "الاختراق" فلقد أصبح عالم اليوم على اتساعه وتفاوته لا يخلو من عمليات الاختراق المتبادل» (Interpenetration) إن هذه الثقافات لم تتخل عن المفاهيم الرئيسية التى تمثل قوامها الحضارى .. ولم تنشغل بما قد يسمى «بالإستقلال التاريخى التام» أو المطلق لذاتها» . وبالتالى تتعامل مع ذلك الاختراق الذى تتعرض له بإيجابية بعد أن أصبحت تسير على طريق امتلاك مقومات الاختراق المضاد ، أن لم يكن ذلك الاختراق المضاد قد أصبح حقيقة فى اسواق أوروبا وأمريكا .

*** النمط الثالث عشر :حوارات تبديل المواقف بسرعة وإنفعالية حادة :

لاشك ان هناك أمثلة من التفاعلات الحوارية الإجتماعية اليومية في العالم العربى التى توضح بجلاء نمط تبديل المواقف من موقف إلى آخر وربما يكون نقيضه الحاد وفي سرعة غريبة وإنفعالية . ولاشك أن حجم التفاعلات السياسية خاصة اثناء أزمة الخليج لها الحجم الأوفر في هذا الصدد . ولقد لاحظ السيد يسن في مقاله «المثقفون العرب في مواجهة أزمة الخليج» (الاهرام ٨/٣/٩٩١) . ما يوحى بتأصل هذه السمة فى خطاب المثقفين حين ذكر :

- وسمة أخرى تتمثل في التبعية المطلقة لبعض المثقفين لمواقف السلطة، سواء كانت السلطة العراقية، أم السلطة الكويتية أم السلطة السعودية (وينطبق ذلك على تبعية بعضهم للسلطة المصرية أو السورية) وخطورة هذا الموقف أن يتحول المثقف إلى مجرد مبرر لمواقف السلطة، وهو لذلك مستعد لتغيير موقفه إذا ما غيرت السلطة موقفها. فالمثقفون الذين أيدوا العراق في غزوه للكويت ثم في ضمها بعد ذلك للعراق وابتدعوا النظريات المختلفة لتبرير هذا الضم. سواء في حديثهم عن أولوية الوحدة العربية ولو تم تحقيقها بالقوة العسكرية، أو في تعرضهم لهشاشة الدولة الكويتية، أو في إثارتهم لقضية الحق التاريخي، هم أنفسهم الذين أيدوا العراق في مبادرته السلمية، والتي جوهرها الانسحاب من الكويت، ولدى هؤلاء البعض موقف السلطة- أيا كان ومهما تغير- هو الصحيح» (أي مهما تطلب الأمر من تبديل للمواقف).

ومن عينات البيانات التي تلقى بالضوء على نمط « تبديل المواقف » كنمط متكرر في تفاعلات النخبة نجد مقال فيليب جلاب بالاهرام بتاريخ ١٤/٣/١٩٩١ بعنوان «عن الحرب والغزو والتواطؤ» والذي يتحاور فيه مع د.فؤاد زكريا بخصوص تفاعلات أزمة الخليج وما تمخص عنها ويركز في مقولته على ما يلقي بالضوء على هذا النمط. ويتضمن ملحق الدراسة نص هذا المقال (ص ٢٥٩).

وإذا كانت هذه العينات تمثل التفاعلات السياسية الخاصة بهذا النمط فأود أن ألفت نظر القارئ إلى مضمون عينة من بنك بيانات هذه الدراسة تجسد مدى تأصل هذا النمط السلبي من التفاعل في مجتمعنا.. وهو ما أورده - وبطرافة عميقة - محسن محمد في جريدة الأخبار بعنوان «متى نلعن الجوهري» حيث يقول :

متى نلعن الجوهري ؟

دخلنا التصفيات النهائية لكأس العالم في روما فأعلننا على رءوس الأشهاد أن الفضل لا للاعبين بل لمدرّب الفريق الكابتن محمود الجوهري ونشرنا العرائض والقصائد في مدحه وإعترناه منقذ الكرة المصرية الذي سيجعلنا نفوز ببطولة الكأس . وهزمتنا انجلترا في الكأس بهدف يتيم فأخذ اللاعبون من أعضاء الفريق الذين حرمهم الجوهري من الإشتراك في المباراة يقسمون ويؤكدون أن العلاقات الشخصية السيئة بينهم وبين الجوهري هي التي أملت عليه إبعادهم !

وتطوعت أجهزة رقابية، لانعرف إلى من تنتمي، تتهم الجوهري بأنه أفرط في إستخدام المال العام، وإن مصروفات الفريق كانت أكثر مما ينبغي في دولة نامية.

ولم يرسل الجوهري إلى روما فريق التصفيق للفريق المصري، ولكن هذا لم يمنعنا

من إتهام الجوهري بأنه كان يحتاج إلى من
يهتف له ولفريقه في روما لتشجيعهم على
الهزيمة!

وعندما لم نحقق نصرا في اثينا امسكنا
بخناق الجوهري في اثينا وأخذنا نلومه بأثر
رجعي وعزلناه من تدريب الفريق.

بإختصار «بهدلناه»!

وجاءت الدورة الافريقية لنهزم في
التصفيات الأولى في كرة القدم. وكان من
الطبيعي أن نلقى اللوم هذه المرة على إتحاد كرة
القدم الذى سبق له إتهام الجوهري والتشهير به
فاصدرنا قراراً بحل الاتحاد.

وتذكرنا فجأة الجوهري المظلوم. وتذكرنا
ايضا اننا لم نمنحه وساما على جهده في وصول
فريقنا إلى كأس العالم. حدث ذلك كله قبل ان
تنتهى الدورة الافريقية لتعرف افريقيا كلها ان
الحسم والحزم طابع حياتنا الكروية قبل أى
شئ اخر في الحياة!

ومن المؤكد أننا سننتصر في مباريات قادمة.
وسنهزم في مباريات أخرى.

وسيتذكر بعضنا ان الجوهري هو المسئول.
وسنلعنه مرة أخرى. وربما نسحب منه الوسام
وربما نقدمه إلى المدعى الإشتراكي!

..... مبروك مؤقتاً للجوهري حتى يجيء الوقت المناسب لنلعنه.

****النمط الرابع عشر : حوارات " التحفيز الانفعالي " :**

يعد هذا النمط شكل من أشكال الإنفعالية الحادة التي تبتعد عن الاسلوب الهادئ في الحوار وهو شئ مفقود في كثير من تفاعلاتنا فإذا كان هذا الامر متوقع الحدوث من قبل العامة التي تحتاج إلى جهد لمعالجة هذه السلبية إلا أن هذا الامر لا يكون محتملاً إذا كان هو أسلوب من يفترض فيهم أنهم أعضاء في النخبة العربية والأمثلة كثيرة بغض النظر عن طبيعة الموضوع .

ولعل في مقال بقلم الاستاذ المستشار محمد أبو علم ما يوضح ذلك (الاخبار ٢٠/٢/١٩٩١) والمقال بعنوان «جهنم بعده لن تطلب المزيد !!» ويتحدث الكاتب عن صدام حسين .. بلغة توضحها المقطعات التالية " اقتلوه ولا ترحموه... اذبحوه واشربوا من دمه " «اذبحوا هذا الوحش الخسيس اللئيم بـماضية فسوف يرقص العالم كله لمقتله» ... " اقتلوا صدام واسلوه ولا ترحموه ... " «أما صدام مسحولاً في الشوارع فسوف ترقص البشرية كلها فرحاً به ...» «أضربوه الان قبل غد.... اضربوا هذا الوحش المجنون الذي فقد عقله ويلتف حوله شرزمة من الجبناء والمناجيس لا تتوقفوا عن قتله في شهر شعبان وشهر رمضان فإن ذبح صدام واجب حتى في الأشهر الحرام».... (انظر إلى النص الكامل للمقال بالملحق ص ٢٤٣ هذا الذي يبدو وإنه يمثل قطاع لا بأس به لتفاعلات البعض من اعضاء النخبة . التي انساقَت لهاوية نعمة الالفاظ الحادة والتحفيز الانفعالي .

**** النمط الخامس عشر حوارات : الاذعان واستراتيجيات «الدونية» :**

ويتجسد نمط الاذعان والاستجداء العاطفى من خلال توظيف ما اسميه " باستراتيجيات الدونية في الحوار والمقصود بذلك هو اظهار طرف من اطراف الحوار للمتجاوز معه دونيته أو قلة حيلته وعدم توافر الندية

تجاه . وأهم استراتيجيات الدوينة في الحوار هي :

(١) المبالغة في استخدام القاب التخاطب .

(ب) الاستغراق في الاستشهاد ببعض الامثلة التى تجسد نمط

الاذعان والاستجداء العاطفى .

(١) المبالغة في استخدام القاب التخاطب :

في ثقافتنا العديد من القاب التخاطب الاجتماعية التى يطلقها اطراف الحوار على بعضهم البعض أو على من هم اعلى سلطة ومن امثلة ذلك «سمو الامير وجلالة الملك ... وفخامة الرئيس ، (والركن المهيب والقائد الميمون) وفضيلة الشيخ، وسماحة البابا ومعالي الباشا، وحضرة الافندى، وسعادة البيك ، .. إلى اخره .. هذا غير مايرد في العامية من كم هائل آخر من القاب التخاطب . ان هذه التعبيرات في اساسها هى تعبيرات ايجابية تدل على احترام الاخر في المقام الاول ولكن المشكلة هى الاسهاب في استخدام مجموعة من هذه الالقاب في كبسولة واحدة لمخاطبة السلطة الاعلى في احيان كثيرة مع خضوع في نغمة الصوت بصورة مبالغ فيها الامر الذى يمثل صورة من صور الاذعان التام وتهيب السلطة سواء السلطة السياسية أو سلطة السياق والمقصود هنا هو المبالغة في استخدام القاب التخاطب لمن له سلطة في سياق ما .. كسياق حوار الطالب للأستاذ والمذيع أو الصحفي ومن يستضيفه في حوار حيث يؤكد طرف ما الدونية تجاه الطرف الاخر ولا يكون هناك ادنى مبرر لذلك . لقد شاهدت عينات من هذه النوعية من الحوارات التى لاينتج عنها بطبيعة الحال الاحترام المتكافئ بين اطراف الحوار بسبب مبالغة احد الاطراف في تأكيد دونيته للطرف الاخر من خلال توظيف استراتيجيات الدونية في الحوار سواء كانت من خلال توظيف القاب التخاطب أو غير ذلك من استراتيجيات الدونية الامر الذى يؤدي في النهاية إلى جور على مفهوم عزة

النفس ومفهوم المساواة والتكافؤ في الحوار كمبدأ هام في عملية الاتصال داخل الثقافة الواحدة وفي الحوار عبر الثقافات بكل تأكيد .

(ب) الاستغراق في الاستشهاد ببعض الامثلة العامة :

ولعل في العديد من الامثلة الشعبية مايلقى بالضوء على صورة أخرى من صور الاذعان وهنا اود ان استشهد بالمقولة التالية للاستاذ محمد ابراهيم ابسنة في كتابه « فلسفة المثل الشعبي » والتي كانت تقديمًا لبعض الامثلة من هذه النوعية . يقول الاستاذ أبو سنة :

بعد اجتماع كل ظروف القهر الماضية بالاضافة إلى وجود الاستعمار في المراحل المتأخرة من تاريخنا ، وأخص المراحل الحديثة لأنه كان الاستعمار الذي ركز اهتمامه حول اقتلاع ثقتنا من أنفسنا ومازلنا نعاني أزمة الثقة هذه حتى الآن بين شتى مستويات الثقافة والمجتمع ، فالاستعمار قد قام بمزاولة عمله التخريبي في جبهتين : الجبهة الأولى هي تحطيم اقتصادنا أيام اسماعيل وخنق الروح الثورية أيام عرابي وتفتيت كل المحاولات للنهوض بأية امكانيات ما لخلق وضع آخر . والجبهة الثانية هي ضغط الروح المعنوية وتقويمها بالمفاهيم الرجعية وتأسيس وتشجيع المؤسسات الرجعية المنهزمة . والحقيقة أن انتشار هذا التخريب المعنوي في صفوفنا وثقافتنا ومدارسنا بحيث انعكس في كل مناحي حياتنا ليسر علينا فهم ظهور الروح الانهزامية . وأحب أن نكون واقعيين ونقبل الأحكام التي يصدرها التاريخ كما أنى لا أريد لمعنى الاطلاق ان يحيط بهذه الكلمة «الانهزامية» ، فالفتور الذي يعتري نضال الشعوب لايمكن ان يستمر ، لأن التاريخ في زحفه المريع على سواعد

الجموع الكادحة لا يؤمن بالجمود والتوقف .

وكان لانتشار هذه الروح داخل فلسفة شعبنا أثر فعال في خلق وجهة نظر غير سليمة أوجت دائماً بأحكام سلبية ورجعية ومتسامحة ، ونحن لاندهش كثيراً اذا كان مثلنا الشعبى لم يرتفع إلى مستوى المقاومة الحقيقية الا في مراحل حديثة جداً من تاريخنا ، ذلك لأن الأدب المكتوب نفسه كان يعاني هبوطاً ومرضاً و سطحية لازمته إلى مطالع القرن العشرين ، ولذا اذا وضعنا أذهاننا واعية تحت ظروف القهر الماضية لانجد غرابة عندما نسمع مثلاً :

« الى يجوز أمى أقوله ياعمى » ، « ارقص للقرد في دولته » ، « أقل عيشه أحسن من الموت » .

« الى ما يرضى بحكم موسى يرضى بحكم فرعون » ، « ان انهدم بيت أخوك خذلك منه قالب » ، « ان كان لك عند الكلب حاجة قل له ياسيدى » ، « الى يبص لفوق توجهه رقبتة » ، ولكن يقاوم ايضا في روعة نادرة :

« الى ما يقدر عليه القدوم يقدر عليه المنشار » .

(ابرهيم أبو سنة ١٩٦٨ : ١٨ ، ١٩)

وعن « خطاب الاذعان » نستشهد هنا بمقولة د. شرابى الذى يصف الانسان العربى

« بأنه ينزع دائماً إلى الاعتقاد بالاستمرارية الطبيعية والمجتمع ولا يؤمن بقدرة الانسان على تحقيق التحولات في واقعة وبيئته الاجتماعية ، كذلك فإن الانسان العربى في صميمه انسان عاطفى مستسلم للطبيعة والسلطة الخارجية ولا يرغب بمقاومتها وهو لذلك سلبى وخنوع للسلطة السياسية

والسلطة الابوية ويؤمن بالمعجزات وغير قادر على التصدى لمشكلاته بمنهج عقلانى».

(شرابى ١٩٨١: ١٢٨)

ورغم العمومية الاطلاقية التى اتسم بها اسلوب د. شرابى فى هذه المقالة والتى نختلف معه بشأنها إلا إن مايتحدث عنه يمثل قطاع له وجوده الحقيقى على ساحة تفاعلاتنا الاجتماعية والسياسية .

وإذا انتقلنا الان إلى عينات تفاعلات مابعد أزمة الخليج ١٩٩٠ الحديثة للغاية لوجدنا ما يلقي بالضوء على " نمط الاذعان وتهيب السلطة " فى مقال للاستاذ وجيه أبو ذكرى بجريدة الاخبار ١٣/١٢/١٩٩١ بعنوان «إلى زعيم العالم الجديد : رفقا برعاياك !! ولاننا نعرف ان وجيه أبو ذكرى من الكُتاب الذين يتسمون بالجرأة وعدم المهادنة فى المطالبة بالحقوق فهو اول من اثار قضية النعوش المصرية الطائرة التى كانت تحوى جثث العاملين المصريين بالعراق والتى كانت تصل فى «صمت رهيب» فى وقت كانت فيه العلاقة بين الحكومتين المصرية والعراقية فى أحسن حالاتها وهو الذى تصدى للمطالبة بحقوق المصريين فى دول الخليج وهو الذى انتقد بموضوعية عدة ممارسات للحكومة المصرية .. من هنا وفى ظل هذا السياق الاشمل وبعد قراءة المقال المشار إليه اعلاه نلاحظ ان المرامى الاقناعية للكاتب ترجح نغمة التهكم إلى ماوصل إليه حال خطاب الاذعان فى الوطن العربى من ناحية والتصدى باسلوب حاول الكاتب ان يكون فيه ساخرأ لاساءة استخدام سلطة «زعامة العالم الجديد» من قبل الولايات المتحدة من ناحية أخرى . والمقال يمثل واحداً من المقالات المصرية التى شاركت فى محاولة امتصاص أى رد فعل متهور من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا ضد ليبيا ولقد اورد الكاتب فى هذا المقال حشد مكثف من مفردات واستراتيجيات الاذعان والدونية والتي تجسدت المبالغة فيها استخدام القاب التخاطب من ناحية مثل « زعيم العالم الجديد » ، « زعيم

هذا العالم بلا منازع ولا منافس ولا اعتراض « مع تكرار ملحوظ لهذه الالقاء .
 كذلك استخدم الكاتب اساليب « التصغير المعنوي » من ناحية أخرى مثل « رفقا
 برعاياك .. » ، « إن لبيبا العظمى .. دولة صغيرة » .. ولقد زاد من تعظيم
 توظيف استراتيجيات الدونية استخدام التعظيم المعنوي للطرف المخاطب وهو
 الرئيس بوش الذي وُصف بأنه « رجل مؤمن ومتقف ودقيق » هذا بالاضافة
 إلى تقرير مصادر قوة الطرف المتحاور معه (بوش) مثل « اراك تسعد
 بالركوع والسجود لك وامامك من رعاياك في محرابك .. فكم أنت سعيد بأن
 سفاح بغداد يقف ساجداً امامك كما الارنب ورئيس روسيا يقدم لك تقريراً عن
 تحركاته ، وتطلب من اليابانيين اعتذاراً عن بيرك هاربر ، ويسعدك تصريحات
 العقيد القذافي للآستاذ أبراهيم نافع حيث أشاد بك ورغم ذلك لا تصفح ولا
 ترضى « وفيما يلي نص المقال .
 إلى زعيم العالم الجديد :

رفقا برعاياك !!

إلى الرئيس الامريكى جورج بوش :

مما لاشك فيه أنك أصبحت زعيم هذا
 الكوكب، بعد انفراط عقد الاتحاد السوفيتى ،
 وتحوله إلى دول ودويلات ، وعلى سكان هذا
 الكوكب ان يعلموا انه لا يوجد محاور ، ولا
 خنادق، بل أصبحت شعوب هذا العالم تحت
 قيادة مايسمى بالعالم الجديد أى عالم بقيادة
 الولايات المتحدة ، والتى انت رئيسها ، إذن ..
 فانت زعيم هذا العالم الجديد بلا منازع
 ولا منافس ولا اعتراض !!

و«الزعيم» يختلف كثيرا عن «الديكتاتور»..
 فالأول يعمل لتسود العدالة منطقة نفوذه ،
 ويعطى كل لذى حق حقه ، والثاني يعمل وفقا
 لهواه وعواطفه ، فيسود الظلم منطقة نفوذه
 ويتصوره عدلا ، ويعطى من لا حق له ، ويأخذ
 الحق من صاحب الحق .

* * *



الرئيس جورج بوش .

لقد جاءتك فرصة تاريخية ، فرصة أن
 ترسى قواعد العدل فى هذا المجتمع الجديد ، وأن
 تسمو بسلوكك فوق الجراح ، و«تصفيه
 الحساب» ونبش الماضى ، فأنت زعيم عالم
 تصفه بأنه جديد .. وأقول زعيما وليس
 ديكتاتورا .

نعم .. ولكن للأسف الشديد ، فإنك تنبش فى
 الماضى ، وتعمل على تصفية حسابات قديمة ،
 وتتصرف فى هذه القضية بالذات كديكتاتور
 للعالم «الجديد» .

مثلا .. مسألة أزمة الطائرة الأمريكية ..
 والتهديد بضرب ليبيا على اعتبار أنها مسئولة
 عن تفجير الطائرتين المدينتين الفرنسية
 والأمريكية .

وفي البداية لا أعتقد أن هناك — على هذا الكوكب — انسانا عاقلا يقر تفجير طائرة مدنية ، بداخلها اطفال وشيوخ ، ونساء ورجال لم يرتكبوا جريمة ، فيلقون مصرعهم في عمل ارهابى خسيس ووضيع وحقير . ولا يقدم عليه إلا ارهابى مجنون لا أحد على الاطلاق يقر هذا العمل الارهابى القذر .

ولكن..

هل لديك مايؤكد أن ليبيا هى المتورطة ؟ فى هذا العمل الخسيس ، وانتهت إلى أن ليبيا هى المتورطة ؟ .. وإذا كان الامر كذلك ، فأى ليبيا التى تورطت ؟ .. ليبيا المعارضة ؟ .. أم ليبيا الشعب؟ .. أم ليبيا النظام ؟ .. أم مسئول داخل النظام ؟ ..

واعتقد — يازعيم العالم الجديد — لم تصل بعد إلى اجابة على أى سؤال من هذه الاسئلة .. اذن يازعيم العالم الجديد — اذا أقدمت — على أى خطوة تجاه ليبيا دون الاجابة على الاسئلة السابقة ، فانك بذلك تكن قد ظلمت ، وتحولت من زعيم إلى ديكتاتور لهذا العالم الجديد .

ان كاتب هذه السطور ، كان لديه عشرات الملاحظات على السياسة الليبية ، وظلت هذه الملاحظات كعقيدة راسخة فى الوجدان ومن الصعب ان تخرج من وجدانى ، ولكن العواطف

الخاصة شىء ، وماتدبره الولايات المتحدة ضد الشعب الليبي شيئاً آخر .

الرئيس الأمريكى بوش .

فى حديثه للأستاذ إبراهيم نافع رئيس تحرير « الأهرام » قال العقيد معمر القذافى كلاما جديدا ، كلاما لم يقله من قبل ، قال :

**** قلت علنا من قبل ان بوش شخصية ، وأعتقد انه رجل مثقف ، وهو مجرد ولايعانى من عقدة ما ، بوش خال من العقد ، وشخص مجرد فى الحقيقة ، وسياسى محنك .. ان بوش رجل دقيق ولايعمل شيئاً دون دراسة ويعرف نتائجها أولا .**

**** بيكر شخصية متزنة حقيقة وأنا مطمئن على وزارة الخارجية الامريكية يقودها شخص عاقل حقيقة ، وشخص متزن ويعجبني انه من وزراء الخارجية الممتازين ويليق ان يكون وزير خارجية لامريكا حقيقة .**

**** وقال العقيد القذافى عن الجماهيرية الليبية الشعبية الديمقراطية العظمى أن ليبيا دولة صغيرة وأمريكا دولة كبرى لانعاديها ولاينبغى أن تفاخر الولايات المتحدة بمعاداة دولة صغيرة مثل ليبيا .**

الرئيس الأمريكى جورج بوش زعيم العالم الجديد ، أعلم انك رجل مؤمن ، وانك ترفض ان يركع احد لغير الله ، ولكنى اراك تسعد بالركوع والسجود لك وامامك من رعاياك فى محرابك ، فكم انت سعيد بان سفاح بغداد يقف

ساجدا امامك كما الارنب، ورئيس روسيا يقدم
لك تقريراً عن تحركاته ، وتطلب من اليابانيين
اعتذاراً عن بيرل هاربر ، ويسعدك تصريحات
العقيد القذافي للاستاذ ابراهيم نافع حيث اشاد
بك ورغم ذلك لاتصفح ولاترضى !!!
اقول لك - مستر بوش - رفقا برعاياك !!

**** النمط السادس عشر: حوارات الاستبداد والتسلط**

وهذا النمط هو نمط «لاحواري» اساساً بمعنى انه نمط يتبناه ذلك
المتحاور المقرر للامور بتعسف وبدون نقاش وتجاهل لاطراف الحديث
بخصوص امر ما . ويرتبط هذا النمط بإساءة استخدام سلطة مابصفة عامة
ويرتبط كذلك بتركيب الشخصية الاستبدادية المهيمنة على كثير من تفاعلاتنا
والتي يكون حوارها أو عدمه اما تعبيراً مقتضباً مجسداً لاستغلالها لسلطات
حقيقية ممنوحة لها بحكم الوظيفة أو السياق أو يكون حوارها مجرد انعكاس
لذلك الارث الموروث نتيجة تأصل ظاهرة الاستبداد في الحوار والتي عمقتها
حقبة غياب الديمقراطية مع وجود نظام تعليم تلقيني جامد كان اثره الاعظم
هو تلقين وشحن اعداد كبيرة من العقول ، التي لم تتحرك خارج نطاق
منظوماته ، بمقولات تصنيفية جامدة اتسمت بالهجاء الاجوف واطلاقية
ينقصها التناسق والاتساق ووحدة الفكر . وامثلة النتائج الوخيمة لهيمنة هذا
النمط على تفاعلات ازمة الخليج واضحة .. فهيمنة نمط الاستبداد هذا من
الاسباب الرئيسية التي أدت إلى كارثة الخليج .. فهذا الغزو العراقي لدولة
عربية أخرى ماكان يجرؤ أن يفكر في القيام به سوى نظام استبدادي
ديكتاتوري . ولقد هيمن هذا النمط الاستبدادي على تفاعلات الطرف العراقي
اثناء ادارته للارزمة وكان السبب الرئيسي في فشل كل المحاولات لاقناعه
بالتراجع حتى مع حفظ ماء الوجه الذي كان مكفولاً له عند بداية الارزمة ، الامر
الذي كان بلا شك ممكناً وكان من شأنه ان يحافظ على قوة العراق وقوة

الكويت كرسيد كبير للقوة العربية . وما اكثر الامثلة التى لاتزال تنهمر علينا من الواقع التفاعلي العربى .

لقد كان لطغيان نمط الاستبداد والتسلط أثره البالغ بطبيعة الحال على تعميق انماط حوارية اخرى مصاحبة له أولها نمط الاذعان للمسلطة بانواعها وهو النمط الذى تعرضنا له (النمط الخامس عشر) ونمط التصنيف المتسرع للنصوص وللمتجاوز الاخر اياً كان . ويرتبط بنمط الاستبداد نمط إحتكار الحقيقة فمننا من يحتكر العلم والمعرفة ومننا من يحتكر القومية والصمود والتصدى ومننا من يحتكر الاسلام لقد تناول كاتب هذه السطور هذا النمط بالتحليل في سياقين رئيسيين ، الأول هو سياق المفاوضات السياسية الدولية [من منظوري النظم وشخصيات الفاعلية السياسيين] والتي كان العرب اطرافا بها في أطروحته للدكتوراة (حسن - وجيه ١٩٨٩ انظر المراجع باللغة الانجليزية) أما السياق الثاني فهو في اطار التماور بخصوص العملية التعليمية انظر لنص مقال « ديمقراطية التعليم ولغة الحوار » لكاتب هذه السطور في ملحق هذه الدراسة ص ٢٢٥ (الأهرام الاقتصادي ٤ / ١١ / ١٩٩١) . ان امر دراسة تنوعات واشكال نمط الاستبداد / التسلط.. هذا النمط «الاب» للانماط التى تشكل اكثر سلبيات التفاوض الاجتماعى والسياسى فى المجتمع العربى لا يزال بحاجة إلى دراسة خاصة متعمقة سيكون لها سياق تفصيل آخر .

**** النمط السابع عشر : حوارات «الغفران العام»**

المقصود بهذا النمط هو كل هذه التفاعلات التى نرى من خلالها تقصير واخطاء جسيمة بل وجرائم - لايمكن السكوت عنها فى أى مجتمع تسوده القوانين - تمر دون حساب أو اكتراث ونرى هذه النوعية من التفاعلات تتجسد فى كافة اوجه حياتنا الاجتماعية والسياسية الامر الذى لايزال يسبب الاستياء والاحباط لدى الكثيرين . واود أن استشهد فى هذا السياق بمقالتي

من بنك بيانات هذه الدراسة . وهاتان المقالتان تلقيان بالضوء على تأصل ورسوخ هذا النمط . المقالة الاولى تجسد بعض تفاعلاتنا اثناء ازمة الخليج للأستاذة سناء ابو الفتح بعنوان « أزمة وتعدي » بجريدة الاخبار ٢١ / ١ / ١٩٩١ (انظر النص الكامل للمقال بملحق الدراسة ص ٢٤٦) والثانية للأستاذ رجب البنا بعنوان «عرب ١٩٩٢» وتجسد طبيعة هذا النمط الذي زاد تأصله في تفاعلات ما بعد الازمة . وفيما يلي نص مقالة الاستاذ رجب البنا (الأهرام ٢٢ / ١٢ / ٩١) والتي تتضمن نقدًا لهيمنة ما اسميناه بحوارات «الغفران العام» والتي تسود التفاعلات العربية حيث توحى الانظمة الحاكمة بان كافة الأمور - رغم المصائب والكوارث المتوالية - على ما يرام والحمد لله بفضل القيادة الرشيدة في كل بلد عربي !!

عرب ١٩٩٢

آخر قرار اصدره الرئيس العراقي صدام حسين يقضى باعتبار مسابقات كرة القدم بين اندية العراق هذا العام بطولة ذات طابع قومي ، واطلاق اسم «ام المعارك» عليها ، وأقامتها سنويا تخليدا لذكرى حرب الخليج ، وتخصيص ١٥٠ ألف دينار عراقي للفريق الفائز بالبطولة فيها .. وقد حرصت وكالات الأنباء على إبراز تصريح نشرته صحيفه «البعث» الناطقة باسم حزب البعث الحاكم قال فيه عدى ابن الرئيس صدام ورئيس المجلس الأعلى للشباب والرياضة هناك بأنه قد تقرر بناء ستاد جديد في بغداد يتسع لمائة وخمسين ألف مشاهد ..!

لم تبد الوكالات اهتمامها بهذا الخبر كنوع من التسلية أو التسريرة على القراء، ولكنها اختارت بعناية نموذجاً يمثل التفكير القائم الان بعد كل ما جرى من حرب ودمار وما تتناقله البعثات الرسمية والتقارير من جوع يقتل الرجال والأطفال ونقص في الأدوية الضرورية بينما الحاكم مازال يفكر بنفس الطريقة

التي كان يفكر بها قبل وقوع الكارثة وكأن شيئاً لم يحدث ، ليس لأنه يعيش في غيبوبة ، ولكن لأنه يريد أن يفرض على شعبه استمرار الغيبوبة ، ولعل في الخبر ما يكفي لبناء تصور عن حالة الغرب عام ١٩٩٢ الذي يوشك على المجيء على أنه لم يكون فيه جديد ، في ظل الفلسفة السائدة الآن في العالم العربي القائمة على تجاهل الواقع والتعامل مع الوهم ، فكل شيء يسير في تصور أكثر النظم الحاكمة على ما يرام بحمد الله ، وبفضل القيادة الرشيدة في كل بلد عربي^١.

لقد تعجل المحللون - حتى قبل اندلاع عاصفة الصحراء - فتصوروا أن هذه الأزمة التي اهتزت لها الكرة الأرضية وتداعت أثارها على قارات العالم ومراكز القوة فيها وتحركت فيها جيوش من كل فج عميق ، واطلقت متفجرات تفوق ضعف ما اطلق في الحرب العالمية الثانية) . سوف تغير حالة التدهور العربي القائمة وتدفع إلى تغييرات أساسية داخل كل دولة تحقق فيها ديمقراطية حقيقية (بعد أن ظهر أي مدى يمكن أن تدفع نظم الحكم الفردية شعوبها إلى الخراب) . كما تصوروا أن نظاما عربيا جديدا سوف يولد من المأساة ، وأن جامعة عربية جديدة سوف تظهر إلى الوجود ، وأن فكرا سياسيا واستراتيجيا جديدا سوف يسود العالم العربي يعطى لهذا العالم الضائع كيانا فيه قدر من التماسك والقوة الفاعلة فيه ، ومن يتخلف عن هذه اللحظة الفاصلة فلن يكون له نصيب بعد ذلك أبدا ..

لكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، وإنما حدث العكس ، فما كادت تنتمي عاصفة الصحراء حتى أغلقت كل دولة أبوابها على نفسها - أو كادت - وظننت أنها أصبحت في مأمن . وزال شعور الخطر دون زوال دواعي ، وساد شعور بأن الارتباط بالنظام الدولي الجديد يعنى الاستسلام له كما يبدو الآن ، والتعامل معه من منطلق العرفان والتفويض ، دون تفكير دور يمكن أن يلعبه العالم العربي في هذا النظام الدولي الجديد الذي لم يتم تشكيله بعد ، وإنما ظهرت

بداياته ، ومازال في مرحلة التكوين ، بما فيها من انتهاء وجود الاتحاد السوفيتي بصورته القديمة ، وظهور أوروبا الموحدة ١٩٩٢ ، وصعود اليابان من حالة الاكتفاء بالقوة الاقتصادية لتخطو نحو القوة السياسية ، بل والعسكرية ، وعلى المستوى الاقليمي تتحرك إيران وتركيا لاكتساب مواقع قوة جديدة سوف تكون مؤثرة ، وبشكل مباشر ، على العالم العربى ، وحالة غياب الوعى والتماسك فى العالم العربى تعطيهما فرصة نادرة لا تتكرر كثيرا .
 قيل قبل اندلاع حرب الخليج أن دور الثروة العربية سوف يختلف ، فتتجه الاموال العربية إلى تنمية المنطقة العربية وتطويرها ، ومساعدتها على تجاوز الازمات التى تطحنها ثم لى تصبح بعد ذلك قوة اقتصادية معقولة ، وتتغلب على مشكلتي التخلف الاقتصادى والاجتماعى ، وإن الاموال العربية سوف تتجه إلى حيث تتوفر فرص الاستثمار (المواد الأولية - الخبرة الفنية - العمالة المدربة - السوق) ومن خلال هذا التكامل سيصبح للعالم العربى كلمة ووزن ودور فى شئونه .

كل شىء توقعناه - وتمنيناه - حدث عكسه .. لأن العقلية العربية لم تتغير ، ولم تتغير عادات ومناهج التفكير ، ولا تغيرات القيادات أو حتى مساعدتها ومستشاريها - ولا تغيرت وسائل مواجهة ومعالجة الموقف ، كل شىء بقى على حاله ، والأسوأ من ذلك - كما رصد الدكتور مصطفى الفقى فى محاضراته الأخيرة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية - أن حرب الخليج نتج عنها انقسام فوق ما كان قائما من انقسامات .. انقسام بين التيار الإسلامى فى العالم العربى بين مؤيد لصدام حسين ومعارض له ومن يؤمن بإمكان الحل الوسط .. وانقسام فى العلاقات الثنائية بين دول الخليج حول ترتيبات الأمن فيها وهل تشارك فيها إيران أم لا ، وإلى أى مدى تترك للولايات المتحدة؟ ووصل الانقسام حتى بين أفراد الأسرة الواحدة داخل البلد العربى الواحد .
 فإذا أضفنا إلى ذلك أشار أزمة الخليج على الشعوب العربية - اقتصاديا

وسياسيا وسيكولوجيا ، وآثار اختفاء قوة عسكرية عربية واثره في موازين القوى الإقليمية . مهما يقال — فقد كانت قوة العراق العسكرية توضع ضمن حسابات المنطقة وتوازنها . ولم يعد أمام عرب ١٩٩٢ إلا أن يتمسكوا بطوق النجاة الأخير قبل أن يجرفهم الطوفان ، وطوق النجاة الآن — على حد تعبير الدكتور مصطفى الفقى — هو « علاج متميز » لا يعتمد على الشعارات ، لأن الجماهير العربية لم تعد تؤمن بجدوى الشعارات ، ولكن لابد من جراحة ناجحة ، لانتزاع المرارة التى ترسبت في أعماق الشعوب العربية بعد أن كانت تقتصر على الحكام العرب فقط ، ولتكن البداية بإقامة حوار بين الجماهير العربية للخروج من الأزمات الراهنة واستعادة الثقة العربية — العربية المفقودة.

واضيف : لابد أيضا من « عمل » سريع لاستعادة الثقة بالنفس المفقودة . أقول « عمل » لان استعادة الثقة لن تتم بمزيد من الكلام .
فإن لم يفعل العرب ، ما تفرضه عليهم ضرورات هذه اللحظة التاريخية ، فليتبوأوا مقعدهم المناسب ، بين شرادم وبقايا البشر . وإن كان الأمل مازال قائما في ألا يكون هذا هو المصير ، وإلا يكون عرب ١٩٩٢ هم عرب ١٩٩١ وعرب ١٩٩٠ .. الخ ! □

رجب البنا

الأهرام ٢٢ / ١٢ / ١٩٩١

**** النمط الثامن عشر : حوارات « صور كبش الفداء »**

المقصود بهذا النمط هو لجوء المتحاورين في قضية ما إلى قصر اشكالية ما أو محنة كبيرة على تصرفات وافعال شخص ما بعينة دون النظر إلى جذور الاشكالية أو النظر بشمولية للابعاد والأسباب الأخرى التي عادة لا تكون « شخصية كبش الفداء » هي السبب في وجودها أو استفحالها فقط . ويرتبط نمط هذه الحوارات بعدة أنماط سلبية أخرى كالتى سبقت الإشارة إليها وعلى

الأخص النمط رقم (١٧) الغفران العام / عدم الاكتراث) . فعدم الاكتراث هنا يكمن في استسهال أطراف الحوار في تحديد السبب في شخص ما بعينه . ولقد اتسمت نسبة كبيرة من تفاعلات أزمة خليج ١٩٩٠ بقصر كل محنة الخليج على تصرفات « صدام حسين » فعزت كل مصائب الأمة إلى هذا الشخص بعينه «فهو سبب كل المشاكل » ولم تحاول كثير من هذه المقولات النظر لهذا الشخص على أنه مجرد حالة « تألق غير عادي » لنمط الاستبداد الذي ينبغي وأن تُعالج كل صور وجوده المتعددة في مجتمعنا العربي بدلاً من انتهاج أسلوب «كبح الفداء بصورة المختلفة . وأود أن أشير هنا إلى مقال هام للكاتب الأستاذ أنيس منصور يلقي بالضوء على نمط حوارات « كبح الفداء » . وينتمي هذا المقال إلى تفاعلات الأزمة الثقافية المزمنة في مجتمعنا العربي . وفيما يلي نص هذا المقال.

لا بد أن نشعر بالخجل ونحن نشير بأصابع اليدين والرجلين نتهم وزير الري المهندس عصام راضي بحجة أنه المسئول الأوحد عن انهيار جسر وغرق قرية ولم يمت احد .. لأنه هو الذي اقام الجسر بأظافره ، والذي نفخ في منسوب الماء فارفع . ومن المؤكد أن هذه الكارثة سوف تتكرر غدا وبعد غد !

ماذا حدث لأي مسئول في مصر عندما انفجرت مواسير المياه في شوارع العاصمة وطفحت المجاري وتحولت الشوارع تحت أقدام السياح وفي أنوفهم إلى برك ومستنقعات .. ماذا أصاب أي مسئول عندما دخلت الكوليرا مصر وخرجت وكذلك الايدز والكبد الوبائي والحمى الشوكية .. وماذا أصاب أي مسئول عندما خرجت القطارات عن قضبانها واحترقت العنابر والمحاكم .. وماذا حدث لأي مسئول عندما اغتيل المحجوب ومن قبله السادات ومن قبله عشرات من الكبار والصغار .. وعندما انهارت العمارات .. وعندما انقطع التيار الكهربائي ألف مرة .. وارتفعت الأسعار واختفت السلع وظهرت السموم في السرددين والزيت ..

وماذا اصاب أي إنسان بعد هرب أصحاب شركات توظيف
الأموال؟

وماذا حدث لأي مسئول في مصر مدنيين وعسكريين عندما
انهزمت مصر سنة ١٩٦٧م؟

ليس ما حدث في العامرية بالشيء الذي يجب أن نستعين به لأنه سوف
يتكرر.. ولكن وزير الري عصام راضي مهما كانت قدرته وحتى فصاحته (١٩)،
لا يمكن أن يكون مسئولاً شخصياً عن مليون كيلو متر من جسر النيل والترع
والمصارف والبحيرات .. ولا هو مسئول وحده عن مليار من شجيرات ورد
النيل جاءت من السودان تشرب المياه وتخلق الأسماك وتعوق الملاحة : ولا هو
مسئول إذا جنحت إحدى السفن السياحية وعليها مائة أمريكي وخمسون من
بريطانيا وفرنسا وإسرائيل .. فانخفاض منسوب المياه وظهور الجزر في النيل
ليس قراراً شخصياً .. ثم أن النيل ليس حمام سباحة غرقت فيه عصفوره أثناء
نوم الخفير .. الوزير !

ما هي حدود مسئولية الوزير ؟ ما هو الخطأ وما هو الصواب ؟ أن مصعد
الوزارة من الممكن أن يقع بالوزير ، وليس مسئولاً .. ومكتبه من الممكن أن
يحترق وليس مسئولاً . أن هذه الحملة الشاذة على الوزير أكبر دليل على تعطش
الناس إلى (كبش فداء) لما لا نهاية له من الأخطاء والضيق العام والممل واليأس
من أي إصلاح لأي شيء ! (مواقف الأهرام ١٨ / ١٢ / ١٩٩١) .

وإذا كان كاتب السطور قد حاول من خلال هذا الفصل أن يسلط الضوء
على أنماط الحوار السلبية الرئيسية في التفاعلات الحوارية على المستويين
الاجتماعي والسياسي في العالم العربي ، فإن هذه الأنماط ذاتها تمثل سلبيات
رئيسية بطبيعة الحال في عملية إقامة وتنفيذ الحجج والتي سوف نستعرضها
بصورة أكثر تفصيلاً في الفصل الخامس من هذه الدراسة .

الفصل الخامس

تحليل للملامح اقامة وتفنيد الحجج

وانماط اخرى من " خطايا الحوار التفاوضي " .

يقدم هذا الفصل دراسة للملامح العلمية لاقامة وتفنيد الحجج من منظور لغويات التفاوض ، ويتبع ذلك امثلة توضيحية من تفاعلات الازمة وما اعقبها تجسد الانماط التفاعلية السلبية السابق ذكرها في الفصل الرابع بالاضافة إلى عدد آخر من هذه الانماط السلبية التي تمثل انتهاكاً أو خللاً للقواعد العلمية لاقامة وتفنيد الحجج . ونتناول في هذا الفصل النقاط التالية :

أولاً : علاقة دراسة الملامح العلمية لاقامة وتفنيد الحجج من منظور لغويات التفاوض بدراسة بنية وتضاريس العقل العربي :

اختار الباحث دراسة ملامح واساليب اقامة الحجج Argument Feature Analysis كأحدى الادوات التحليلية التي تندرج تحت اطار منظور لغويات التفاوض والملائمة لدراسة تفاعلات النخبة حول أزمة الخليج للأسباب التالية :

(أ) ان هناك قدرًا ضخمًا من التفاعلات حول الازمة من قبل النخبة يتمثل في دحض وتفنيد الحجج المختلفة التي أثارها تفاعلات اطراف أزمة الخليج إلى الحد الذي دفع عدد كبير من اعضاء النخبة إلى أن يتعامل مع تقنيات اقامة الحجج في كتاباتهم ولكن بالحدس والمنطق البديهي . ولقد انعكس ذلك في تكرار ضخم لتعبيرات بل وعناوين نسوق هنا بعضها على سبيل المثال انظر الحجج الادرنية (لسلامة أحمد سلامة ١٧/٩/١٩٩٠) « الحجج العراقية » أو أكاذيب

صدام (د. اسماعيل صبرى ٢٠/٨/١٩٩٠) « خلط الاوراق » (سعيد سنبل) ٢٩/١/١٩٩١ ، « لماذا الخلط بين المسلمات الشرعية والقضايا الجدلية » (لذكريا نيل ٨/٩/١٩٩٠) « هل صدام هو الذى ربط الغرب بأسرائيل » (د. عبد الوهاب المسيرى ٢٩/١/١٩٩١) كل هذه المقالات والتي يتضمن ملحق الدراسة لنصوصها (انظر الصفحات ٢٢١ ، ٢٤١ ، ٢٥٦) توضح الطبيعة الجدلية التى صاحبت الازمة الأمر الذى يدعو إلى دراسة ملاح الحجج لتوضيح معالم اقامة وتفنيد الحجج على نحو علمى .

(ب) ان دراسة ملامح الحجج لاعضاء النخبة العربية ليمثل اكثر الطرق العلمية ملائمة للإجابة على بعض الاسئلة الرئيسية لمشروع بحث تحليل مضمون الفكر العربى حول ازمة الخليج والتى طرحها د. سعد الدين ابراهيم والتى تهدف إلى استكشاف «الخلل فى بنية العقل العربى ومقولات الفكر العربى التى اقرزها ، شكلاً ومضموناً ومحاولة تبين ملامح الشخصية العربية والسلوك العربى النخبوى والشعبى على السواء . فدراسة ملامح الحجج . تقدم لنا صورة لاساليب التفكير المنتهجة من قبل النخبة (Reasoning styles) وكذلك توضح بطبيعتها حجم أو قدر «الخلل» فى عملية اقامة الحجج "Fallacies" واتساقها فى سياق مقولة أو مقولات معينة لكاتب أو متحاور ما .

(ج) ان اقامة الحجج والهدف من إقامة حجة ما فى سياق جدلى كسياق الازمة يمثل محاولة الكاتب أو المتحدث ان يستقطب الآخرين لوجهة نظره وكذلك هى محاولة لصياغة الرأى العام أو تشجيع صانع القرار أو الرأى العام أو الاثنين معاً نحو اتجاه ما . ومن ثم فإن عملية تحليل ملامح الحجج تساعد على التعرف على الاساليب المختلفة الخاصة لصياغة الرأى العام أو تشجيع صانع القرار أو الرأى العام أو الاثنين معاً نحو اتجاه ما . وهذا موضع دراسة تفصيلية قادمة لكاتب هذه السطور .

ثانياً : مدخل عام للمفاهيم العلمية الخاصة بتحليل عناصر اقامة وتفنيد الحجج :

أولاً المفاهيم :

❖ ماهي الحجة ؟ وماهي عناصرها ؟

يقسم علماء اللغويات الاجتماعية المطارحات "Discourse" إلى أربعة انواع رئيسية من حيث اساليب التناول وهي :

(أ) السرد (Narration) : وتتمثل في سرد احداث بترتيب متتالي من نقطة إلى أخرى وتكون نية الكاتب الاساسية هنا هي اخبار القارئ بماذا حدث .

(ب) الوصف Description : وهو محاولة الكاتب ترك انطباع مالى القارئ تجاه شيئاً ما أو شخص ما أو مكان ما وبالتالي فاسلوب التناول هنا يتضمن اخبار القارئ أو المستمع بتفاصيل ما يحدث به بطريقة اما ذاتية Subjective أو موضوعية Objective .

(ج) الشرح والتحليل Exposition وهو محاولة شرح مفهوم ما أو تحديد تعريفه أو شرح عملية ذات طابع ذهنى أو فيزيقى وكذلك محاولة التعريف بالفرق بين شيئين ، أو شخصيتين أو مؤسستين وأوجه التشابه أو الاختلاف بينهما .

(د) الحجج Argumentation : ويختلف اسلوب التناول هنا عن الانواع الثلاثة المذكورة فبينما تتداخل هذه التصنيفات بطبيعة الحال الا ان الحجة تكون واضحة ومتميزة عندما يحاول الكاتب طرح مقولة يحاول أن يظهر تفوقها على مقولات أخرى ويحاول في نفس الوقت اقناع الآخرين بها في محاولة منه لتغيير نظرهم لموضوع ما يكون محل جدل . وبمعنى اخر اذا كان الهدف من الثلاثة انواع الاولى هو عرض مجموعة من الاختيارات فان الحجة تهدف الى حث المتلقى لها على تبني اختياراً واحداً فقط .

وتتكون الحجة من ثلاثة عناصر رئيسية وثلاثة عناصر فرعية وهذه العناصر هي :

(أ) « لب المقولة الرئيسية » أو الادعاء "Claim" ويعبر هذا العنصر عن الموقف الرئيسي الذي يتخذه كاتب أو متحدث ما في سياق جدلى . وأحياناً أخرى تسمى المقولة الرئيسية «بالخلاصة» "Conclusion" ويرتبط « بالمقولة الرئيسية» عنصر الدحض أو التقنيذ المسبق "Rebuttal" وهذا العنصر يتجسد في كافة التعبيرات أو المقولات التى توضح حرص الكاتب على ان تتضمن مقولته الرئيسية العناصر التى تدحض مقدماً هجوم أو اعتراضات متوقعة من قبل الآخرين على «مقولته الرئيسية» . وهذا العنصر يستخدم في المقالات ذات الدقة العالية والتي تتسم بالنهج العلمى والموضوعى .

(ب) « الارضية التى تستند اليها المقولة الرئيسية » (Grounds) ويسمىها البعض الاخر من علماء اللغويات «البيانات» Data ومن شأن هذا المكون أن يدعم المقولة الرئيسية (أو الادعاء). والاتيان الجيد بهذا العنصر في مقولة الكاتب بمثابة قوله (نعم هناك مايدعم المقولة الرئيسية أو الادعاء» فى حجتى بخصوص الأمر) .

وهناك ثلاثة انواع من «البيانات» أو «الارضيات» التى تدعم «المقولة الرئيسية» وهى :

✱ الدليل (Evidence) مثل الاحصائيات

✱ القيم (Values) دعم المقولة من منطلق امثلة ذات قيمة اجتماعية أو دينية متفق عليها .

✱ المعقولة (Credibility) دعم المقولة بالاستشهاد بمقولات اشخاص أو مصادر لها معقوليتها.

(ج) «عنصر الاتساق والربط» بين «البيانات» Data والمقولة الرئيسية Claim وهو مايسمى بالـ (Warrant)

ولقد اطلق خبراء اللغويات الاجتماعى كلمة Warrant على هذا العنصر من الحجة لانه بمثابة اعطاء «رخصة» أو « تصريح » للقفزة العقلية (Mental Leap) من الادعاء للبيانات والعكس .

- وقد يتم حذف «عنصر الاتساق والربط» Warrant من الحجة أو يترك لاستنتاج المتلقى (القارئ أو المستمع) . وهذا يتوقف على نوع الجمهور المتلقى للحجة إذا فهذا العنصر هو الذى يكشف إلى ابعد حد عن رؤية الكاتب أو المتحدث «للقارئ أو المستمع .. من حيث تقبلهم «للمقولة الرئيسية» التى يطرحها أو تحفزهم بالاعتراض على تلك المقولة . إذا فحذف هذا العنصر من الحجة من قبل الكاتب يدل على شعوره بالامان مع المتلقين لمقولته الرئيسية ومشاركتهم الرأى فيما يتعلق بها كمن يتحدث إلى اعضاء في حزب واحد . ويعتبر وجود هذا المكون ضرورى جداً في حالة السياقات الجدالية وفي حالة التعامل مع جمهور لايتفق اساساً مع المقولة الرئيسية المطروحة في حجة جدالية ما . كذلك يرتبط بهذا المكون الرئيسى عنصر فرعى اخر وهو عنصر «التدعيم» (Backing) أى لتدعيم عنصر «الاتساق والربط» (warrant) ويستخدم اذا دعت الحاجة إلى ذلك حسب سياق الموضوع ومعطياته وطبيعة الجمهور الذى يتحدث له الكاتب في المقام الاول .

اما العنصر الفرعى الاخير للحجة فهو «العنصر الذى يعكس مدى قوة موقف الكاتب من القضية المطروحة .. أى حجم ميله وتحيزه لموقف ما وهذا ما سمي بـ «عنصر شدة التعبير» أو (qualifier) وهذا العنصر يهدف لمقياس مدى الانفعالية التى تظهر من معنى المقال أو بمعنى آخر حجم التحيز لعاطفة ما وبالتالي فان هذا العنصر ممكن تسميته بمقياس درجة التحيز» . وهذا العنصر يتمثل في ورود عبارات مثل : «مما لاشك فيه أن موقف س هو الموقف الصحيح تماماً الذى يجب ان نتبناه » وهو مايعبر عن الانحياز غير المتحفظ لموقف ما. وفي بعض الحالات قد يسبب موقف الانحياز التام ان يستخدم كاتب ما

تعبيرات التهديد والوعيد والاهانة لمن يخالفه . وهذا الامر يمثل خللاً واضحاً في اقامة الحجج أم المستوى الاصوب فهو الطرح الموضوعى الذى يكشف عن موضوعية الكاتب وعادة مايصاحب ذلك الطرح تعبيرات واساليب تجعل هناك مسافة بين الحدث وتفسيره بحيث يستطيع القارئ أو المتلقى الحصول على تقييم موضوعى وعادة مايتمثل هذا الاسلوب في تعبيرات مثل «هناك عدة احتمالات نرى أهمية التعرف على معطيات كل منها» أو «من المحتمل» أو «من الجائز» .. الخ والخلاصة هى عدم استخدام اى من هذه التعبيرات التى توحى بإحتكار الحقيقة وتقرير الامور بحدّة وذاتية في سياق حدث أو موضوع هو جدالى بطبيعته .

* الخلل في الحجج (FALLACIES)

– هناك عدة امثلة تعكس وجود خلل في بناء الحجة ولقد استعان خبراء علم اللغويات الاجتماعى بتعبيرات من علم المنطق (Formal Logic) واستخدموها للتدليل على وجود انتهاكات للقواعد السليمة لبناء الحجج أو ما أسموه بنقاط الخلل أو (Fallacies) وهى كالاتى :

* الخلل الناتج عن استخدام عنصر «الربط والاتساق» (Warrant)

Fallacies of warrants

ويندرج تحت هذا النوع من الخلل الانماط التالية :

□ «هذا الامر ليس بالشروط نتيجة لذلك»

(Non Sequitur)

أو كما يقال بالانجليزية (It does not follow) ويرتبط هذا النوع من الخلل بنمط آخر يرمى إلى «التهييج العاطفى المتعمد» حين يستخدم الكاتب أو المتحدث

سلاح اثاره مشاعر البسطاء إلى الحد الذى تغطى فيه المشاعر الملهبة على أى منطق .

□ التعميم المتسرع (Hasty generalization)

□ التبسيط الزائد لعلاقة السبب واثره (Cause & Effect)

□ استخدام دليل مبنى على «شخصية أو مصادر ليس لها معقوليتها ، لدى المتلقين

□ * الخلل الناتج عن استخدام «عنصر الدحض والتنفيذ المسبق» (Rebuttal)

وقياس موقف الكاتب (qualifier)

ويتجسد هذا الخلل فى عدم حرص الكاتب على تجنب الوقوع فى خطأ اتاحة الكثير من الاعتراضات والنقد المتوقع لمقولته واخفاقه فى حماية حدود حجته من خلال وعيه الكامل بالموقف وردود الافعال المحتملة وقطع الطريق عليها . وكذلك يتجسد الخلل فى اندفاعه نحو تبني موقف بصورة اطلاقية لاتعطى الانطباع بالموضوعية .

□ الخلل الذى قد ينتج عند تقديم الكاتب «لمقولته الرئيسية» ويتجسد فى الانماط التالية :

□ * «الاثبات من خلال التكرار» أو الدوران فى حلقة دائرية» ،

فبدلاً من تقديم دليل واضح لدعم المقولة الرئيسية ، تقدم

المقولة الرئيسية على كونها الاثبات ذاتة من خلال كلمات

مرادفة وتكرار فقط .

□ * «تجاهل السؤال الرئيسى الذى تطرحه قضية ما» (Ignoring the

question) : والمقصود بذلك هو اخفاق طرف من الأطراف فى استيعاب

وتحديد ما هو السؤال الرئيسى الذى تطرحه قضية ما اما عمداً أو

سهواً والتعامل مع اسئلة فرعية .

* «نقل عبء الاثبات على الآخرين»

Shifting the burden

أى نقل عبء اثبات المقولة الرئيسية في الحجة على الآخرين ، أى كما في القول «لقد تمكنت قواتنا من اسقاط خمسين طائرة للعدو ونتحدى كل هؤلاء الذين يزعمون أن طائراتهم قد عادت سالمة . أو كما في قول أحد المسئولين : «أن الاجابة على هذا التساؤل قد اجاب عليها سيادة الرئيس منذ فترة طويلة - وعلم المستمع أو المتلقى البحث عن هذه الاجابة في خضم تصريحات عديدة !

□ خلل الایحاءات الناتجة من ثنائية المعانى

Equivocation

ويتجسد الخلل هنا اذا ما بنيت حجة ما على معنى مفهوم واحد يحتمل وجود معنيين واضحين له وأخذ على كونه يعنى معنى واحد فقط دون النظر إلى احتمال قصد المعنى الآخر كما سنوضح في تحليل العينات في الجزء الثانى من هذا الفصل .

□ الخلل الناتج عن التشهير بشخص مادون التعامل الموضوعى مع ما يطرحه من مواقف أو مقولات . (لمزيد من التفاصيل بخصوص عناصر الحُجج انظر على سبيل المثال) Dubois وآخرون ١٩٨١ - ورايك Rieke وسييرلون Sillara ١٩٨٤ .

ثالثاً : أنماط أخرى تجسد خطايا الحوار وتحليل لوجه الخلل في اقامة وتفنيد الحجج :

** النمط التاسع عشر :حوارات الجُج الأفقية» "Parataxis"

هناك نوعان رئيسيان من اساليب اقامة الحجج - الأول هو مايسمى بالحُجة الأفقية أى بتكرار العبارات بهدف التعبئة وهذا يأتى عادة في المواقف الحماسية واللحظات الدرامية وهى الأشهر استخداماً في اساليب الاقناع التى

تستخدم في التفاعلات العربية الا انها ذات صبغة عالمية ايضا فلقد استخدمها تشرشل في خطاب الحرب ضد الالمان . اما الحجة الرأسية أو (syllogism) فهي تتسم بتسليط الضوء علي المقولة الرئيسية للطرح المكتوب أو المسموع في بداية الطرح ومايأتى بعد ذلك يكون بمثابة تركيز ودعم للنقطة الرئيسية من خلال ادلة كالتى اشرنا إليها في الجزء الاول من هذا الفصل وتتسم هذه النوعية من اقامة الحجج بخلوها من التكرار كأسلوب للاقناع .. أي عكس الحجة الافقية التى تتسم بالتكرار واستخدام الموسيقى اللغوية . وامر الموسيقى اللغوية يختلف من ثقافة إلى ثقافة ومن فرد إلى آخر ولكن للموسيقى اللغوية وقع خاص لدى المستمع العربى كما نلاحظ ذلك جميعاً وعلى مستوى النخبة والعامة .. انظر إلى عناوين المقالات والاباحث الحديثة جداً عن الازمة لتجد الاتى «حرب الكلمات وكلمات الحرب» لمراد الدسوقي الاهرام ١٦/١١/١٩٩٠ و«أعلام الازمة وازمة الاعلام» (سيف الدين عبد الفتاح «بحث في ندوة حتى لاتنشرب حرب عربية جديدة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ديسمبر ١٩٩١) .. خطاب الازمة وازمة الخطاب (للسيد يسرن ١٩٨٦) « وحرب اللا حرب للطفى الخولى ٢٧/١٢/١٩٩٠ » " وانكسار الثورة وانتصار الثورة « لكاتب عربى اخر . ان امر استخدام لغة المؤثرات الموسيقية في تفاعلات النخبة له جذور ضاربة في تاريخ الكتابة الموسيقية العربية . على سبيل المثال لا الحصر تتأصل الموسيقى في عناوين قديمة لابن خلدون مثل : «الشفاء السائل في تهذيب المسائل» . وامر الموسيقى في اللغة امر بديع بلا شك خاصة اذا انسجمت الموسيقى مع اسلوب التفكير والموضوعية ولكن خطورة هذا الامر تكمن فقط في هؤلاء خاصة اذا كانوا من السياسيين مثل صدام حسين الذين يكون شاغلهم الاكبر هو الموسيقى اللغوية فيبيدهون تناول فكرة لمجرد الموسيقى اساساً أى موسيقى الكلام وليس لمجرد تناول كافة ابعاد الفكرة بأسلوب علمى وب عقلية السياسى المحنك .

لقد تناول سرد التفاصيل المتعلقة بهذين النوعين الرئيسيين لاقامة الحجج بعض الباحثين من علم اللغويات الاجتماعية مثل باربرا كوش Barbra Koch (١٩٨٣) وبربارجونسون (١٩٨٥) Johnstone حيث قامت هذه الباحثة بتحليل عينات من كتابات بعض الادباء العرب مثل طه حسين على وجه الخصوص وكذلك كتابات الانشاء للطلاب العرب الذين يدرسون الانجليزية وذهبت للقول بأن الحجة الافقية هي خاصية من خصائص اللغة العربية وهي وسيلة الاقناع التي ينتهجها المتحاورون العرب وان الحجة الرأسية هي في واقعها تمثل النمط الغربى في عملية اقامة الحجج وهو ما عرف بالنمط الارسطوطي (السولوجيزمى) Syllogism. ولقد فند كاتب هذه السطور هذه المقولات بشئىء من التفصيل (انظر حسن وجيه ١٩٨٩) . ولكن ما أود أن اسلط الضوء عليه هنا هو ان كل من نوعى الحجة الافقية والحجة الرأسية لهما جذورهم في الفكر العربى قديمه وحديثه وان ذهاب بعض الباحثين إلى قصر الحجة الافقية على العرب على كونها طريقتهم في الاقناع (على اساس ان ذلك من خصائص اللغة العربية من منطلق تأييدهم لفكرة ان اللغة هي التي تحدد الانماط الفكرية لمجموعة ثقافية) ما هو الا نوع من التبسيط الزائد الذى ينقصه الدقة العلمية فلقد ثبت ان كل من الفكر واللغة يتداخلان وان الفكر قد يؤثر على استخدام اللغة أو العكس والامر منوط بعوامل متعددة أكثر تعقيداً بالفرد ذاته وتكوينه وتعليمه ومدركاته ...

ولكن الحقيقة التي لاشك اننى قد توصلت إليها من خلال تحليل كم هائل من البيانات المتعلقة بالازمة وغير سياقات الازمة تشير إلى شيوع الحجة الافقية كنمط اقناع رئيسى ولكن ليس مرجع اساساً لفقدان اختيارات أدوات الحوار المناسبة وهو امر يتعلق بفراغ في البنية التعليمية في الوطن العربى وكذلك غياب الديمقراطية حيث يسود استخدام الحجة الافقية بغرض التعبئة

اساساً وبغرض قمع شيوع التفكير المنطقي في احيان كثيرة . إن شيوع اساءة استخدام الحجج الافقية في سياقات الحوار التى لايتطلب السياق استخدامها ربما يكون هو السبب الذى دفع باحث مثل جون لافين John Laffin (1975) إلى أن يقول « ان علينا عندما نتعامل أو نتحدث مع العربى بالصبر ، علينا ان نستمع ، وعقب ان ينتهى من كلامه علينا ان نعيد تركيب ماقاله لنستطيع ان نفهم ماذا قال » . ورغم أن هذه المقولة بها ما بها من تعميم غير جائز علمياً الا انه مع الاسف هناك وجود لعدد كبير من المقولات التى تنطبق عليها مقولة لافين . لقد اتسم الخطاب العراقى الرسمى بشيوع «اساءة استخدام كل خصائص الحجة الافقية» حيث لايصعب على المراقب ان يجد كم هائل من الاطناب والتكرار اللاموضوعى والاعتماد على موسيقى اللغة اساساً دون التعمق الكافى في سياقات ما يحدث مع التركيز العالى على النغمة الانفعالية والقفز من موضوع إلى موضوع دون ترابط منطقى يعالج السبب واثره، الامر الذى جسد بدوره النمط التالى في تفاعلاتنا :

*** النمط العشرون :حوارات «خلط الأوراق» :

لاشك أن هذا التعبير «خلط الأوراق» كان من أكثر تعبيرات تفاعلات الازمة شيوعاً وكان قبل الازمة ولايزال من بعدها من الانماط السلبية في تفاعلاتنا. والاشكالية من ناحية تناول الامر علمياً هنا أن يقوم أحد المتحاورين باختيار لب مقولته الرئيسية أو «الادعاء» "Claim" دون النظر إلى السياق الاشمل لهذه المقولة وبالتالي يفتقد اختيار " الادعاء القوي ويفتقد كذلك تقديم «التنفيذ المنطقي» والمسبق لما قد يتوقعه من هجوم "Rebuttal" وبالتالي تتسم حُجته بالخلل حيث يفتقد الكاتب الذى تخلو حُجته من عنصر الدحض والتفنيد المسبق لمعالجة السبب واثره وبالتالي تكون حجته نوع من التبسيط الزائد للامور . ولقد تجسد نمط خلط الأوراق والذى صاحبه انماط « التأطير والمؤامرة » في

تصارع عدة مقولات رئيسية تتجاهل السياق الاشمل والترتيبي للاحداث وهى :

(١) خلط قضية غزو الكويت بقضية وجود القوات الاجنبية على الاراضى المقدسة .

(٢) خلط قضية العدوان على الكويت بالعدوان على فلسطين . وفى بعض الاحيان الاخرى خلط قضية العدوان على الكويت بقضية تحرير فلسطين .

أما فيما يتعلق بالنقطة الاولى نستعرض من بيانات « تصارع الحجج » مقالتين الاولى لسعيد سنبل والثانية للاستاذ خالد محمد خالد وفيما يلى نص مقال سعيد سنبل بعنوان " خلط الأوراق " (الاخبار ٢٩ / ١ / ١٩٩١) .

خلط الأوراق !!

تشهد الساحة العربية ، فى هذه الأيام ، محاولات يائسة لخط الأوراق ، وتزييف الحقائق، وقلب الأوضاع ، وتصوير الامور على غير حقيقتها .

والذين تعودوا ، واحترفوا خلط الأوراق ، يحاولون هذه الأيام تبرئة صدام حسين من جريمة الدمار والخراب التى لحقت بالعراق ، وجيش العراق ، وشعب العراق !!

* * *

إنهم يتباكون اليوم ، على القوة العسكرية العراقية ، التى يجري تحطيمها وتدميرها .. ويذرقون الدمع على العراق الذى كان سندا للأمة العربية ، فأصبح معرضا للتفكيك والبعثرة !

وهم يصرخون الآن بأعلى الصوت : إنها

مؤامرة أمريكية صهيونية ، لإخراج العراق من
الساحة العربية ، وبذلك تخلق الساحة أمام
إسرائيل ، فتنفذ مخططاتها ، وتحقق أحلامها ،
وتتمكن من إقامة دولة إسرائيل الكبرى م النيل
إلى الفرات !

* * *

ومع الافتراض ، أو ومع التسليم بصحة هذه
الأقوال .. يبقى السؤال : متى جاءت القوات
الأمريكية إلى المنطقة ؟ وكيف جاءت ؟
هل جاءت قبل غزو الكويت ؟ هل جاءت بناء
على دعوة من إسرائيل ؟

ليس احتلال العراق للكويت ، وغزوة
واغتصابه ، وتشريد أهله وسكانه ، هو الذي جاء
بالأمريكيين ، وجاء بقوات الحلفاء إلى المنطقة ؟
إذن .. إذا كانت هناك مؤامرة ، كما يردد من
يجيدون خلط الأوراق .. فإن احتلال الكويت هو
أول خيط من خيوط المؤامرة !

* * *

ونفترض أن أمريكا تواطأت مع إسرائيل
لتحطيم القوة العسكرية للعراق .. ألم يتنبه
صدام إلى هذه المؤامرة ؟ ألم يحذره كل الزعماء
المخلصين وفي مقدمتهم الرئيس حسني مبارك
من تدمير بلاده ، وتدمير جيشه ؟
لقد حرص صدام بإصرار غريب على خوض
الحرب .. ومعنى هذا أنه أصر على تحطيم جيشه ،
وتدمير بلاده !

* * *

إن المسئول الأول عن تدمير الجيش العراقي ،
هو صدام حسين .. ويشاركة المسئولية ، الذين

سارعوا إلى بغداد ، ووقفوا ويقولوا له بأعلى
الصوت : انسحب من الكويت .. حتى لا تحطم
جيشك ، وتدمر بلادك .
ولكنهم للأسف ، لم يفعلوا .. شجعوه على
الخطأ.. وجاءوا اليوم يتباكون.. وغدا يحاسبهم
التاريخ .

اما المقالة الثانية عن نفس القضية فهي للاستاذ خالد محمد خالد والذي
اتسم بحدة الاصطدام والمباشرة الشديدة مع هؤلاء الذين يخلطون أوراق
قضية غزو الكويت بقضية وجود القوات الاجنبية على الاراضى المقدسة
ويتجاهلون السبب الرئيسى فى وجود القوات الاجنبية وكان هذا المقال بعنوان
«ليست المشكلة فى وجود القوات الدولية بل الكارثة فى غيابها» (الأخبار
١٢/٨/١٩٩٠) وفيما يلى هذا الجزء من المقال :

ليست المشكلة فى وجود القوات الدولية .. بل الكارثة فى غيابها

كنت أستطيع أن أختار لهذا المقال عنوانا أكثر دبلوماسية ،
ولا ينقصه التنكر وراء واحد من الأقنعة التى تغطى اليوم وجوه
الذين يخفون فى أنفسهم ما الله مبديه ..
كنت أستطيع ذلك ، حتى أقطع - على الأقل - الطريق على
المهرجين والمشعوذين الذين سينادون حمقاهم قائلين :
انظروا .. ها هو ذا يرحب بالاستعمار الأجنبى !! وها هو ذا
لا يرى بأسا فى جيوش الكفر التى زحفت على بلادنا .. بل يرى
الكارثة ماثلة فيما لو أنهم تقاعدوا عن المجىء .. !!
أجل كنت أستطيع .. ولكن ماذا سيكون الفارق بينى وبينهم
آنئذ ؟؟

كان الكذابون والمضللون سيزيدون بى واحدا . يضاف

إليهم ويأخذ مكانه الهابط بينهم.. وكنت سأكون هارباً جديداً
من مواجهة الحقيقة . ومناصرة الحق!
ومن أجل ذلك اخترت الرضوخ للصدق يا رجال .. أثرت
القول بأن الكارثة ليست في وجود القوات الدولية - وعلى رأسها
امريكا - بل الكارثة في غيابها عن الميدان !!
ودعوني بادئ ذي بدء أرسل التحية مضاعفة لأولئك
الجنود البواسل ، الذين يواجهون خطر الموت في أقسى صوره ،
وأشدها نذالة ونكراً .. !!

اما بخصوص خلط قضية العدوان على الكويت بالعدوان
على فلسطين فنستشهد بمقال الاستاذ سلامة أحمد سلامة
بعنوان «حجج اردنية» حيث يتناول الحُجج الاردنية كما جاءت
على لسان المسؤولين بالاردن في ندوة قدمتها احدى شبكات
الاذاعة الامريكية . وفيما يلي نصل المقال :

حجج أردنية

« في ندوة قدمتها احدى شبكات الاذاعة الامريكية سئل
رئيس تحرير احدى الصحف الاردنية عن الجانب الذي تؤيده
صحيفته في النزاع الناشب في منطقة الخليج .. مع الكويت ام مع
العراق ؟

وكانت اجابة الصحفي الاردنى بالغة الغرابة .. فقد أكد أن
الاجلبية الكبرى من الرأى العام في الاردن تؤيد العراق وتقف إلى
جانبه .. لأن العالم العربى سئم استمرار الظلم الواقع عليه ،
وضاق بانحياز امريكا الواضح لاسرائيل ، ولم يسترح كثيراً
للحماس والسرعة والاندفاع الذى ابدته امريكا وهى تسعى إلى
تنفيذ قرارات مجلس الامن والامم المتحدة ضد العراق .. فترسل
الاساطيل والجيوش والطائرات ، بينما تقف موقف عدم

الاكتراث والتهاون من نفس القرارات التي اصدرها مجلس الامن ضد اسرائيل منذ عشرات السنين .. مع أن الاحتلال هو الاحتلال والضم هو الضم ... اما وجه الغرابة في هذه الحجج التي نسمع شيئاً قريباً منها في بعض الدوائر الحزبية في مصر ، فهي انها لم توضح نوع العلاقة التي تربط بين العدوان على الكويت والعدوان على فلسطين ، ولم تجب على السؤال الملح وهو : وماذنب الكويت في كل هذا ؟ ولابد أن نعترف بان هذه الحجج التي تساق بشكل أو بآخر على السنة المسؤولين وغير المسؤولين في الدول العربية التي اتخذت موقفاً متخاذلاً من ادانة الغزو العراقي للكويت ، قد تلقى هوى في نفوس قطاعا واسعة من عامة الناس في بعض انحاء العالم العربى ، تعاني من مرارة الاهمال والقمع والفقر ، وتختلط عليها المفاهيم .. فلا تفرق بين استيلاء حاكم عربى على دولة عربية مجاوره شقيقة ، مدفوعاً بعوامل الجشع والطمع واحلام العظمة ، وبين اغتصاب اسرائيل لحقوق الشعب الفلسطيني ، مدعومة بقوة عالمية كبرى وفي ظل صراعات تاريخية وحضارية بين قوميتين ، لا يتحكم فيها فرد واحد أو دولة واحدة .

غير أن خطورة مثل هذه الحجج التي تبرر في الوعي الشعبى العام استيلاء دولة عربية على دولة عربية أخرى ، هي أنها تبرر في نفس الوقت استيلاء اسرائيل على فلسطين وتجعل العجز عن مقاومة الغصب الاسرائيلي مبرراً للاستسلام لكل أشكال الغصب والعدوان .

وحين قال الشاعر العربى القديم وظلم ذوى القربى أشد مرارة .. فقد كان يعنى بذلك ، أن الذى لايجزع ولايضيق بظلم ذوى قرباه ، لن يكون أكثر جزعاً وضيقاً بظلم الآخرين له .. لأنه سوف يفقد القدرة على مقاومة الظلم .. وقد بلغت شعوب

عربية كثيرة مرحلة العجز عن مقاومة الظلم الداخلي ، فكيف يتسنى لها أن تقاوم الظلم الخارجى ؟ وخير مثال لذلك ما يحدث لشعب العراق نفسه .

سلامة أحمد سلامة

(الاهرام ١٧/٩/١٩٩٠)

**** النمط الحادي والعشرون : حوارات «سلطة النص»**

لاحظ العديد من خبراء علم اللغويات والاجتماع والادب والفلسفة على مستوى العالم العربى أن الثقافة العربية هى ثقافة " نصية " انظر سيزا قاسم ١٩٨٨ وحسن حنفى (١٩٨٨) ونصر ابوزيد (١٩٩١) . أما على مستوى الباحثين من غير العرب فقد لاحظ شيف Chafe (١٩٨٢) وتنين Tannen (١٩٨٦) وغيرهم أن الثقافتين الايرانية والتركية هما أيضاً ثقافات « نصية » والمقصود بتعبير الثقافة النصية هو أن يكون هناك نص رئيسى هو «النص الام» المولد لعدد لا حصر له من الظواهر النصية (سيزا قاسم ١٩٨٨ : ٣٢) . ومن واقع الثقافة العربية نجد أن القرآن الكريم هو ذلك النص المحوري الاساسى الذى يمثل « سلطة توجيه وتقنين وتشريع » (حنفى ١٩٨٨ : ١٢) . ويقول د. حسن حنفى فى هذا الصدد " ان النص يظهر كسلطة فى النصوص الدينية أكثر منه فى النصوص الادبية أو التاريخية أو القانونية . وتقتضى النصوص الدينية والقانونية الطاعة أكثر مما تقتضيه النصوص التاريخية والادبية بطبيعة الحال ، لذلك تستعمل النصوص كشواهد فى الخطاب فى المجتمعات النصية التى لا يزال النص يمثل فيها سلطة : (حسن حنفى : ١٩٨٨: ١٢).

وبتحليل تفاعلاتنا الاجتماعية اليومية نجد عشرات الامثلة التى تجسد نمط « سوء استخدام سلطة النص » حيث يتجسد ذلك فى هذا الكم الكبير من

شركات توظيف الاموال التي انتهزت فرصة تأثير سلطة النص القرانى على جموع المودعين واساءات استخدام هذه السلطة بما قامت به من عمليات نصب وسرقة وهروب رؤسائها من البلاد كما ثبت ذلك في العديد من التحقيقات. ولم تكن تفاعلات الازمة التى جسدت نمط « سوء استخدام سلطة النص » جديدة على الواقع العربى فلقد استحضّر الخطاب الرسمى العراقى كما ضخماً من النصوص القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة وإلى الحد الذى جعل صدام حسين يؤكد على الانتساب إلى الدوحة المحمدية القريشية وان الله سبحانه وتعالى قد جعله منوطاً باداء دور قيادى خاصاً لمحاربة الفساد واقرار العدل ومن هنا استحضّر شعارات الجهاد والدفاع عن المقدسات ومنازلة الحق ... «وليخسأ الخاسئون» ذلك التعبير الذى لازم نهاية أى بيان من البيانات العسكرية وغير العسكرية التى وردت بالخطاب الرسمى العراقى . ولقد استمر الخطاب العراقى على هذا النحو حتى عندما بدأ النظام يفكر فى الانسحاب فلم يجعل المفاوض العراقى القرار على انه قد جاء من شخص الرئيس صدام بل انه جاء من خلال قصة اوردها الرئيس العراقى عن «الحلم الذى يظهر فيه النبى صلى الله عليه وسلم لصدام حسين ليخبره بأن صواريخه غير موجهة إلى المكان الصحيح " . وكان هذا متضمناً فى منشورات وزعتها القيادة العراقية على افراد القوات فى العراق والكويت الامر الذى تم تفسيره حينذاك على أنه نوع من التمهيد النفسى لاحتمال انسحاب العراق من الكويت (برغبته).

ولكن الذى يلفت النظر بصورة أكبر هو كيف أن هذه الجماهير قد خُدعت بإساءة استخدام سلطة النص " وبأكذوبة الجهاد الاسلامى ومنازلة الكفار التى رفعها صدام حسين وبعدم جواز الاستعانة بهم من قبل المسلمين . ان هذه الظاهرة لاتزال بحاجة إلى دراسة أخرى فالامر الذى شاع بين جماهير الشارع العربى والاسلامى حينذاك ان ماضى صدام العلمانى وجرائمه ليست

شرطاً في اثبات انه لا يجسد صورة البطل الذي يدافع عن الحق وينازل الباطل وانه مسلم مؤمن حقاً . ودليلهم هو ما كان يتخذه من مواقف اثناء تفاعلات الازمة إلى الحد الذي شبه به في ايران على وجه الخصوص بأنه «خالد بن الوليد» الذي كان من المشركين واصبح سيف الله المسلول ، ويقول الكثيرون .. « انه تاب فلما لانصده وانه من المنافق لتعاليم الاسلام أن نكذب مايقوله أحد خاصة بشأن التوبة فאלله وحده هو الالعلم بالسراثر . الامر الذي لا يختلف عليه أى مسلم . ويذهب البعض الآخر إلى أنه حتى اذا كان صدام جائراً وظالماً وليس «بخالد ابن الوليد» فشره أهون من الكفار الذين جاءوا إلى الاراضى العربية وبالتالي وجب الجهاد ضدهم . ولقد فند الاستاذ فهمى هويدي في مقاله «خطاب في الكفر والظلم بتاريخ ٢٣ / ١١ / ١٩٩١» هذين المفهومين (الكفر والظلم) من الناحية الاسلامية (انظر إلى النص الكامل للمقال بملحق الدراسة ص ٢٦٥) . ان مانخلص إليه هو ان اساءة استخدام سلطة النص في الثقافة العربية الاسلامية لايزال من الانماط ذات الوقع التأثيرى الكبير على جماهير الشارع العربى والاسلامى . وهذا ما أكدته تفاعلات ازمة الخليج وكذلك العديد من تفاعلات الازمة الثقافية المزمنة .. الامر الذى يستلزم مزيد من التأمل والتدبر لواقع اشكالى جم خطير .

***** النمط الثانى والعشرون حوارات «التبسيط الزائد لعلاقة السبب واثره»**

ويرتبط هذا النوع من الخلل في اقامة الحجج والذى اشرنا إليه بايجاز سابقاً عند تقديم العناصر العلمية للحجج بالجزء الاول من هذا الفصل بمفهوم ذاتية المتحاور الذى لا يستحضر القدر الكافى من التجرد الموضوعى للحكم على الامور بالقدر المطلوب من الدقة بل يترك لحيز الذاتية الموجود بداخل كل منا المجال الاكبر لتفسير الحدث ولقد وقع عدد كبير من اعضاء النخبة العربية في هذا المطب وهناك امثلة كثيرة في بنك البيانات الخاص بهذه الدراسة التى تسلط

الضوء على هذا النمط ومن الامثلة الدالة مقال كتبه المفكر العربي د. محمد عابد الجابري اثناء فترة الازمة في جريدة الاتحاد الاشتراكي المغربية بتاريخ ٢٧/١/١٩٩١ بعنوان «كلام ... الآن فقط أصبح له معنى ..» ! وفيما يلي تحليل لهذا المقال الذي سوف نتناوله من منظورين الأول هو تحليل لمسار الموضوعات به لتحديد المقولة الرئيسية والثاني هو توضيح للملامح الخلل في اقامة الحجة به .

أولاً : تحليل الموضوعات بالمقال وتحديد المقولة الرئيسية (Claim) :

يوضح الجدول التالي (رقم ٢) مسار موضوعات المقال : (انظر إلى النص الكامل للمقال بملحق الدراسة ص ٢١٧).

الموضوع (١)	« مقدمة لتعريف التاريخ طبقاً لوجهة نظر الكاتب بهدف تقديم لحظة التفاعلات الحية في أزمة الخليج »
الموضوع (٢)	« اللحظة التاريخية الحية لتفاعلات الأزمة قد بدأت في ٢٥ يونيو ١٩٩٠ أي قبل دخول القوات العراقية الكويت بخسمة أشهر وهي ندوة أقيمت في بغداد لحياء ذكرى مشيل عفلق مؤسس حزب البعث الاشتراكي الحاكم في العراق »
الموضوع (٣)	« موجز لخطبة مسئول عراقي في الندوة وكلامه عن المشروع القومي العربي التحرري » .
الموضوع (٤)	« نص كلام المسئول بخصوص : - العلاقة مع الغرب . وعلاقة العراق مع الدول العربية وعلاقة العرب الآخرين بالغرب . - تقييم لمرحلة ١٩٦٧ . - ممارسات الغرب داخل المنطقة .

<p>مضمون الحوار بين الحاضرين والمسئول العراقي: - « تذكر الكاتب لمقولتين عراقيتين الأولى أن العراق سيحرق نصف إسرائيل في حالة أي اعتداء لها على المزدوج الكيميائي. والمقولة الثانية (أن فلسطين آتية أن شاء الله) » . - تعقيب من الكاتب على المقولتين : - تناول قضية الديمقراطية .</p>	<p>الموضوع (٥)</p>
<p>تفسير الكاتب لحدث غزو العراق للكويت بناء على معطيات الموضوعات السابقة الذكر خاصاً في إطار تصريح المسئول العراقي وتصريح صدام في ٢٥ يونيو . (أن فلسطين آتية أن شاء الله) .</p>	<p>الموضوع (٦)</p>
<p>وهي آخر فقرة في المقال نصها كالآتي : المقولة الرئيسية الآن ، والآن فقط ، بعد اندلاع الحرب اخذت أعطي لكلام المسئول العراقي كامل معناه .. لقد أصبحت أرى فيه الآن كلاماً جديداً بل مفتاحاً لاعادة كتابة تاريخ المسلسل الذي أدى إلى ما جرى ويجرى الآن (فلنرجع القهقري) أذن ، بعد أن وضعنا أرجلنا على موقع يمكننا من قراءة الأمور الماضية والحوادث « الغابرة » قراءة أخرى .. قراءة تعطي معنى آخر لدخول القوات العراقية للكويت . إذ يبدو الآن أن العراق لم يدخل الكويت من أجل ثرواتها بل من أجل تدشين العمل في مشروع تحرري عربي .. جديد هو الذي شرحه المسئول العراقي .</p>	<p>الموضوع (٧)</p>

ثانيا : ملامح الخلل في اقامة الحجة :

١- نمط «هذا الامر ليس بالشرط نتيجة لذلك والتبسيط الزائد لعلاقة السبب واثره :

ويتجسد هذا النمط في أن الكاتب قد ربط في ادعائه دخول القوات العراقية للكويت بالاتي :

(أ) تدشين العمل في مشروع تحرري عربى جديد .

(ب) مايفيد ان غزو الكويت خطوة لتحرير فلسطين .

وهنا نقول بأن هذا الادعاء يفتقد اذن لوجود عنصر الدحض المسبق Rebuttal الذى تحدثنا عنه سابقاً والذى يتمثل في الآتى :

ان الكاتب لم يتعرض في مثل هذه القضية الجدلية إلى قضية غزو بلد عربى لبلد عربى آخر وهو جوهر الامر في سياق الحديث عن المشاريع القومية العربية واقتضب الامر كله بالكلمات التالية :

اذ يبدو ان العراق لم يدخل الكويت من أجل ثروتها بل من أجل تدشين العمل في مشروع تحرري عربى جديد هو الذى شرحه المسئول العراقى .

(جـ) تأطير الحدث :

نجد ان «نمط تأطير الحدث» في شكل ما دون الآخر (النمط الثانى الذى تحدثنا عنه) في الفصل الرابع يتجسد في اسلوب الجابري الذى قدم تفسير الاحداث من خلال سياق تاريخى طويل كما يتضح ذلك من نص مقالته بمحلق الدراسة الا انه في سرده للتاريخ قد تجاهل السؤال الخاص بمطامع العراق التاريخية لتكوين امبراطورية عراقية من ناحية وهو ما اعلنه العراق صراحة من أن الكويت جزء منه وهو «المحافظة رقم ١٩» فلماذا يكون المشروع «تحرري عربى» كما يقول الجابري ولايكون «توسعى قطرى!!» كذلك تجاهل الكاتب في تفسيره لموضوع «فلسطين الاتية ان شاء الله» تاريخ الصراع

العربى الاسرائيلى القريب ... حيث ان هذا التاريخ القريب يثبت عدم جدية العراق فى التصدى لاسرائيل سوى بالعبارات والكلام الطنان فقط فالواقع يقول بأنه عندما ضربت اسرائيل المفاعل النووى العراق بتحدى سافر واستفزازى لم يتحرك للعراق حينذاك ساكنا .. ألم يرى الكاتب لهذا الحدث هو الآخر «معنى» ! ان هذه النقاط توضح ان الكاتب قد أسقط من عناصر حجته عنصر الاتساق والربط Warrant وهو ما عرفناه على كونه رخصة للقفزة العقلية (Mental Leap) من الادعاء للبيانات أو العكس .

٢- معقولية أو مصداقية من نستشهد بهم فى سياق حجة ما .

من عناصر الخلل فى اقامة حجة جدلية ان يستشهد متحاور ما بمقولة شخصية غير ذات مصداقية للطرفين المتجادلين . وهذا ما فعله الكاتب حين استشهد بمقولة « المسئول العراقى » كما ورد فى الادعاء الرئيس بالمقال .

كذلك من امثلة تفاعلات الخليج التى اوضحت بما لا يدع مجال للشك هيمنة نمط « التبسيط الزائد للسبب واثره » « وان هذا الامر ليس شرط لذاك » مذكره الملك حسين عن ان موقف مصر من الازمة كان من منطلق الانتقام من العراق لموقفها فى اخراج مصر من الجامعة العربية عقب عقد اتفاقيات السلام . الامر الذى أن دل عن شىء فهو يدل عن تجاهل ملك الاردن ميكانزمات فى غاية التعقيد ليس لها علاقة بمفهوم « الانتقام الضيق » ويكفى حجم الرسائل العلنية وغير العلنية للرئيس مبارك التى اذا ما قرأت الان بموضوعية اوضحت أن مصر قد ارسلت كافة الرسائل الواضحة للغاية التى كانت تعكس حرصها الكبير والبين على احتواء الازمة والحفاظ على قوة العراق لصالح الامة العربية وكذلك تحرير الكويت ، إن هناك رسالة بلغت ٥٦ صفحة بعث بها الرئيس مبارك للرئيس صدام ينبه فيها إلى العوامل المعقدة التى تحيط بالموقف والتى كان ينبغى وان يتعامل معها الرئيس العراقى بمسئولية وجدية ومنطق .

**** النمط الثالث والعشرون : « حوارات خلل الایحاءات الناتجة عن تجاهل ثنائية المعنى » "Equivocation" :**

ويتمثل هذا الامر في أن تستند حجة متحاور ما على معنى واحد لمفهوم أو مصطلح قد يحمل استخدامه معنى مختلف بين اعضاء المجموعة الثقافية الواحدة أو من مجموعة ثقافية لاخرى وما أكثر الامثلة التى تحدث في تفاعلاتنا اليومية في العالم العربى والتى توضح اختلاف معنى كلمة ما بين الجماعات أو البلدان العربية .

كذلك هناك مفهوم معروف في كل لغات العالم مفاده ان الكلمات القديمة تكتسب معانى مختلفة وجديدة في احيان كثيرة ، فعلى صعيد التفاعلات في المجتمع المصرى نجد كلمات «باشا» «وبيك» أو «أفندى» على سبيل المثال كانت تعنى لقب اجتماعى له معناه المحدد قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٨٢ واصبحت لاتعنى نفس الشيء عقب الثورة ثم اکتسبت معنى جديدا في المجتمع يتسم احيانا «بالافراط في اطلاق هذه الالقاب في التفاعلات الاجتماعية بهدف الاحترام المفرط للبعض و احيانا أخرى على سبيل التهكم ومن أشهر هذه المعانى التى استجذت على هذه الكلمات والتى تفيد التهكم ما ذكره الرئيس السادات في احد احاديثه حين كان يهاجم بعض الكتاب الذين كانوا ينتقدونه حين قال بعد ان اسماهم «بالافنديات» إن البلد مش عايزة الافنديات دول «وانهم لايفقهوا شيئا» الخ واصبح تعبير « الافنديات» منذ ذلك الحين يعنى نوع من التهكم من البعض وهناك عشرات من الامثلة الاخرى والمراد قوله هنا أن هناك بعض المفاهيم التى كان لها معنى في اللغة القديمة قد اصبح لها معنى اخر في الاستخدام الحديث للغة ومن هنا نسلط الضوء على كلمة " الصليبيين " فالكلمة كان لها معنى واضح في اثناء فترة الحملات الصليبية على المنطقة العربية .. وإلى الان لاتزال هذه الكلمة لها وقع الحملة الصليبية ولكن بقدر ضعيف ، فالمعنى الان في مجتمع اللغة الانجليزية وعلي وجه الخصوص في المجتمع الأمريكى يعنى أى مهمة يقوم بها شخص ما وليس الامر الآن بمعنى «حملة صليبية» بدرجة المعنى القديم للكلمة .ففى المجتمع الأمريكى كنا نسمع مسيحى يقول لغير مسيحى "Good luck in your crusade"

والترجمة هي « اتمنى لك حظاً موفقاً فيما تريد عمله » أو في « حملتك » أو في « مساعاك » .. ومن هنا فإن بيان الاخوان المسلمين في الاردن عندما أخذ هذه الكلمة التي وردت في النيوزويك (بتاريخ ٢٠ اغسطس ١٩٩٠) لوصف الحملة الامريكية في الخليج على كونها الدليل الدامغ على ان ما يحدث في الخليج هو حرب صليبية بحته من منطلق المعنى القديم لكلمة Crusade يعتبر امراً غير دقيق من وجهة نظر تجنب عوامل الخلل في الحجج .. وهذا لا يمنع ان يعتقد الاخوان بالاردن أو أى انسان آخر ان امر الحملات الصليبية لم ينته بعد . فهناك من الادلة الواضحة الاخرى على ان هذه الحملات لم تنتهى ضد العرب والمسلمين ويكفى ظهور جماعات المسيحيين الصهاينة التى تنادى إلى الان بهدم المسجد الاقصى واقامة المعبد اليهودى والادلة على هذه المقولة معلنه وواضحه عند هؤلاء الصهاينة المسيحيين (انظر لمقال كاتب هذه السطور بخصوص هذا الامر في سياق الحديث عن ديناميكيات الصراع العربى الاسرائيلى (حسن وجيه ١٩٨٧). ولكن ما أود أن أقوله انه في سياق اقامة الحجج ينبغي وان يتسم الدليل بالدقة حتى تكون الحجة سليمة دون خلل وهذا نوع من الامانة فاذا كانت كلمة "Crusade" قد استخدمت لوصف الحملة الامريكية بتاريخ ٢٠ أغسطس ١٩٩٠ فإن ذات نفس الكلمة قد استخدمت في مجلة التايم بنفس التاريخ (٢٠ اغسطس ١٩٩٠) لوصف غزو العراق للكويت على كونه « حملة صدام » (Sadam's Crusade) (*) وكذلك وصف صدام على انه Crusader (**). فهل نقول هنا ان المعنى هو ان صدام « صليبي » !! المعنى هو « انه رجل ذو يقين ما » أو « قائد حملة يقينية ما » .

(*) نص الجمل كما رد في مجلة التايم الامريكية

(١) "Sadam's Crusade will not succeed"

(**) أى أن حملة صدام لن تنجح

(٢) U.S has the capacity to master the international effort to stop a vain a moral crusader like saldarn

والمعنى هو ان الولايات المتحدة القدرة على ان تحشد الجهد الدولي المطلوب لوقف هذا / ذلك المحتال عديم الخلق « الصليبي » !! عند حده .

والمثال التالي يوضح تحليل كامل لعناصر الحجة مع تسليط الضوء على مصادر الخلل بها وملامح لبعض خطايا الحوار التفاوضي التي تعرضنا لها .

أولاً: نص العينة :

أخوان الأردن

بدأت الحرب الصليبية الثامنة

أصدر الأخوان المسلمون بالأردن بياناً ملتهباً ، قالوا فيه :
لقد جاء يوم الحساب يا بوش ويا بيكر ويا ميجور ، وصنع الله
لكم من أقداره أمة تمرست في الحرب ، ومهرت في النزال وجاء
يوم أعز فيه الله الإسلام ورفع فيه راية التوحيد وقد وشحها
شعار « الله أكبر » ..

وأكد البيان أن الأمريكان قد أعلنوا عن بداية الحرب
الصليبية الثامنة كما جاء في النيوزويك قبل أسبوعين ، وحشد
الصليبيون واليهود جنودهم وبوارجهم ، وجاءت جميع
أجناسهم من ثماني وعشرين دولة ..

وأشار بيان الأخوان المسلمين بالأردن ، إلى أن الحرب لم
تبدأ منذ الثاني من أغسطس الماضي ، ولكنها بدأت منذ سنوات
للحيلولة دون إقامة النظام الإسلامي العالمي .

وقال البيان : لقد تعرضت أمتنا لمظالم الأمم الغربية
جميعها، وبيننا وبينها ثارات وثرات ، وأني لنا بالاحاطة بها
وهي في بلادها ١٩ فكان قدر الله أن يجعلها علي صعيد واحد ، على
أرضنا المباركة الطهور « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم
وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » ..

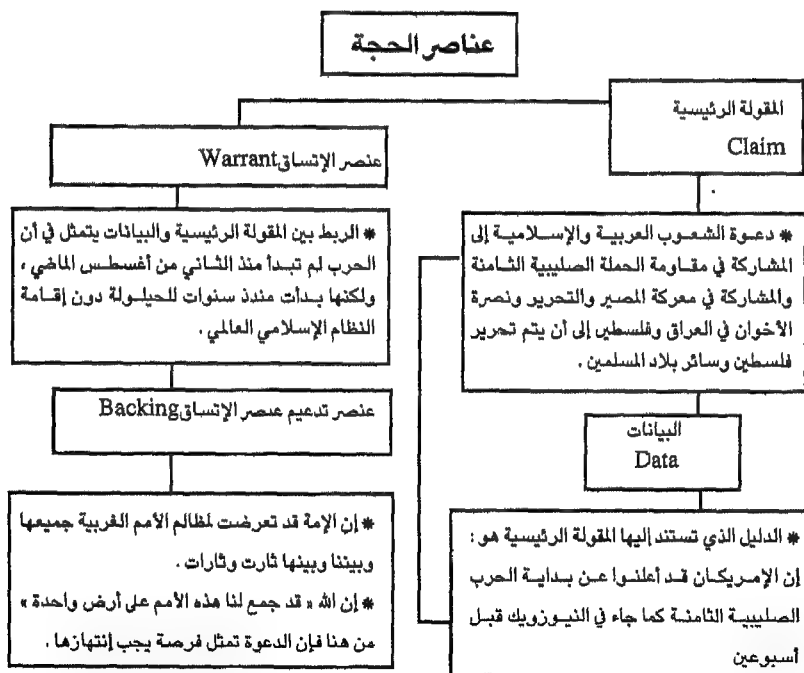
ودعا البيان الشعوب العربية والإسلامية إلى المشاركة في
معركة المصير والتحرير ، ونصرة أخوانهم في العراق وفي

فلسطين، حتى يأذن الله بنصره وتحرير الأرض المقدسة المباركة
في فلسطين وسائر بلاد المسلمين ..

جريدة الشعب ٢٢/١/١٩٩١

ثانيا : تحليل عناصر الحجة الرئيسية بالعينة :انظر الشكل التالي
(رقم ٢)

تحليل الحجة إلى عناصرها الأساسية والفرعية



مصادر الخلل في الحجة وملامح اشكاليات الحوار التفاوضي

مصادر الخلل في الحجة وملامح اشكاليات الحوار التفاوضي العربي

(١) إن عنصر الدحض والتفنيد المسبق (Rebuttal) يفقد إلى التعقل كصفة اسلامية اساسية دعى الله المسلمين إليها بحيث أن عليهم أن يتوخوا الحذر عند الحديث عن معركة مقبلة لم تبدأ بعد .. «لقد جاء يوم الحساب يابوش ويابيكور وياميچور وصنع الله لكم من إقداره أمة تمرست في الحرب ومهرت في النزال.. وجاء يوم أعز فية الله الاسلام...» (سلبية نمط «تضخم الاحساس بالذات» [النمط رقم (٢)])

(٢) اتسمت عناصر الحجة المختلفة بنمط التهيج والاسترسال العاطفى وإساءة استخدام سلطة النص وذلك بالاستشهاد بنص من نصوص الجهاد دون الاخذ بأسبابه بحذر وتعقل ومقدرة " . كذلك اتسمت المقولة بالتركيز على الموسيقى اللغوية في بناء النص لاثارة مشاعر وعواطف الشارع العربى والاسلامى وتعبئتها دون امعان النظر في خطورة الموقف وحيثياته الدقيقة . وهذه الخصائص تضعف من معقولية وموضوعية مقدم الحجة (Qualifier).

(٣) خلل التبسيط الزائد بين السبب واثره وتجاهل السؤال الرئيسى حيث أن سبب الحرب ليس دينياً وإنما هو إحتلال العراق للكويت. الذى انتهزه بطبيعة الحال اعداء العرب والمسلمين للحصول على اقصى حد من هدم قوة العرب والمسلمين نظراً للريبه والشك التى ينظر بها الغرب للاسلام وللغرب والتى دعمها تصرفات مثل ما أقدم عليه صدام العراق من مقولات تحدى جوفاء وعداء كلامي .

(٤) خلل الإيحاءات الناتجة عن تجاهل ثنائية المعنى Equivocation+ وهو ما قصدنا الحديث عنه ويتمثل هنا في الإعتماد على المعنى القديم لكلمة "Crusade" (الحملة الصليبية) والذى ورد بالفعل استخدامه في مجلة النيوزويك كدليل يدعم المقولة الرئيسة دون الوعي - عمداً أو سهواً - بمعنى الكلمة الانجليزية التى تعنى في الوقت الراهن معنى «حملة» «أو مهمة» لتحقيق هدف يقينى «والدليل على ذلك أن نفس الكلمة قد استخدمت لوصف عدوان صدام على الكويت (Sadams Crusade) وكذلك وصفه بأنه "Crusader"

**** النمط الرابع والعشرون : حوارات « غيبوبة الماضي »**

ان الحنين للماضى وللذكريات وللتاريخ شىء ايجابى بطبيعته اذا ما أحسن توظيفه بل ان من مصادر قوة هذه الامة انها في لحظات تاريخية تستلهم القوة والعزم من الماضى . ولكن سلبية هذا الامر ان يتحول إلى غيبوبة نعيش فيها وننسى الاخذ بأسباب التغيير أو اعادة ماكان مجيداً في تاريخنا العريق خاصة وان شواهد العصر تؤكد على وجود تعقيدات لم يشهد التاريخ الانسانى مثيلاً لها في تفاعلات عالم اليوم والمستقبل .وعلى النقيض من التوقع في اطار الماضى الذى يفترض فهم دروسه نجد نمط نسيان دروس الماضى وبسرعة غريبة في احيان كثيرة حتى لو كان لها اسباب أهمها عدم الأخذ بتلايب الأمور في مواجهة عدو شرس كما حدث في معركة ١٩٦٧ والتي سيطرت فيها اللغة الجوفاء فقط ، في الوقت التى اثبتت فيه الاحداث انه يمكن هزيمة العدو وتلقيه اقصى الدروس كما حدث في حرب رمضان السادس من اكتوبر ١٩٧٣ . ولكن كان الشرط الانجاء إلى حرب الكلام الاجوف ومعارك النزال من خلال محطات الارسال القوية التى رسخت نمط «تضخم الاحساس بالذات» إلى الحد الذى استخف بكل العقول وادى إلى تغييب العقل العربى .. لم يستفد العراق من هذا الماضى وجسد اسوأ انماط تفاعلاتنا وتسبب في نكسة اعماق واطغر من نكسة ١٩٦٧ . كذلك نسى من أيدوا العراق فور الغزو أن القضية لم تعد قضية غزو بلد عربى لبلد عربى آخر واصبحت القضية قضية وجود أجنبى لدى هؤلاء . وربما كان من احدث الامثلة التى جسدت نمط «غيبوبة» الماضى وسرعة نسيان دروسه هو اداء نفس الاطراف العربية التى أيدت العراق في غزوه للكوييت عند تفاعلها مع احداث الانقلاب الشهير في موسكو والذى وقعت احداثه في «النصف الثانى لهذا العام (١٩٩١) وهنا استشهد بمقال موجز كنت قد كتبته عن هذا الموضوع ونشر في الاهرام بتاريخ

١٩٩١/٩/٣ يستعرض هذا المقال نمط «غيبوبة الحنين للماضي» وكذلك

مجموعة أخرى من الانماط السلبية التى استعراضنها فى هذه الدراسة

وتجسدت جميعها فى رد فعل هذه الاطراف العربية وفيما يلى نص المقالة :

« احداث موسكو وانماط من التفاوض فى العالم العربى »

كأى حدث تتفاعل معه الاطراف العربية على الساحة الدولية يلاحظ المراقب وجود تباين وتناقض واضح بين مواقف الاطراف العربية المختلفة تجاه هذا البحث أو ذلك ،وبالنظر إلى احداث موسكو نجد ان هذا التباين والتناقض يماثلان ذلك الذى حدث ابان ازمة الخليج وغيرها من الاحداث الاخرى .. يرجع ذلك فى عموميته إلى مجموعتين من العوامل : المجموعة الاولى تتمثل فى تباين فى الادراك لتحركات الفاعلين المشتركين فى المباراة الدولية وقواعد اللعبة بالمعطيات الموضوعية المحددة لنتائج أى مباراة على الساحة الدولية .. والمجموعة الثانية تتمثل فى سلبيات الحوار التفاوضى اليومى فى العالم العربى على المستويين الاجتماعى والسياسى وبالطبع تتداخل العوامل فى المجموعتين فى تحديد ناتج الاداء .. الذى يظهر فى النهاية بشكل متناقض لا يخدم بطبيعة الحال صورة العرب فى عالم اليوم .

لقد كان موقف مصر من احداث موسكو يعكس اهتمامها فى المقام الاول بالشرعية وعدم التدخل فى شئون الآخرين من ناحية ولكنه ايضا قد عكس ذلك النمط التفاوضى الذى اكتسبه المفاوض المصرى بحكم الخبرة المصرية والدور المصرى على الساحة الدولية وهو «حسن الاستماع والترقب» ثم اتخاذ القرار السليم .. فأننا اذا ما أردنا تحليل رد فعل بعض الاطراف العربية بتأييد الانقلاب بموضوعية دون الهجوم على هذه الاطراف لوجدنا أن هذه الاطراف تتمنى وجود الاتحاد السوفيتى كقوة عالمية رئيسية كما كان العهد به حتى لو كانت قوة عسكرية ديكتاتورية فقط .. ان المفاوض العربى البراجماتى قد لا يعارض ذلك الامر فالاتحاد السوفيتى القوى يعيد التوازن

في علاقات الشرق والغرب وهذا شئ بديهي ولكن هذه الاطراف قد نسيت أو تناست أن القوة الاقتصادية هي العماد الرئيسي للقوة المسلحة كذلك .. من الانماط المرتبطة باحداث موسكو على صعيد التفاعلات العربية هو ان الاطراف العربية التي ايدت الانقلاب تعاني من نمط « غيوبة الحنين للماضى ايا كان ، وعبودية هذا الماضى لما له من صور قديمة لم يعد لها وجود حقيقى في عالم اليوم .. » فهذه الاطراف العربية تتصور ان جورباتشوف قد هدم ذلك الصنم الذى ظل يعبد الكثيرون وهو بذلك قد كفر وانه هو الذى اذل الاتحاد السوفيتى وليست القيم الشيوعية والاحلام والوهمية التى قامت عليها .. بل ذهب الكثيرون إلى توظيف أسوأ ما فى الانماط التفاوضية العربية وهو نمط المؤامرة الكبرى وان المؤامرة العالمية التى استهدفت الاتحاد السوفيتى هى نفس المؤامرة التى استهدفت وتستهدف العالم العربى .. ولكن الطريف فى احداث موسكو انها قد اثبتت ان هيمنة نمط المؤامرة ليس على الصعيد العربى فقط .. ولكنه انعكس بوضوح شديد فى مقولات العديد من القادة السوفيت . والواضح الان وجود هيمنة لنمط المؤامرة فى العديد من التفاعلات على الصعيد العربى والسوفيتى والامر يحتاج إلى دراسة متعمقة ولكن ربما تكمن الارضية المشتركة لهذه النوعية من التفاعلات فى انها نابعة من العديد من العرب والعديد من السوفيت الذين يمثلون فى واقع الامر حضارات قديمة وعظيمة الا انها تعاني الان حالات من التدهور الحاد والعجز الكبير الذى عادة مايصل بالانسان إلى لوم الاخر دون محاولة التحرك الايجابى لاحباط ماقد يحاك من مؤامرات فى هدوء وفعالية .

(د. حسن وجيه الاهرام ١٩٩١/٩/٣)

**** النمط الخامس والعشرون : «القوالب الذهنية المتفجرة» « والقوالب الذهنية الاستاتيكية» (المعدة مُسبقًا) :**

"Explosive Schematic Agenda "

Static / preset schematic Agenda

١ - المقصود « بالقوالب الذهنية » الاستاتيكية

هو أن يكون لدى متحاور ما قائمة موضوعات مُعدة سابقاً قبل الدخول في عملية التحوار والتفاعل الحقيقي وهنا يعيب المتحاور توظيفة لهذه الأجندة أو قائمة الموضوعات دون النظر والتعمق فيما يطرحه الطرف الآخر للحوار أثناء عملية التفاعل وهنا يبدو ذلك المتحاور كمن يحفظ طريقة للعبة الشطرنج (مثلاً خطة نابليون) دون أن يرى تحركات وأفعال الطرف الآخر الأمر الذى يؤدي في نهاية الأمر إلى فشل « الخطة » . فهنا يتضح للمستمع أو المراقب للحوار بأن هناك طرف « يكر الأجندة » ويتعامل مع الحوار بعيداً عن مستجداته ومتغيرات السياق . الأمر الذى يجعله يفقد معقولية وقدرته على الفوز أو حتى التعادل ولقد لاحظ كاتب هذه السطور أن العديد من المفاوضين الذين قاموا بتمثيل قضايانا في الخارج يوظفون هذه الاستراتيجية التى تمثل نمطاً سيئاً للغاية في تفاعلاتنا وبعضنا البعض وفي تفاعلاتنا مع المفاوضين من الثقافات الأخرى ..

وإذا ما نظرنا إلى بنك بيانات أزمة الخليج لوجدنا أن العراق قد قام بتوظيف استراتيجيات « القوالب الذهنية / قائمة الموضوعات الاستاتيكية » أي الموضوعات المُعدة سابقاً من قبل القائمين على إدارة الأزمة (المفاوضون) وبالتالي لم يسمح هؤلاء المفاوضين لأنفسهم بأن يعيدوا ترتيب قائمة موضوعاتهم التفاوضية ويستجيبوا بذلك لمقتضى تلك التفاعلات وتطویر الإدراك المسبق للأزمة عند بدايتها وما حدث عقب ذلك بالقدر الذى كان يتيح

للعراق والأمة العربية الخروج من تلك الأزمة بأقل خسائر ممكنة.. والمقال التالي بعنوان « المفاوضات العربى وإدارة الأزمة الراهنة » لكاتب هذه السطور كان بمثابة محاولة جادة للفت نظر القيادة العراقية في الاتقع في برائن ما أصفه في سياق هذا الكتاب بتوظيف استراتيجيات « القوالب الذهنية الاستكاتيكية » وفيما يلى نص هذ المقال :

المفاوضات العربى وإدارة الأزمة الراهنة

إذا كانت عملية التفاوض من أعقد العمليات الذهنية خاصة أثناء إدارة الأزمات الدولية ، فإن لهذه الأزمة الراهنة بالخليج تعقيدات فريدة من نوعها ، فإذا كانت صفة « المفاوضات العربى » في سياق الأزمات الدولية الساخنة السابقة تتضمن مواجهة مع مفاوضين من غير العرب فإن « المفاوضات العربى » أثناء هذه الأزمة يمثل المفاوضات العربى في مواجهة « مفاوض عربى آخر » من ناحية وكلاهما في مواجهة مفاوضين من غير العرب من الناحية الأخرى .

إذن فإنه يلزم لإدارة هذه الأزمة نوعان من ديناميكيات التواصل .. أحدهما يتعلق بخصائص وتعقيدات عمليات التفاوض بين العرب وغير العرب والآخر له خصائص وتعقيدات عمليات التفاوض العربية العربية . فإذا أردنا تسليط الضوء على كيفية الامساك بأهم خيوط الخروج من هذه الأزمة بأقل خسائر ممكنة لقلنا أنه يتعين على الجانب العراقى في إدارته للأزمة أن يعى أن النجاح أو الفشل في عملية إدارة الأزمات على مستوى العالم أجمع كما يحدد ذلك خبراء وعلماء علم العلاقات الدولية يتوقف على ادراك القيادة للموقف المحيط بها والمتغيرات المؤثرة فيه . كذلك فإن الادراك السياسى الناضج يتمخض عنه ذلك القرار الذى يسمح باستقبال المعلومات الجديدة والطارئة واستيعابها والاستجابة المرنة لها وتطوير الإدراك المسبق للموضع قبل الأزمة وعند بدايتها وما يحدث عقب ذلك من تحركات للأطراف المتفاوضة المختلفة في اللعبة الدولية.

أن الأمر في أزمة الخليج الراهنة يوضح أن هناك اجماعاً دولياً لم يسبق له مثيل من قبل لتنفيذ إجراءات اقتصادية وعسكرية ضد العراق قد تصل بالمنطقة كلها إلى حالة من الدمار والانهيار .

إن الطريق مازال مفتوحاً أمام العراق ليخرج من هذا المأزق مع الحفاظ على ماء الوجه . ولقد أوضح ذلك الأمر خطاب الرئيس مبارك الأخير في ذروة الأزمة من خلال عرضه لصيغة السلوك الدولي المطلوب من قبل العراق انتهاجه وفي ظل المظلة العربية . كذلك أوضح خطاب الرئيس أن مصر في إدارتها لعمليات المفاوضات العربية العربية قد أدركت أهم مشاكل الاتصال في الأزمات الدولية . كذلك كانت هناك الإشارة بقوة إلى وضع مصر وثقلها عربياً وعالمياً واحترام كيان وتوجيهات الرأي العام المصري .

إن درجة ضبط النفس العالية التي تبناها القائمون على إدارة الأزمة في مصر يتيح الطريق مرة أخرى للعراق للخروج من هذه الأزمة المتفجرة وبطريقة تحفظ ماء وجهه وتجنب المنطقة نتائج لا يعلم مداها إلا الله سبحانه وتعالى .

د . حسن وجيه

الأهرام ١٣ / ٨ / ٩٠

وإذا كانت المقالة السابقة تعنى بإبراز مثال من أمثلة تفاعلات أزمة الخليج التي تلقى الضوء على هذه الاستراتيجية السلبية في الحوار فإن كاتب هذه السطور قد القى بالضوء على هذه الظاهرة أيضاً في معرض رده على مزاعم سلمان رشدي في إطار الجدل الذي دار لفترة طويلة عقب نشر روايته المعروفة بعنوان « الآيات الشيطانية » فلقد كان الدافع لكتابه هذا الرد في صحيفة «الهُويا» جريدة جامعة جورجتاون — لمنطقة واشنطن العاصمة . ليس فقط الرد على مزاعم سلمان رشدي في حينها ولكن كان أيضاً من منطلق محاولة تصحيح رد الفعل الإسلامي حيث إن المتحدث الذي كان يمثل وجهة النظر

الأسلامية في حوار مع سلمان رشدي في البرنامج الاخباري الشهير بالولايات المتحدة Nightline . ABC بتاريخ ١٣ فبراير ١٩٨٩ قد وظف استراتيجيات «القوالب الذهنية الاستاتيكية» حيث اضاع الوقت فيما اعده مسبقًا من أن الرواية ضد الإسلام وضد المسلمين وإن المسلمين غاضبون الخ ولم يلتفت إلى أسلوب سلمان رشدي الذي حاول أن يتحدث عن قضية حرية التعبير في الثقافة الإسلامية وبالتالي لم يفند ذلك المتحاور حُجج رشدي الواهنة والضعيفة .. الأمر الذي أكسب رشدي مناصرة لا تستند للحق بإى حال . ويتضمن ملحق المقالات بهذه الدراسة ترجمة إلى العربية لمقال كاتب السطور في هذا الصدد بعنوان « على الغرب إن يحذر الفخ الذي ينصبه رشدي : أطراف الجدل حول «الآيات الشيطانية» تتجاهل أصول الحوار الفكرى الإسلامى » جريدة الهوى ٢٨ / ٢ / ١٩٨٩ . (ص ٢٧٢)

٢ - المقصود « بالقوالب الذهنية المتفجرة »

"Explosive Schematic Agenda "

والمقصود أن يكون لدى متحاور ما قائمة موضوعات مُسبقة ويتحين أى فرصة لاطلاقها وإعلام الآخرين والفرق بين هذه الاستراتيجية الحوارية والسابقة « الاستاتيكية » هو أن إداء المتحاور هنا يكون ، أكثر انفعالية إلى الحد الذى يصل به إلى تطويع أو بمعنى أدق « تلفيق » السياق بالطريقة التى تتناسب شكليًا مع عملية اطلاق أو تدشين قائمة الموضوعات أو القوالب الذهنية فى عملية التفاعل . ولقد لاحظ كاتب هذه السطور أن توظيف هذه الاستراتيجية غالبًا ما يكون من الملامح الرئيسية لخطاب الرفض والتطرف والاطلاقية وما أسماء كاتب السطور بخطاب التنافر D dog Fight discourse وتلك النوعية التى تعانى حالة حادة من الاحباط والاضطهاد أو المؤامرة فى بعض الأحيان وترتبط هذه الصورة ارتباطاً وثيقاً بنمط حوارات التأطير « ا نمط رقم ٢ والذى تناولناه بالتحليل فى هذا الكتاب .

وإذا كان المفاوض العراقي في أزمة الخليج قد قام بتوظيف هذه الاستراتيجية بكثافة عالية في تفاعلات ما قبل وأثناء وبعد الأزمة إلا أن هذه الظاهرة مع الأسف تتجسد في كثير من تفاعلاتنا الاجتماعية والأسوأ أنها قد وصلت إلى التفاعلات الأكاديمية حيث تتنوع صور هذه الاستراتيجية من خلال التصنيف المتسرع أو المتعسف للمتجاوز الآخر وللنص وبتحميل النصوص ما ليس بها وتوظيف استراتيجيات « احتكار الحقيقة » بصورها المتنوعة مع حدة ملحوظة في الالفاظ المستخدمة

وللتدليل على الاستراتيجيات المتعددة التي تعكس صوراً من نمط الأجندة أو القوالب الذهنية المتفجرة من خلال تفاعلات الأزمة الثقافية المزمنة سوف اقدم في هذا الجزء من الدراسة تفاعلات حوارية حقيقية حدثت مؤخراً بين كاتب هذه السطور وأحد الأخوة الذين يمثلون قطاعاً في واقعنا الثقافي الأكاديمي ولقد بدأ هذا الحوار على صفحة الفكر الثقافي بجريدة الاهرام والمقالات الخمس التالية تمثل عناصر الحوار وهي كالآتي :

المقال الأول

العقل العربي والحوار مع «الآخر» ..

عندما نتناول بالتحليل موضوع الحوار مع الآخر ، فإن الامر في واقعه يتعلق ببعدين رئيسين للتحليل . البعد الاول ويتعلق بتحليل التفاعلات الحوارية داخل محيطنا الثقافي . والبعد الثانى ويتعلق بتحليل التفاعلات الحوارية بيننا وبين ذلك الآخر من الثقافات المختلفة والمتنافسة معنا . ويهيمن على تفاعلات هذين البعدين نمط «القبول المطلق أو الرفض المطلق» بمستوياته وظلاله المتعددة وادواته المختلفة ، ولاسييل إلى سرد هذا الكم الهائل من الامثلة التى تؤكد على هذه المقولة في سياقنا هذا . ولكن ما أود أن القى بالضوء عليه

هو ان رد الفعل التلقائي لمعالجة نمط القبول المطلق أو الرفض المطلق كان تبني البعض لما قد نطلق عليه «نمط الوسطيين أو التوفيقيين» وهؤلاء قد انقسموا إلى فئتين : الاولى تمثل هؤلاء الذين ادركوا عن عمق حجم وطبيعة العلاقات والتدخلات في عالم اليوم والذي لانملك أن نعيش بمعزل عن تفاعلاته ونجحوا في احراز اهدافهم واتسمت تفاعلاتهم في نفس الوقت بعدم الاخلال بنظام القيم الاصيل في ثقافتنا ولم يكن التفاوض مع الآخر على حساب هذه القيم الاصلية . اما الفئة الثانية من الوسطيين فهي تلك الفئة التي تتفاوض مع الآخر من منطلق الاستعداد للتنازل عن امور تتعلق بنظام القيم الثقافية الاصلية . وتفاعلات هذه الفئة تجسد ملامح تسودها ظلال الاطلاقية ايضا ، وهذه الفئة هي التي جعلت لتعبير «الحل الوسط» مدلولات سلبية ، بحيث اصبح التعبير يعنى التهاون والتنازل وليس العقلانية ومراعاة الاختلاف كطبيعة بشرية ، وهذا المعنى هو الذى يهيمن على ادراك قطاع كبير من جماهير الشارع العربى والاسلامى . ومايلقى بالضوء على هذا الامر ماذكره باحث اللغويات الاجتماعى بروس فريزر في بحثه الذى تناول فيه ادراك الثقافات المختلفة لمفهوم «الحل الوسط» "Compromise" . ولقد أورد الباحث عدة امثلة منها مثل من الشارع الاسلامى في ايران حين ذهب مبعوث الامم المتحدة إلى ايران بشأن التفاوض في ازمة الرهائن الامريكيين الشهيرة ، ويذكر الباحث انه بمجرد أن ردد المبعوث تعبير «حل وسط» واعلن أنه جاء للوصول إلى «حل وسط» . فما كان من الجماهير الا أن رشقت سيارته بالحجارة .

اننا اذا ماحاولنا اقتفاء مفهوم «الاطلاقية» من منظور نخبوى لتأملنا ايضا مقولات د. محمد عايد الجابرى والذى يعد واحدا من اهم المفكرين العرب المعاصرين ، وهنا نجد ان الجابرى عندما يتحدث عن مفهوم «الاستقلال التاريخى للذات العربية» ، فإنه وبكلماته يتحدث عن «الاستقلال التاريخى التام» كما ورد في مقولته الرئيسية في كل من كتابيه «الخطاب العربى المعاصر»

و «تكوين العقل العربى» (انظر المصدر الاخير ص ٥٦٧) ... وان مايؤكدده د. الجابرى بصورة جلية هو التحرر الكامل من السلطة المرجعية للنموذجين «السلفى» و «الاوروبى» حتى يتحقق ذلك الاستقلال التاريخى التام للذات العربية ، وفى طيات هذه المقولة نجد ضلالا قوية لمفهوم «الاطلاقية» والتي تؤكد فى نفس الوقت على هيمنة نمط الانعزال عن الواقع المعاش بكل تعقيداته البالغة والحقيقية . إنه من المتعين علينا ونحن بصدد تقييم تفاعلاتنا مع الاخر وبصدد «نقد العقل العربى» أن نأخذ بعين الاعتبار النقاط التالية :

١- ان تبنى امر «الاستقلال التاريخى التام» أو ماشابه ذلك من مقولات اطلاقية فى عالمنا العربى هو بمثابة استمرار «الحلم العربى» المجرد والذى يخرج عن نطاق نواميس «احلام البشرية المتعددة» مثل «الحلم الامريكى» ، و «الحلم اليابانى» و «الحلم الالمانى» ... فهذه «الاحلام» لم تتصف باستغراق المجرد والاطلاقية وانما واكبها لحظة بلحظة الاخذ بعين الاعتبار ميكانزمات الواقع والتجربة المعاشة بكل تعقيداتها ومكوناتها قبل أى شىء آخر .

٢- ان علينا ان ندرك ان ساحة التفاعلات قد إتسعت فى عالم اليوم واصبح من شبه المستحيل الحد من هذه التفاعلات الامر الذى حدا بخبراء العلاقات الدولية إلى تقييم وشرح مفاهيم جديدة مثل «القرية العالمية» "Global Village" ومفهوم الاختراق المتبادل (Interpenetration) .. والذى يعنى امكانية عرض المفاهيم الثقافية المتباينة للثقافات المتنافسة على صعيد العالم من خلال قنوات دولية متعددة .

٣- ان علينا ان ندرك اصول وقواعد المباريات الدولية على كافة الاصعدة مع التمسك بالقيم الاصلية والايجابية التى تميز ثقافتنا العربية الاسلامية فهذا هو الطريق الذى يحتاجه مسار هذه الامة حتى تتمكن

من التخلي عن موقع المتلقى وتعود إلى ساحة الاسهام في حضارة عالم
 الغد ... فالتهاون في هذه المعطيات قد يمكن الثقافات المتصارعة أو
 المتنافسة من احداث «إحلال ثقافي» في منطقتنا .. الامر الذى سوف
 يعمق من حدة ازمتنا الثقافية .. وهو الامر الذى ينبغى ان ندق له
 الاجراس .

د. حسن وجيه جامعة الازهر
 (الاهرام ٢٥/١٠/١٩٩١)

المقال الثانى

تعليق على مقال «العقل العربى .. والحوار مع الاخر»

تعليق للاهرام :

«ننشر هذا التعليق الجاد (رغم حدته) ليس فقط من باب تأكيد إيماننا
 بحرية الفكر وحق الجميع في طرح افكارهم ورؤاهم على الاخرين ، ولكننا
 ننشره ايضا لتأكيد ضرورة الحوار نفسه وإحتياجنا إليه من أجل بلورة
 منطلقات فكرية واضحة تؤسس لعصر التنوير الثانى الذى يكافح كل
 «العقلانيين» في سبيله .. وغنى عن القول اننا ننشر هذا التعليق رغم إختلافنا
 مع منطلقاته وتحليله لكثير من النقاط» .

مقال كاتب التعليق :

يبدو ان النخبة المنتجة للفكر في مصر ، وربما في غيرها ، لاتملك في مواجهة
 ازمتها الراهنة إلا أن تقوم - لعهدا على الدوام - بإعادة إنتاج فكرها ،
 وإجترار نفس خطابها الذى لم تغلح مائتى عام من النهضة المحيطة في زحزحته
 والخلاص من هيمنته ، حتى لقد بدأ الخطاب - إذ يعيد إنتاج نفسه بلا كلل -
 أشبه بعنقاء اسطورية تنبعث ثانية من رماد إحتراقها في إنكسارات
 لاتنتهى وهكذا فإنه بالرغم من ان الاهرام يطالعنا كل اسبوع بمفكر مصرى

جديد ، فإن الجدة عند معظم هؤلاء الجدد ، لاكلهم ، لاتعنى إلا إعادة إنتاج خطاب نخبتهم وذلك بعد زركشته بالطبع بالمقولات الاكثر حداثة المتداولة في النتاج الاكثر معاصرة للعلوم الانسانية الغربية .

- ضمن هذا السياق يندرج المقال الوارد على هذه الصفحة يوم ٢٥ / ١٠ / ١٩٩١ عن «العقل العربى والحوار مع الآخر» للاستاذ حسن وجيه الذى لايفعل شيئاً إلا إعادة إنتاج خطاب النهضة الكلاسيكى « وبلغه الكاتب نفسه خطاب «هؤلاء الذين ادركوا عن عمق حجم وطبيعة العلاقات والتداخلات في عالم اليوم الذى لانملك أن نعيش بمعزل عن تفاعلاته ونجحوا في إحراز اهدافهم وإتسمت تفاعلاتهم في نفس الوقت بعدم الاخلال بنظام القيم الاصيل في ثقافتنا ، ولم يكن التفاوض مع الاخر على حساب هذه القيم الاصلية» .إنه إذن خطاب النهضة العربية . الذى دشنه الطهطاوى وخير الدين التونسي في القرن التاسع عشر فيعيد إنتاجه - رغم كل عجزه وإخفاقه - بمفردات نهايات قرننا .. إن الخطاب المؤبد الذى تستعصى صيغته النظرية التلقيفية على الانكسار ، وذلك رغم كل الانكسارات التى طالته في الممارسة إبتداء من إنكار محمد على وإنهاء بإنكار عبد الناصر .

والحق أن المقال ياتى تعبيراً نموذجياً عن ثوابت خطاب النهضة الذى تصور التقدم تفاعلاً كيميائياً أو حوارياً بين الانا والآخر ، وهو تفاعل لم يتحقق قط لغياب شرطه اللازم . ولكن خطورة المقال تأتى من إصراره على وصم الطموح إلى التحرر الكاملة للذات العربية من أى سلطة مرجعية بالرومانسية والتجريد ، وايضا من الحاجة ، في هذا الظرف التاريخى الدقيق الذى يتكالب فيه العرب على التفاوض ، على تبرير مفهوم ، الحل الوسط « وهو في حالنا الراهن لن يكون «حلا وسطا» - باسم العقلانية والواقعية وغيرهما من مفردات قاموس ايامنا . ومن هنا ضرورة تفنيد دعاوى هذا المقال - الخطاب .

فأولا : يتحدث المقال عن «نمط الوسطيين أو التوفيقيين الذين نجحوا في إحراز اهدافهم وإتسمت تفاعلاتهم في نفس الوقت بعدم الاخلال بنظام القيم الاصيل في ثقافتنا» . ولا اظن هذا القول صحيحا ابدا .. إذ الحق ان معظم الليبراليين - وهو الاسم المتداول على الوسطيين - قد إنتهوا في الاغلب إلى الفرق حتى الانشقاق في لجة التراث معبرين من جهة عن أخفاق اطروحاتهم التنويرية ، ومكفرين عن بداياتهم المفرطة في إعجابها بالغرب من جهة أخرى . إن من يطالع مجرد عناوين النصوص المتأخرة لفيالق الليبراليين ابتداء من الطهطاوى وحتى زكى نجيب محمود ومرورا بطة حسين والعقاد ليدرك ان النهاية التراثية - بل والصوفية احيانا - لهؤلاء تمثل ظاهرة تستحق الدرس . ومن جهة أخرى فان النفوذ المتعاطف لما يسمى بالتيارات المتطرفة دينيا التي تظهر عداء لاهوادة فيه لكل ما هو عقلانى أو تنويرى ليكشف عن زيف الادعاء بان هؤلاء الليبراليين - ذوى الاهداف التنويرية - قد نجحوا في إحراز من اهدافهم .

وثانيا : يرى الكاتب في القول بضرورة «التحرر الكامل للذات العربية في السلطة المرجعية للنموذجين السفلى والاوروبى» ظلالة قوية لمفهوم «الاطلاقية» الذى يؤكد - حسب قوله - هيمنة نمط الانعزال عن الواقع المعاش . وإستمرار لما يسمى بالحلم العربى المجرد . على الذات العربية ان تنخرط - حسب الكاتب - فى الحوار مع الاخر بدلا من مداعبه هذه الاحلام الطوباوية ، والحق ان التحرر الكامل للذات العربية من السلطة المرجعية ليس فقط للنموذجين السفلى والاوروبى ، بل ومن سلطة كل نموذج ، هو الشرط المسبق لكل حوار فدون هذا التحرر لن يكون التفاعل حوار بل ضياعا . وإذن فإن الحديث عن الحوار مع الاخر كفرض قابل للتحقق هكذا مع تغييب كامل للشروط التى يستحيل دونها هو الذى يعكس . فى المقابل ، ظلالة قوية لمفهوم الاطلاقية الذى يتكشف هنا عن ضرب من التفكير الاتارىخى يستبدل التاريخ بالنموذج الامريكى أو اليابانى أو الالمانى ، كما يمثل إستمرارا للواقع العربى

البائس ، وإلا فهل تملك الذات العربية في ظل شروط وجودها الراهن من الندية ما يمكنها من ان يكون تفاعلها مع الآخر حوارا لاضياعا ؟
وهكذا فإن الطريق إلى التخلي عن موقع المتلقى والعودة إلى ساحة الاسهام في عالم الغد - وهو املنا جميعا - لن يكون بمجرد الدعوة الرومانسية إلى الحوار الايجابي مع الآخر ، بل يتأسس جوهريا على ضرورة التصر من السلطة المرجعية لأى نموذج ، وأعنى ضرورة التصر من هيمنة «ابستيمولوجية» النموذج التى تغلق امام العقل العربى أى طاقة للابداع ، والتى تمارس ، للأسف ، فعلها في وعينا على نحو غير مشعور به حتى لو إدعينا أكثر الحالتين حداثة .

على مبروك مدرس مساعد
كلية الآداب - جامعة القاهرة
(الأهرام ٨ / ١١ / ١٩٩١)

المقال الثالث

رد على التعليق : العقل العربى والحوار مع الآخر

في بداية الرد على التعليق الذى ورد بهذه الصفحة بتاريخ ٨ / ١١ / ١٩٩١ اود ان اشكر للكاتب حماسه ومشاركته في الحوار ولكننى اجد في تعليقه مايمثل صورة متكررة من صور ذلك «الخطاب» الذى يجسد العديد من سلبيات الحوار التفاوضى على المستوى التقنى وهذه السلبيات تشكل مشكلة اساسية تواجهنا في تفاعلاتنا اليومية وهذه بعض منها :

١- التصنيف المتسرع للنص وللمتجاوز الآخر :-

يأتى تعليق الكاتب غنياً بواحدة من سلبيات تفاعلاتنا الحوارية وهى الخاصة بتصنيف أحد المتجاوزين للآخر ووضع في إطار معين بسرعة ملفته

لاتدل على التروى المطلوب في الحوار ليكون موضوعياً.. يقول التعليق :-
 «يتحدث المقال عن «نمط الوسطيين أو التوفيقيين الذين نجحوا في إحراز أهدافهم واتسمت تفاعلاتهم في نفس الوقت بعدم الاخلال بنظام القيم الاصيل في ثقافتنا...» ثم يصنف الكاتب «هؤلاء الوسيطيين» على أنهم «الليبراليين»... ويهاجم بعد ذلك جهودهم واجتهاداتهم.. ويلاحظ هنا ويلاحظ هنا أيضاً أن كاتب التعليق يضع رموز «الليبراليين» «والوسطيين» في قالب واحد دون أدراك للفروق بينهم سياسياً هذا في الوقت الذي لا تمثل كلماتي في المقال «الليبراليين» أو غيرهم على وجه التحديد... ولكن الكلمات تعنى بوضوح «أى متحاور يتفاعل مع الآخر دون أن يتخلى عن ثوابت القيم الاصيلية في ثقافتنا...» فربما يكون هذا المتحاور مبعوثاً ليس له أى إنتماءات مصنفة سوى حبة لتراب وطنه... وربما يكون مفاوضاً لشركة من شركات الزلط أو الشيكولاته، وربما يكون ممثلاً سياسى في وفد من الوفود !!.

٢- تبرير «الحل الوسط» !!

يقول التعليق « ولكن خطورة المقال تأتى من اصراره على وصم الطموح الى التحرر الكامل للذات العربية من أى سلطة مرجعية بالرومانسية والتجريد، وايضاً من الحاحه، في هذا الظرف التاريخى الدقيق الذى يتكالب فيه العرب على التفاوض، على تبرير مفهوم «الحل الوسط» الخ » .

وهنا أود أن الفت نظر الكاتب والقارئ الكريم الى أن ما كتبتة في مقالى بتاريخ ٢٥/١٠/١٩٩١ لم يكن أساساً تبريراً لمفهوم «الحل الوسط» وبالطريقة التى عُرِضت بالتعليق، بقدر ما كان توصيف موضوعى لما لحق بادراكنا لهذا التعبير ثم إنه ولو فهم على كونه تبريراً «للحل الوسط» الذى لا يمثل تهاوئاً في القيم الاصيلية والايجابية في ثقافتنا العربية الإسلامية كما ذكرت ذلك بالنص... فلماذا يحدث كل هذا الانفعال لدى الكثيرين عند مجرد

سماع تعبير «الحل الوسط» والذي يعتبر مفهوم اساسى لحل أى صراع إجتماعى أو سياسى في عالمنا ... فهناك دائماً هامش كبير «للحل الوسط» ويرتبط استخدام هذا الهامش إيجابياً بالفهم الحقيقى والعلمى لطبيعة وقواعد مباريات الصراع الإجتماعى والسياسى. إن هذا المفهوم ليس أصيلاً فقط في الثقافة الغربية ولكنه مفهوماً أصيلاً- اذا ما أحسن توظيفه بذكاء- في ثقافتنا العربية الإسلامية. ففي صلح الحديبية تخلى الرسول ص عن وصف «الرسول» المنسوب اليه حقاً ونزل الى طلب الكفار بمنادته بالاسم المجرد، حيث وجد ص ان هناك هامش من المرونة في التفاوض لن ينتج عن استخدامه أى مساس بالرسالة . وفي أدبيات الحروب الصليبية التى لايزال الغرب يتناولها بالتحليل الدقيق إلى يومنا هذا، نجد العديد من الأمثلة التى تتعلق بالفهم الإيجابى لمفهوم الحل الوسط في عدد من المواقف التى كان الناصر صلاح الدين طرفاً فيها والذي وصف في أدبيات الغرب بكونه المحارب والمفاوض المحنك الذى أتقن ببراعة قواعد إدارة الصراع وهناك كتاب تفصيلى حديث للكاتب (Stanely lane- Pool) بعنوان «صلاح الدين وسقوط مملكة القدس» (١٩٧٨) لمن يريد الإطلاع على تلك التفاصيل ... الاخ كاتب التعليق : لقد كان كلامى دقيقاً للاجراس بخصوص هذا المفهوم وليس مجرد تبرير له في هذا الظرف الدقيق !! .

٣- «الاطلاقية» ووقائع التفاعل العلمية :

ينتقد كاتب التعليق ما ذكرته من وجوب التخلي عن «نمط الانعزال عن الواقع المعاش» ويصر على التمسك بمقولة «التحرر الكامل للذات العربية من السلطة المرجعية ليس فقط للنموذجين السلفى والأوروبى، بل ومن سلطة كل نموذج، فهذا هو الشرط المسبق لكل حوار.... فدون هذا التحرر لن يكون التفاعل حواراً» بل ضياعاً...

ومرة أخرى إن مثل هذه المقولة براءة ورومانسية حقاً واختلافنا هنا ينبع من اختلاف في أسلوب التفكير أساساً لأن مثل هذه المقولة لا ترقى للتعامل الفعل والى الإيجابى مع حقائق التفاعل العلمية البحتة التى يقرها علم النفس اللغوى والإدراكى Psycho & Cognitive Linguistics... وحتى لا يغضب كاتب التعليق من إستخدام مفردات العلوم الإجتماعيه الحديثه) أقول أن مثل هذه المقولة لا تقرها كافة وقائع تاريخ البشر على إمتداده .. فالحوار دائماً وابدأ له منطلقات مهيمنة عليه... وتتصارع مثل هذه المنطلقات ويمثل تصارعها وحضورها الواضح بداية لى حوار ... فالاسلام جاء لاتمام رسائل الله السابقة ولكن أيضاً عبر عن أقوى صور الحوار المتصارع .. لقد جاء الإسلام ليتعامل مع هيمنة أنماط من العقائد الأخرى السائدة .. والماركسية عندما ظهرت إلى حيز الوجود جاءت كفكرة لتتعامل مع هيمنة الرأسمالية، وبعيداً عن العقائد والايديولوجيات فإن حوار علماء القضاء بخصوص المكوك الفضائى(Space shuttle) قد هيمنت عليه سلطة نموذج أو فكرة الطائرة أو لنقل نموذج الطائرة التى يمكنها اختراق المجال الجوى.. إذاً فمقولة الاستقلال التاريخى التام لى ذات في العالم أو التخلص من هيمنة فكرة أو نموذج سائد كشرط مسبق لعملية التفاوض ماهو الا من قبل المقولات الجوفاء والرومانسية التى لا يمكن ممارستها عملياً وغير قابلة للحدوث الحقيقى من منظور التفكير العلمى للتفاعل.

٤- بعض من ملامح الخلل الشائعة في إقامة وتفنيد الحجج :

هناك اسس علمية مفتقدة للغاية في كثير من تفاعلاتنا بخصوص أسلوب إقامة الحجج وتفنيدها، وفي سياق ما أورده كاتب التعليق أود أن اسلط الضوء على قوله : «إن النفوذ المتعاضم لما يسمى بالتيارات المتطرفة دينياً والتي تظهر عداء لاهوادة فيه لكل ماهو عقلانى أو تنويرى ليكشف عن زيف الادعاء بأن

هؤلاء الليبراليين - ذوى الاهداف التنويرية - قد نجحوا في أحرار أى من أهدافهم»..

والنقطة التى اتعرض لها هنا تتعلق بخلل تقنى واضح في تفيند الحجج وهو مايسميه علماء اللغويات الاجتماعية (Non Sequitur) أو ببساطة مايفيد أن «هذا الامر ليس بالشرط دليل على ذاك»! فتعاظم التطرف له بالتأكيد أسباب أخرى متعددة ولا يعود فقط لإحتمال وجود قصوراً كبيراً أو صغيراً في إجتهدات أعلام التنوير المذكورين ابتداء من الطهطاوى وحتى زكى نجيب محمود ومروراً بطله حسين والعقاد ، طبقاً لكاتب التعليق.

٥- الاصرار على "التسحلف" و"الانسحاب" :

من أكثر سلبيات تفاعلاتنا سواءً الاستغراق المحبط في وصف أوضاعنا وضعف حيلتنا، بدلاً من التفاعل الإيجابى والأخذ بتلاييب الأمور- هذا في الوقت الذى نملك فيه الكثير من مقومات التحرك الواعى رغم كل القصور المنظور فمثل هذا التحرك هو المخرج الوحيد من مهالك الوقوف «مهلك سر» فكاتب التعليق ينتقد مقولة :

« على الذات العربية أن تنخرط في الحوار مع الآخر بدلاً من مداعبة الأحلام الطوباوية» ويتساءل «وهل تملك الذات العربية في ظل شروط وجودها الراهن من الندية مايمكنها من أن يكون تفاعلها مع الآخر حواراً لا ضياعاً؟»

إن هذه المقولة تمثل دعوة لتأجيل الأمور في الوقت الذى لانملك ذلك .. فهى بمثابة أن نقول للمتصارع أو المتنافس معنا حضارياً: من فضلك انتظر إلى أن نتحرر من سلطة نموذج ونموذج س أو ص حتى يكون لنا الاستقلال التام والندية معك؟! الا نعلم بعد أن من بديهيات الحاضر والتاريخ ان الصراع ماض

(*) المقال رقم (٣) هو النسخة الاصلية التي أرسلت لصفحة الفكر بجريدة الاهرام قبل ان يتم اختصارها (بمعرفة كاتب السطور لاعتبارات حيز المساحة ونشرت بتاريخ ٩١/١٢/٦ .

إلى يوم الدين وإنه لا يرحم " المتوسلين والمتسحلفين " وإن المتنافسين والمتصارعين الذين نواجههم يركبون قطاراً سريعاً يمكنه سحق السلحفاة التي يصر البعض على ركوب ظهرها ويريدون ان نعبر بها معهم من أمام هذا القطار!! ليس من الأفضل النزول من على ظهرها والتحرك بدونها... اليس في هذا فقدان لابسطة مبادئ عقلية التحرك بصيغة أكثر فاعلية والتعرف على «فن الممكن»... فحتى إذا لم تكتمل الندية لأسباب هي دائمة غاية في التعقيد ... اليس من الاشرف لنا دائماً أن نقبل التحدي وننزل إلى ساحة التفاعل بإيجابية .. فحتى إذا خسرنا فستكون خسارتنا أقل فداحة بكل تأكيد من فداحة الهجاء الاجوف والرمانسية والطوباوية التي غاص فيها العقل العربي وأغرق بها وفيها أجيال متلاحقة !! .

المقال الرابع

عودة إلى قضية :

العقل العربي والحوار مع الآخر

الحق أن جزء من خطاب النخبة في عالمنا العربي يجتهد في رفع ورقة الحوار مع الآخر - المغاير لستر عورة عجزها وإفلاسها في مواجهته ، ولكنها حين تنجر إلى حوار حقيقي مع متحاور من نفس الثقافة ، فإنها لا تفعل إلا أن تمارس - على طريقة أسلافها التكفير وإن بمفردات عصرية ناعمة . ولعله يدهش المرء حقا ذلك التنازل إلى حد التفريط الذي تمارسه النخبة العربية - باسم الحوار - مع الآخر الخارجي ، والتسلط إلى حد القمع مع مواطنيها في الداخل .

وهي وإن تجملت وأشارت إلى أنها تقصد « المتحاور داخل محيطنا الثقافي وليس المتحاور من خارجه » فإن - سياق الخطاب - وهو العامل الحاسم في التحليل الذي يتجاوز المقاصد المعلنة للكاتب - يتكفل بالكشف عن قصدها الأصيل .

وإذ الأمر يتجاوز ما هو شخصي إلى بنية خطاب النخبة بثوابته ومقولاته وحتى بفجواته وتشقيقاته ولا وعيه المعرفي وبالمسكوت عنه فيه ، فإننا نتجاوز ما هو شخصي في الرد الوارد بهذه الصفحة يوم ٦ / ١٢ / ١٩٩١ على تعليقنا على مقال « العقل العربي والحوار مع الآخر » .. نتجاوز ما هو شخصي ونصر على الحوار ، وقبله لا بد من شكر الكاتب لأنه اتاح لنا برده على تعليقنا فرصة التفصيل بعد إيجاز إدعى معه البعض عسرا في الفهم لم تكن على قناعة به إلى أن قرأنا رد الكاتب ، فأيقنا صدق الادعاء .. ومن هنا ضرورة التفصيل حسب ما يقتضيه الحيز .

وأولا: لابد من التنبيه إلى أن أحدا لا يدعو الذات العربية إلى التمترس خلف أسوار عزلتها رافعة لواء الاضراب عن الحوار مع الآخر ، ولكننا فقط ندعوها - وبعد قرنين من إدعاء الحوار مع الغرب لم ينتجا إلا الانسكارات المستمرة ، ولم يكرسها إلا المزيد من الاحباط والضياع - إلى النظر في جدوى توافر الشروط اللازمة ليكون حوارها مع الغرب مُنتجا على نحو إيجابي لا مُضيعا كما هو الآن. أن إهمال النظر في هذه الشر وط اللازمة لإنتاج الحوار قد جعل الذات العربية تحيا خارج التاريخ ، حيث اكتفت بأن ترى في تاريخ الآخر تاريخا لها ، فبدت وكأنها معلقة في الزمان ، لا هي تحيا تاريخها من جهة ولا هي أهل من جهة أخرى لأن تحيا تاريخ الآخر . إذ التاريخ ليس مجرد التزامن مع الآخر في لحظة ما ، بل هو تراكم للخبرة والتطور لا تستطيع الذات العربية ادعاء امتلاكه. إنها عبثا توحد نفسها مع تاريخ الآخر انطلاقا من مجرد التزامن معه في لحظة واحدة . فتسلك مع الحداثة بعقلية (البدوي) الذي يرى فيها متاعا يمكن نقله بالضبط كما تنقل الخيمة في الصحراى من شعب إلى آخر ، وتمارس السياسة بسلوك القبيلة ، إنها إذن تحيا الحداثة بثقافة التخلف وتاريخه . ومن هنا عجزها وإخفاقها الدائم ، ليس في الأمر إذن دعوة إلى الاضراب عن الحوار - كما توهم الكاتب - وإنما هو الاصرار على ضرورة توافر شروطه اللازمة وأهمها رد الذات إلى تاريخها ونقد ثقافة التخلف وأدوات إنتاج المعرفة السائدة في حقلها، وتحريرها من هيمنة النماذج الجاهزة التي تعوق قدرتها عن إنتاج معرفة مطابقة - لا زائفة - بواقعها وتاريخها . وليس في ذلك أبدا أي نوع من « الاستغراق المجيئ في وصف أوضاعنا وضعف حيلتنا » ، بل هي المصارحة مع الذات التي هي أول الدرب إلى الوعي . وليس فيه أيضا ذلك « الاصرار على ركوب ظهر السلحفاة أمام قطار المتنافسين » بل فيه الخوف من ركوب القطار بمنطق السلحفاة كما نفعل الآن للأسف .

وثانيا : يبقى ، رغم الكاتب ، إن تحرر الذات العربية من السلطة المرجعية

للمنودجين السلفى والأوروبي — بل ومن السلطة المرجعية لكل نموذج — هو الشرط المسبق لأي حوار . ومن المفارقات أن هذا هو ما تقره على عكس إدعاء الكاتب حقائق التفاعل العلمية ووقائع التاريخ البشري ، ولكن على شرط فهم التحرر في إطار قوانين المنطق الجدلي لا الصوري . ذلك أنه إذا كان نمط التحرر من الآخر في إطار قوانين المنطق الصوري يعني نفى الآخر واستبعاده ، وهو ما فهمه الكاتب وحاكنا في ضوءه ، فإن نمطه في إطار قوانين المنطق الجدلي يعني استيعاب الآخر واحتواءه توطئه لتجاوزه وتخطيه . ضمن هذا السياق تكون الدعوة إلى ضرورة تحرر الذات العربية من السلطة المرجعية للمنودجين الأوروبي والسلفى دعوة إلى استيعاب النموذجين واحتوائهما توطئه لتجاوزهما وتخطيهما ، وذلك بدلا من تركهما يمارسان السيطرة علينا على نحو غير مشعور به ، واستيعابنا على نحو لا يبدو لنا فيه أي أمل في الخلاص من هيمنتهم . إن التحرر هنا يتحقق عبر الفهم لا عبر النفي .. عبر الاستيعاب لا عبر الاستبعاد .. عبر إنتاج المعرفة العلمية لا عبر الدعاوى الرومانسية .

وأخيرا تبقى الإشارة إلى أن الليبرالية في السياق العربي هي عنوان إصطلاح عليه في الفكر العربي الحديث على طريقة ما في التفكير وليس على مجرد الانتماء السياسي ، وهي طريقة في التفكير تنطبق ملامحها تماما التطابق على فكر أولئك الوسطيين أو التوفيقيين — وبالأحرى التلفيين — الذين يتحدث عنهم الكاتب . ومن هنا فإن ليس ثمة تصنيف متسرع للنص أو للمتجاوز مع الآخر — كما إدعى الكاتب — بل ثمة قراءة تنشفل جوهريا بالأبنية العميقة التي تنتظم التفكير وتوجه مساره ولا تقف عند حدود المعلن أو المصرح به في النص .

على مبروك كلية الاداب قسم فلسفة

جامعة القاهرة

الأهرام ١٧/١/٩٢

المقال الخامس

العقل العربي والحوار مع الآخر

في إطار قضية العقل العربي والحوار مع الآخر ، أود أن القي الضوء على قضية عامة وهامة للغاية وهي الخاصة بضرورة الالتزام بقواعد وشروط «التحاور الجدالي» . والدافع لاثارة هذا الموضوع هو تلك الانتهاكات الصارخة الواضحة التي يمارسها الكثيرون في حواراتهم مع الآخرين في واقعنا الثقافي .. ولأن هذا الامر له سياق تفصيلي آخر لا يسمح به حيز المساحة هنا ، أود فقط ، أن القي بالضوء على بعض السلبيات التي تشكل انتهاكاً رئيسياً لهذه «الشروط» . ويمثل التعليقان الذي أرسل بهما الأخ على مبروك بتاريخ (١٨ / ١١ / ٩١) ، (١٧ / ١ / ٩٢) إلى هذه الصفحة - التي تتبنى مشكورة هذا التحاور ، الذي نرجو أن يكون بناءً ومثمرًا في النهاية إن شاء الله تعالى - .. يمثل التعليقات مادة خصبة لالقاء الضوء على هذه السلبيات الشائعة (الصارخة) وبأمثلة محدّدة . فبالإضافة إلى ما أوردها في تعليقنا بتاريخ ٦ / ١٢ / ٩١ نلقي بالضوء على الآتي .

١ - حوارات تحميل النص ما ليس به والاجترار على اخراج الكلام عن سياقه (في وضع النهار) !!

في اطار تحليلنا لهذه الظاهرة تناولنا وبقدر من التفصيل نمط «التأطير» Framing بنوعية اللاشعوري والمتعمد طبقاً لما نهت إليه العديد من الدراسات في علم اللغويات الاجتماعي على نفس هذه الصفحة بتاريخ ٤ / ١ / ٩١ ، وكان ذلك في معرض تحليلنا لتفاعلات أزمة الخليج والأزمة الثقافية

المزمنة التي لا نزال نعيش لحظاتها ولكن لدينا الآن ما نضيفه من صور أخرى لهذه الظاهرة وهي جديرة بالدراسة والتأمل ... ولتوضيح ذلك نقول إن لدى الأخ المعلق ما يقوله عن

« محاولة البعض رفع ورقة الحوار مع الآخر المغاير لستر عورة العجز والأفلاس في مواجهة الحوار ذاته ، وعن هؤلاء الذين حين « ينجرون » إلى حوار حقيقي مع متحاور من نفس الثقافة .. فأنتهم لا يفعلون شيئاً إلا أي يمارسوا « التكفير » بمفردات ناعمة ... وعن تنازل البعض إلى حد التفريط باسم الحوار مع الآخر الخارجي والتسلط لحد القمع مع المواطنين في الداخل.. إلى غير ذلك من هذه الممارسات التي أقل ماتوصف به أنها غير اخلاقية ومتدنية ويدينها أي عقل سوي يسعى للتنمية الثقافية الحقيقية في وطننا العربي .. وعند هذا الحد نقول أنه لمن المرجح أذاً أن الاخ المعلق يريد أن ينتقد كل هذه الصور المتدنية وغير الاخلاقية ، الأمر الذي يُشكر عليه — كذلك إذا أوضح المعلق في تعليقه الأخير بعض النقاط التي لم تكن واضحة في تعليقه الأسبق — فهذا هو الهدف من التحوار الإيجابي وهذا يُشكر عليه ايضاً .. ولكن أن يربط هذا المعلق بين كل هذه الصور السلبية للغاية وبين ما ورد في مقالي كما هو واضح ومباشر في تعليقه ، فهذا هو ما يجسد بجلاء ظاهرة من أسوء ظواهر التفاعل الشخصاني وهي ظاهرة تحميل النص ما ليس به من قريب أو بعيد والمصحوبة باخراج الكلام عن سياقه بطريقة مُتعمدة .. فهنا يقوم المتحاور — كما فعل المعلق — بالادعاء (بكل الذاتية) ما يُفيد بأنه قد أحاط نفسه علماً بعناصر السياق التي « تثبت » ما ذهب إليه من مقولات « تهجمية » وهنا يمعن هذا المعلق في التعميه على ذلك «الفاول الحوارى» الذي ارتكبه ويذكر شئ علمي نتفق معه فيه جداً وهو « إن سياق الخطاب — وهو العامل الحاسم في التحليل الذي يتجاوز المقاصد المعلنة للكاتب — يتكفل بالكشف عن القصد الأصيل للكاتب » ... الا إن السياق الذي يتوهمه هذا المعلق ليس باي حال سياق

المقال الذي يُعقب عليه - إن السياق الذي يتحدث عنه هذا المعلق ، من المرجح أن يكون سياق الأجندة المسبقة لديه والتي كان يريد أن يتحين أي فرصة لآظهارها أو إطلاقها بأى أسلوب أو طريقة في وجه الآخرين وهذا ما يسميه علماء اللغة النفسيين (Psycholinguists Explosive Schematic Agenda) (القوالب المتفجرة) حيث يبدو أن هناك بالفعل أجندة (قائمة بموضوعات محددة ومسبقة) لنقد أوضاع معينة لدى هذا المعلق ، ولكن مع الأسف كانت طريقة هذا المعلق ومنذ بدء تفاعله في هذا الحوار هي التصنيف المتسرع بل والمتعسف (مرة أخرى) وتحميل النص وإخراج الكلام عن سياقه وبتكثيف للألفاظ الحادة ... كم كنت أتمنى أن يعرض الأخ المعلق أى وجهة نظر لديه بطريقة ايجابية واكاديمية بعيداً عن هذه الانتهاكات الصارخة لقواعد التحوار الموضوعي وبعيداً عن سياق «التلفيقين» .. تلك الكلمة التي دأب على استخدامها الاستاذ المعلق في كل من تعليقاته .

٢ - استراتيجيات إحتكار الحقيقة في الحوار :

تعتبر استراتيجيات احتكار الحقيقة في الحوار والتي يوظفها بعض المتحاورين من الأسباب الرئيسية لهيمنة « الخطاب التناحري » على مستوى كافة التيارات في الوطن العربي ويسهل ، في سياقنا هذا ، على القارئ المحايد لنص التعليقين لهذا الأخ المعلق أن يجد العديد من صور هذه الاستراتيجيات الحوارية ويكفى من الأمثلة هنا الإشارة إلى بآداءات الحوار مثل «الحق ان » المتكررة في بدء إدعاءات هذا المعلق الرئيسية عند تفنيده لموضوع هو جدالي بطبيعة .. هذا بالإضافة إلى تلك المقولات التقريرية للغاية والتي أكدها ودعمها المعلق بتكثيف واضح للألفاظ الحادة التى لاحظها الجميع وسجلوا اعتراضهم عليها ، ولا داعي لاعطاء أمثلة لها هنا - ولكن يكفي من خلال خصوصية هذا السياق أن نشير إلى قضية عامة أخرى وهي أن توظيف أسلوب الالفاظ الحادة في عملية التحوار والتي تحدث كثيراً في واقعنا الثقافي ، يؤدي إلى هبوط مستوى

الحوار وعدم التركيز الايجابي على المشاكل الحقيقية .. والاشكالية هي انه عندما يبدأ متحاور ما في توظيف هذا الأسلوب يصعب على المتلقى السكوت عليه ، اذ ان المنطق الثقافي السائد - مع الأسف - هو إن السكوت على الأسلوب الحاد أو تجاهله قد يُفهم في غالبية الأحوال من قبل العقلية التصنيفية المتعسفة والتي عادة ما توظف هذا الأسلوب في حوارها على أنه انتصار لحُجَّتها التي عادة ما تكون مترهلة وانفعالية . إن ظاهرة شيوع توظيف استراتيجيات احتكار الحقيقة في الحوار بصورة المتعددة قد ترجع إلى ما أقره نظام التعليم التلقيني والذي فرض على البعض أن يبدأ التحاور مع الآخرين في قضايا هي جدلية بطبيعتها من منطلق من يقول « إنا أعرف الحقيقة وأقرأها وعلى المتلقي أن يسمع ويعي »!!

د . حسن وجيه

الأهرام ١٤ / ٢ / ١٩٩٢

خاتمة

إن الهدف من هذه الدراسة الأولية هو الاسهام في صياغة جديدة للغة الحوار السياسى والاجتماعى فما احوجنا إلى ترسيخ انماط جديدة في لغة التخاطب على مستوى الوطن العربى . لقد كان الهدف الرئيسى من التعرض بالتحليل لما أسميته " بخطايا الحوار التفاوضى " أو " بخطاب الفاولات " في وطننا العربى هو محاولة الاسهام في وضع حد لهيمنة هذا " الخطاب " الذى كان ولا يزال من " اعرق " معوقات العمل الجماعى فضلاً عن انه كان من أهم اسباب كوارثنا القومية والتي كانت كارثة خليج ١٩٩٠ أخرها واكثرها فداحة. إن المعالجة الجذرية لانماط التفاعل السلبية التى نجدها في حوارنا على المستويين الاجتماعى والسياسى تستلزم التقويم التقنى من خلال العملية التعليمية والجهد الاعلامى معاً . انه وبالرغم من شيوع صور هذه الانماط السلبية القاتمة الا ان ساحة التفاعلات العربية قد اظهرت ملامح واضحة ايضاً من العقلانية والرشد الامم الذى يجب الاشارة إليه والدعوة إلى تدعيمه ونحن بصدد ارساء اسس موضوعية للحوار يكون من شأنها ضبط المعايير اللازمة لحوار البناء من الداخل وادارة الصراع بكفاءة في الخارج والله ولى التوفيق وهو سبحانه المستعان .

ملحق الدراسة

« بعض النصوص الكاملة التي تم الاستشهاد بها »

خطاب إلى الأجيال القادمة

د. حسن هنفي الأهرام ١٩٩٠/١١/٧

لقد اختلط كل شيء بكل شيء وتداخلت الأوراق. وتبدلت المواقف بحيث أصبح من الصعب معرفة أين الصواب وأين الخطأ. وتعددت التأويلات والتفسيرات إلى حد التضارب والتناقض، وكل منها له براهينه وإدلتها الدامغة وكأننا عدنا إلى عصر الفتنة الكبرى بين على ومعاوية وانقسمت الأمة إلى فريقين. وبرر فقهاء كل فريق مواقف زعامته وقادته بالفتاوى والنصوص، نظر مثقفو كل فريق بالتاريخ والسياسة واحتارت الأمة أيهما تختار؟ ودخل الإعلام في الساحة دافعا طبول الحرب، وحاشا الجيوش عليها، عربية وأجنبية وكأنه لا خلاص إلا بالقتال وسفك الدماء وأثر فريق ثالث الصمت لا انتظارا لنتائج الجولة حتى ينضم إلى الفريق المنتصر فلا يخسر مكاسبه من الفريقين ولكن لعدم صب الزيت على النار وزيادة الموقف اشتعالا، وحققنا للدماء والفريقان خاسران، المنتصر والمهزوم، فالمنتصر قوات عربية في الظاهر وأجنبية في الحقيقة والمهزوم عرب أيضاً. سفك الفريق الأول دماء العرب بأيدي العرب والأجانب وخسر الفريق الثاني قوة العرب التي يعدونها للمواجهة في قضية العرب، في فلسطين.

وتخفيفا لحدة الحاضر، وخفتا لطبول الحرب، وتجاوزا لاختطاء الماضي، حقا تاريخياً لفريق، وبعبثة لأموال المسلمين من فريق آخر فإن التوجه إلى الأجيال القادمة قد يساعده على تجاوز عتاب الماضي وأزمة الحاضر ويكون السؤال: على أي شيء نربى الأجيال القادمة بعد أن هدمنا كل شيء. وكفرنا بكل شيء، ولم يعد هناك قضية يمكن الدفاع عنها؟ ومن ثم استحالت تربية المواطن، وصعب إيجاد إطار مرجعي يمكن الرجوع إليه أو معيار يمكن القياس

عليه. لقد انهينا كل شيء بأيدينا، وتحطمنا مثل اجيال عديدة، وهزنا قناعات تربينا عليها، وراحت ضحيتها الوفاء الشهداء مادافعنا عنه في الماضي أصبح موضوع شك وعدم أكثر مثل الاستقلال الوطنى وعدم أكثر مثل الاستقلال الوطنى وما حاولنا التخلص منه في الماضي بما في ذلك التخلص من الاستعمار وطرد المحتل الأجنبي أصبح الآن موضع نداء واستجداء. لقد انقلبت الموازين رأسا على عقب وتحولنا مائة وثمانين درجة، من الشيء إلى نقيضه. انقلب الإيمان كفرا، وتحول الكفر إيمانا، أصبحت الآلهة أصناما وتحولت الأصنام آلهة، وتم مسخ كل شيء.

لقد أمنا بالليبرالية أولاً: وقام في مصر أول برلمان في المنطقة العربية منذ ١٨٧٠. وعرفت مصر ثمت أثر حركة الإصلاح الدينى عند الأفغانى ومحمد عبده، تعدد الأحزاب، والدستور وحرية الصحافة، والفصل بين السلطات وكانت الليبرالية نمطا للتحديث لمجتمعاتنا في التيارات الفكرية الرئيسية الثلاث في الفكر العربى الحديث منذ رواده الأوائل: الإصلاح الدينى عند الأفغانى، والنهضة المصرية عند الطهطاوى، والفكر العلمى العلمانى عند شبلى شميل. وعلى أكتافها قامت ثورة ١٩١٩، وحصلنا على دستور ١٩٢٣. ومن خلالها ازدهرت الحركة الوطنية المصرية، وتمت صياغة مشروعنا القومى الحديث قبل الثورة المصرية: الاستقلال التام ووحدة وادى النيل وقامت المحاولات الأولى للتصنيع، ولتنظيم الزراعة. ووضع المؤسسات، وتأسيس الدولة، وإنشاء الجامعة، وإرسال البعثات التعليمية، وازدهار الثقافة، ونشأة الحركات الأدبية، وظهور اساطير مصر في الأدب والشعر والفن والفكر والذين تنحسر على اختفائهم الواحد تلو الآخر دون بديل.

ثم قامت الثورة المصرية وإنقلبت مثلنا رأسا على عقب. وتحولنا مائة وثمانين درجة، وهدمان بأيدينا ما بنيناه بالأمس. فأصبحت الليبرالية العهد البائد، والأحزاب الفاسدة، والصراع على السلطة، والتبعية للغرب، وحادثة ٤ فبراير، وعصر الاقطاع، والتعليم للاقليّة، وحكم الباشوات، والتلاعب بالبورصة. فشوهنا الليبرالية في حياتنا، وقضينا على ما بنيناه بأنفسنا وكأن الحرية هى المسئولة عن كل ذلك.

وعانينا من غيابها إبان الثورة المصرية وبعد أزمة مارس ١٩٥٤. اهتزت
قناعات الجيل الواحد الذى عاصر الفترتين وهو مازال في قمة العطاء، صدقا أو
وصولا، ونشأ جيل جديد، جيل الثورة، الاشتراكية لدية بديل عن الحرية.
وصنعنا نصبا جديداً، وأمنا بمبادئ الثورة المصرية، ودافعنا عن
الاشتراكية والقومية وصياغتها الأولى في المبادئ الست. وأيدنا التأميم،
وفرحنا بالتمصير، وقاومنا الاعتداء الثلاثي، ونظرنا للاشتراكية الديمقراطية
التعاونية، وجعلنا الوحدة مع سوريا بداية الوحدة العربية الشاملة. وازدهرت
على أيدينا القومية العربية، وأصبحت مصر زعيمة العرب، وعبدالناصر قائداً
لنضالهم، صلاح الدين يعاود الظهور ووضعنا اسس الاشتراكية العربية
وجعلناها التطبيق العربى للاشتراكية حرصاً على الاشتراكية العلمية
وتطبيقاتها النوعية الخاصة طبقاً لظروف كل مجتمع وطبيعة كل مرحلة
تاريخية واقمنا مجتمع الكفاية والعدل الذى تذوب فيه الفوارق بين الطبقات،
ورفعنا شعارات الثورة: العمل واجب، العمل شرف، والعمل حياة، تحالف قوى
الشعب العامل، لا صوت يعلو فوق صوت المعركة، ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا
بالقوة، وقاومنا الأحلاف الأجنبية والقواعد العسكرية منذ حلف بغداد حتى
الحلف الاسلامى، وتحرر العرب، وأصبحنا خارج مناطق نفوذ الدول الكبرى.
وساهمنا في صياغة وعى عالمى جديد، يعبر عن ثلاثة أرباع سكان الأرض منذ
باندونج حتى عدم الانحياز والحياد الايجابى، وانتقلنا الى الصناعات الثقيلة،
الحديد والصلب، وشيدنا الصناعات الوطنية، وأنشأنا القطاع العام، وقررنا
الدعم لمحدودى الدخل، وشارك العمال في الأرباح، وتحددت الأجور وساعات
العمل. أخذ العمال حقوقهم وحددنا الحد الأعلى للملكية الأرض، وشرعنا
للتخطيط الاقتصادى الذى تقوم عليه سياسات الدولة. وحددنا ايجار المساكن،
وقررنا مجانية التعليم واصلحنا الأراضى، وزاد الدخل القومى. وأمن نفس
الجيل الليبرالى الأول بالمبادئ الاشتراكية الثانية ونشأ جيل جديد، جيل الثورة
من خلال منظمة الشباب، على المبادئ الاشتراكية لم يسمع عن الاقطاع ولكنه
نعم بمكاسب الثورة.

وفي أوائل السبعينات، وبعد رحيل جمال عبدالناصر انقلبنا على عقبين مرة

ثانية مائة وثمانين درجة، وهدمنا بأيدينا ما شيدناه بالأمس. أصبحت الاشتراكية اشتراكية الفقر، والتخطيط وسيطرة الدولة على وسائل الإنتاج انغلاق، والقطاع العام سرقة ونهب وتحديد الملكية الزراعية تفتت الحيازات وقضاء على الزراعة، والاقتصاد للاستيراد، ومجانبة التعليم انحدار بالمستوى لا ترفعه الثورة قهر وسجن وتعذيب، والطيعة الثورية حاقدة، والحياد الايجابي تحالف مضمّر مع الشيوعية، ورسخنا في جيل السبعينات سياسة الانفتاح الاقتصادي وحماية القطاع الخاص، وقيم الاستهلاك، وسهولة الاستيراد وصعوبة الإنتاج، واصدرنا قانون الاستثمار وإنشاء البنوك الأجنبية وعدنا إلى بورصة الأوراق المالية وأصبح الدولار هو العملة الوطنية، وسعر الصرف في السوق الحرة وتحولت مدخرات مصر من الداخل إلى الخارج، من البنوك الوطنية إلى البنوك الأجنبية، وقفزت الديون من مليار واحد في أوائل السبعينات إلى خمسين ملياراً في أواخر التسعينات ولم تنفع الهبات الشعبية والانتفاضات مثل يناير ١٩٧٧ من التحذير والتذكير. فاهتزت قناعات الثوار. وتحول معظم الضباط الأحرار إلى رجال أعمال. لقد انقضى عصر الثورة وتبدلت الأحوال، وأصبح الزمان غير الزمان. انقلب المشروع القومي على عقبيه وتحول إلى مشروع مضاد، من معاداة الاستعمار إلى مهادنته، ومن الصراع ضد الصهيونية إلى الصلح معها والاعتراف بها، ومن الاشتراكية إلى الرأسمالية، ومن القومية العربية إلى العزلة القطرية، ومن عدم الانحياز إلى الانحياز إلى الغرب وغالباً ماتم ذلك بنفس الرجال، وب نفس الوجوة حتى لم يعد أحد يصدق أحداً.

وتربت عدة أجيال على الماركسية منذ تعرفنا عليها في أوائل هذا القرن واصبحت جزءاً من الحركة الوطنية المصرية. دخل الماركسيون المصريون السجون والمعتقلات، وساهموا في اندلاع الثورة المصرية، وحلوا الحزب، وانضموا إلى الاتحاد الاشتراكي العربى، وساهموا في تأسيس القطاع العام، ودعم الصحافة، وتنشيط دور النشر وتخطيط الاقتصاد القومي. وعن طريقهم ازدهرت الأدبيات الاشتراكية والثورية. وكان الاتحاد السوفيتى وقتئذٍ الدرع الواقى للشعوب المتحررة، وحائطاً منيعاً في مواجهة الاستعمار.

يمد الشعوب بالعون المادى والمعنوى، ويساهم في التصنيع، ويحذر من مغبة العدوان الاستعماري على الشعوب المتحررة.

وبعد ذلك اصاب الماركسيين ما اصاب الثورة المصرية من تحول من النقيض من الخمسينات والستينيات الى السبعينات والثمانينات فأصبح البعض منهم جزءاً من هنا التحول، يبرز الشئ ونقيضة. وتحدثنا عن الماركسى المليونير، وفتشنا عن يقاوم هذا التحول، وما حدث في الداخل حدث في الخارج، بعد البريسترويكا انهارت النظم الاشتراكية في أوروبا الشرقية وانتهى الاستقطاب، وبدأ الوفاق وتحولت روسيا من الاقتصاد الاشتراكي إلى اقتصاد السوق وبدأ التحول من الإنتاج الى الاستهلاك، واتفق الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة على حلول كبرى المشاكل الدولية، الخليج فلسطين ونزع السلاح، وبدأت الهجرات اليهودية السوفيتية إلى الأراضي المحتلة، واستعانت الدول الاشتراكية بالتكنولوجيا الغربية، واعتمدت على القمح المستورد مثلاً. وتم توحيد المانيا تحت راية الرأسمالية. وتساءل الجيل الحالي : هل الاشتراكية في انهيار ؟ وهل تجدد الرأسمالية نفسها؟ وماذ عن قناعتنا منذ عدة أجيال بالمنهج الجدلي، وبالمادية التاريخية، وبالملكية العامة لوسائل الإنتاج، وبالاقتصاد غير القائم على الربح، وبالصراع بين الطبقات، وبديكتاتورية البروليتاريا، وبلاستعمار أعلى مرحلة من مراحل الرأسمالية، وبلاشتراكية آخر مرحلة من مراحل تطور البشرية؟ وإذا كانت قناعات قدماء الماركسيين من الأجيال الماضية قد اهتزت فانه يصعب الآن تكوين جيل جديد من الماركسيين. فأين النظرية واين الأداء؟

وأخيراً تربى معظمنا على مبادئ الإسلام السياسي وربيت الحركة الاصلاحية من الافغانى إلى محمد عبده الى رشيد رضا إلى حسن البنا، وعلى يد جماعة الاخوان المسلمين منذ الثلاثينيات وعلى ضفاف القناة، وكان للجماعة جهادها في فلسطين، وفي حرب القناة في ١٩٥١ وفي الصراع ضد الاستعمار والقصر مما كلفها اغتيال زعيمها الامام الشهيد حسن البنا. وكانت الجماعة أحد فرقاء الضباط الأحرار في الثورة المصرية. تعلمنا المبادئ الأولى للعدالة الاجتماعية في الإسلام، وتوزيع الثروة بين الأغنياء والفقراء، والصراع بين

الاسلام من ناحية والرأسمالية والماركسية من ناحية أخرى، وضرورة التأميم، والملكية العامة، الاستخلاف لوسائل الإنتاج، وحق الحاكم في مصادرة رأس المال المستغل، وأن الملكية وظيفة إجتماعية، تصرف واستثمار واستنفاع، وليس احتكارا أو استغلالا أو إكتنازا، تعلمنا كل ذلك من سيد قطب الأول صاحب «العدالة الاجتماعية في الاسلام» و«معركة الاسلام والرأسمالية» و«السلام العالمى والإسلام».

وعرفنا أن مصر قلب العروبة ومركز الاسلام، دوائر ثلاث متداخلة من الاخوان قبل، قراءتها في «فلسفة الثورة» لجمال عبدالناصر، واصل «مالك بن نبي» باندونج وعدم الانحياز وتضامن شعوب أسيا وأفريقيا في فكرة الاسيوية الأفريقية حيث يوجد العالم الاسلامى. وكتب مصطفى السباعى في سوريا «الاسلام والاشتراكية» وبعد ازمة مارس ١٩٥٤ والصراع بين الاخوان والثورة تصادمت في قلوبنا وأماننا شرعيتان، شرعية الثورة وشرعية الاسلام، وهما أولى بالاتفاق. دخل الاخوان السجون، وذاقوا شتى الوان التعذيب، ولاقوا النذل والهوان. فخرج «معالم في الطريق» يكفر المجتمع الجاهل، ويدعو الى انشاء مجتمع الايمان في صراع حاد بين الجاهلية والاسلام، بين الكفر والايمان، بين حكم الطاغوت وحكم الله وانتشر مفهوم «الحاكمية» لتقويض انظمة الحكم الحالية التى تنقصها الشرعية والتى لم تأت بانتخاب حر أو نتيجة لعقد اجتماعى شفافى أو مكتوب بين الحاكم والمحكوم فالاسلام لايعترف بشرعية الحكم الوراثى أو الحكم العسكرى، وتوالت اجيال الاخوان بعد أن خرجت من السجون في أوائل السبعينات واستعمالها لتصفية الناصرية. ثم انقلبت على من ساعدها عندما سار أكثر مما يجب في الإنقلاب على مبادئ الثورة المصرية، الاعتراف بإسرائيل، والصلح معها، والارتقاء في أحضان الغرب، والتبعية لأمريكا واعطائها ٩٩٪ من أوراق القضية، والعزلة عن محيط مصر. فتخلصوا منه. ومازالت الجماعات الاسلامية غاضبة ثائرة تعطى الأولوية للظاهر على الباطن، وللأشكال الخارجية على الأوضاع الاجتماعية وأصبح المنتسب الى الجماعات طريد العدالة وخريج السجون، مهدد بالاعتقال بتهمة التطرف والارهاب فضاع منا ما بداناه وهو الإسلام

السياسى، الاسلام فى مواجهة الاستعمار والصهيونية والرأسمالية والاقطاع والقهر والاستبداد، والقادر على تحرير فلسطين، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وإقرار حريات الناس وامنهم وتوحيد الأمة، وتنمية مواردها، والإعتماد على الذات، والمحافظة على الهوية، وحشد الجماهير.

وتكررت المأسى فى جيلنا ولم يتحرك أحد : ضرب المفاعل النووى فى العراق، حصار بيروت، الإنتفاضة فى فلسطين ثم أزمة الخليج، فلا الليبرالية حمتنا، ولا القومية العربية كانت أمنا لنا، ولا الماركسية استطاعت حمايتنا، ولا الاسلام السياسى استطاع أمن الديار. فعلى أى شىء نربى الأجيال القادمة؟ لقد تحطم أمامنا كل شىء وتهاوت مثلنا حتى كدنا نكفر بكل شىء. نهدم اليوم مانبنية بالأمس حتى لم يعد يبقى لنا شىء. ماذا نقول لاطفالنا؟ الحرية التى اعتلناها بايدينا؟ الاشتراكية التى اجهضناها؟ الماركسية التى نرى حطامها؟ الإسلام الشائع فى أجهزة الاعلام الذى يبرر افعال السلاطين، مرة مع الكويت ضد العراق، ومرة مع العراق ضد الكويت، مرة مع إيران ضد العراق، ومرة مع العراق ضد ايران، مرة لا مفاوضة ولا صلح ولا أعتراف بإسرائيل، ومرة تأييدا لكأى دافيد اعتمادا على صلح الحديبية؟ أم الاسلام طريد أجهزة الأمن والذى تتعقبه السلطات؟ إلى أى شىء ندعو الناس؟ ما هو اطارنا المرجعى؟ ما هى معاييرنا؟ ما هى مقاييسنا؟ ما هى مبادئنا؟ ما هو أساس الحكم على أقوالنا وأفعالنا؟ ما هى مقاييس الصواب، الخطأ فى حياتنا؟ هل ضاع كل شىء هذا هو التحدى الأعظم أمامنا بالنسبة إلى الأجيال القادمة. نورث لهم تركة مثقلة بدأنا واضحين بمشروع قومى الاستقلال الوطنى، التحرر من الاستعمار، بناء الدولة الحديثة، إقامة مجتمع العدل والمساواة، تحقيق الوحدة الشاملة، تنمية الموارد القومية، والدفاع عن الحريات العامة وإقامة مجتمعات ديموقراطية وانهينا إلى عكس ما بدأنا منه، وناضلنا فى سبيلة: مزيد من الأرضى المحتلة، ومزيد من تبعية الأوطان وانهيار دولنا الحديثة وتعرثر مؤسساتها، وإتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء ومزيد من التبعر والتشرذم والحروب الطائفية والقبلية والنعرات القطرية، ومزيد من التخلف والاعتماد على الخارج فى الغذاء والعلم والسلاح، وأزمة الحريات ومزيد من القهر

والتسلط والمعتقلات.

هل أكمل جيلنا دورة تاريخية؟ هل عدنا إلى الصفر من جديد كما عدنا بعد محمد علي وعبد الناصر؟ هل نحن في مخاض جديد يتعهده جيل قادم بعد أن تهرأ كل شيء؟ هذا اعتراف للأجيال القادمة واعتذار لها. لعلها تكون أسعد حظاً منا، وتؤمن بشيء يكون له الدوام .

كلام ... الآن فقط أصبح له معنى !!

د. محمد عابد الجابري

جريدة الاتحاد الاشتراكي - المغرب بتاريخ ١٩٩١/١/٢٧

التاريخ صنفان تاريخ ميت فهو تراث، وتاريخ حي وهو حياة الأول يكتب انطلاقاً من نقطة ما في الماضي في إتجاه الحاضر .. والثاني يكتب انطلاقاً من الحاضر المعيش في اتجاه الماضي والمستقبل معاً. واللحظة الراهنة في التاريخ العربي لحظة حية، بل متدفقة مفعمة تفرض نفسها كمطلق للتفكير والكتابة للتخطيط والتطبيق.

بالنسبة لكاتب هذه السطور تبدأ هذه اللحظة الحية المتدفقة في يوم ٢٦ جوان (يونيه) الماضي، أي قبل دخول القوات العراقية الكويت بشهر وخمسة أيام كنت في بغداد، وكانت المناسبة المشاركة في ندوة فكرية عقدت بمناسبة مرور عام على وفاة المرحوم ميشيل عفلق مؤسس حزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم في العراق، كما هو معلوم، في يوم ٢٦ من ذلك الشهر (جوان ١٩٩٠) كنت من بين المدعوين إلى حفل عشاء أقامه مسؤول عراقي كبير لبضعة أشخاص من الحاضرين في الندوة من المغرب العربي ومصر، ودار الكلام خلال العشاء حول واقع الوطن العربي وطرق تحقيق المشروع القومي العربي في التقدم والوحدة وأدلى لنا المسؤول العراقي الكبير بتحليل للوضع من وجهة نظر القيادة العراقية يمكن تلخيصه في النقاط التالية:-

قال وأنا أنقل - تقريباً - نص كلامه (من الذاكرة طبعاً) :

- لقد حاولنا بعد هزيمة ١٩٦٧ أن ندشن طريقة جديدة في التعامل مع الغرب، طريقة قوامها بناء العلاقات بيننا وبينه على نوع من تبادل المصالح مع

حد أدنى من الندية. وقد قطعنا أشواطاً في هذا الاتجاه مع بعض الدول خاصة وسرنا في هذا الاتجاه بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣، وحاولنا أن نفهم الغرب أننا لسنا أعداء له «تاريخيين» بل كل ما نطمح اليه هو ما يحقق نهضتنا وتقدمنا. ولكننا كنا نصطدم من حين لآخر بسوء نية الغرب إزاءنا بإرادته التعامل معنا من فوق وكأننا مازلنا مستعمرين (بالفتح)، وعندما أخذ العراق في تشييد بنىات اقتصادية وعلمية وعسكرية جديدة ظهرت مخاوف الغرب ومناورات، بل ومحاربته. وكانت الولايات المتحدة هي المتزعمة لهذا الاتجاه إن الولايات المتحدة تريد التحكم المباشر في البترول العربى تحكما يمكنها من تحرير مقدار الإنتاج ومقدار الاسعار.. وقد رضخت اقطار عربية مجاورة للإدارة الأمريكية، أما نحن فرفضنا. وكانت النتيجة أن أخذت الولايات المتحدة تستعمل ضدنا حكام هذه الأقطار، فصاروا يسلكون سياسة خنق العراق اقتصادياً...

هذا من جهة ومن جهة أخرى تطرق المسؤول العراقى إلى الوضع الداخلى الغربى بعد هزيمة ١٩٦٧ فقال : «إن ما يميز المرحلة التى أعقبت هزيمة ١٩٦٧ على الصعيد القومى هو ظهور الطائفية والتطرف اليسارى والدينى، وإذا كان التطرف اليسارى قد تراجع الآن فإنه من المؤلم حقاً أن نجد القوى الرجعية التى تسخرها أمريكا تستعمل الدين ضد حركة التحرر العربى. إن الحركات الأصولية الاسلامية حركات من صميم الشعب وهى تحمل طاقات نضالية هائلة ولكن الرجعية المتعاملة مع الاستعمار تستغلها وتمدها أو بعضها، بالأموال والتوجيه، وهكذا نرى أنه ليس بعض أحكام العرب وحدهم يخدمون الغرب ومصالحه بصورة مباشرة وعلى مستوى ذاتى، بل إننا نرى كثيراً من الحركات الشعبية الإسلامية في الوطن العربى تخدم من حيث لا تشعر أو لاتعرف نفس المصالح، مصالح الغرب، بإرتباطها بالقوى الرجعية العميلة في الوطن العربى المستعملة لمظلة الاسلام زوراً وبهتاناً ونفاقاً، ولذلك يقول المسؤول العراقى - فإن الواجب يقتضى تصحيح الوضع، وذلك بطرح قضية التحرر العربى، والإسلامى طرحاً سليماً، بسلوك استراتيجية نضالية تضع الجميع أمام اختيار واحد لاغير: إما مع الاستعمار والصهيونية وإما

مع التحرر العربى والنهضة العربية.

ولم يضيف المسؤول العراقى إلى ذلك شيئاً آخر، بل سكت منتظراً تعقيبنا نحن الحاضرين. تكلم بعض الاخوة ثم أخيراً أخذت الكلمة وبطبيعة الحال فكنا نحن المدعويين نفكر تفكيراً مجرداً.. إن ما سمعناه كان كلاماً عادياً جداً، ومجرداً جداً (في ذلك الوقت قبل ازيد من شهر من دخول القوات العراقية للكويت) وكل ما كان قد صدر قبل ذلك من تصريحات من القيادة العراقية، تصريحان : أولهما هو ذلك الذى قال فيه صدام حسين أنه اذا هاجمت اسرائيل منشأتنا الصناعية (كما فعلت عندما هاجمت المفاعل النووى العراقى في أوائل الثمانينات) فإننا سنستعمل المزدوج الكيماوى ونحرق نصف إسرائيل أما التصريح الثانى فهو الذى أدلى به الرئيس صدام حسين في الخطاب الذى القاه علينا نحن الحاضرين في الندوة المذكورة (القاء يوم ٢٥ يونيه / جوان الماضى) وقد وردت فيه عبارة دالة هى بالحرف الواحد : «فلسطين اتية إن شاء الله».

وبطبيعة الحال، فلم يكن هذا التصريحان المقتضبان يكفيان لجعل الواحد منا - نحن المستمعين لكلام المسؤول العراقى في حفل العشاء المذكور، يعطى «الكلام العربى» معنى جديداً، وأبعاداً حقيقية، ولذلك كان تعقيب الزملاء - على تحليل المسؤول العراقى - من نوع ذلك «الكلام العربى» المجرد، الهارب من نفسه وواقعة، الذى ألفناه . أما أنا فقد أردت أن أضفى بعض «الجدية» على الموضوع وبعبارة أخرى غالبت نفسى أن أكون جدياً، فقلت مستعملاً مايكفى من الوضوح، وما يلزم من التورية، أيضاً قلت :

فعلاً، الوضع العربى الراهن لا يختلف في جوهره عن الوضع الذى كان قائماً في الخمسينات، ولذلك فإنه من الممكن مبدئياً إعادة أو إحياء التجربة الناصرية. بشكل قد يختلف كثيراً أو قليلاً : من الممكن فعلاً العمل على إحياء الوضع المنقسم إلى جبهتين : جبهة التحرر العربى وجبهة القوى المعادية الأجنبية والعربية.. ولكن المشكلة في نظرى هى : «كيف نضمن الإستمرارية لهذه العملية»^٩. وقلت بالحرف أيضاً : «كان هناك عمر بن الخطاب فلما توفى جرت الأمور على غير المجرى الذى كانت تجرى عليه في عهده وكان هناك جمال عبدالناصر فلما توفى حدث ما نعرفه جميعاً».

سكت المسؤول العراقي، وهو بادی التأثير، وكنت أريد بهذين السؤالين أن أفتح النقاش في مسألة «الديمقراطية» وكانت القيادة العراقية آنذاك منهمكة، أو هكذا كان يظهر للناس- في مراجعة الدستور والإعدادات للتعددية والحياة الديمقراطية سكت المسؤول العراقي كما قلت .. فطرحتم السؤال مجدداً. سؤال: كيف نضمن - الإستمرارية ؟ وبدأ، كأن المسؤول العراقي يصير على السكوت فتدخل زميل - وهو الوحيد الحاضر من مصر- فخاطبني : «الأخ عابد، رسالتك وصلت يكفى فلننتقل إلى موضوع آخر، وتبسم المسؤول العراقي، ودخلنا في مناقشات جانبية سطحية نسيت مضمونها لأنها لم تكن تثير اهتمامي؟ وربما كانت غير مهمة بالفعل... كانت من نوع الكلام الذي لا بد منه لتمضية الوقت... وكنا قد بدأنا في تناول العشاء ... ثم افترقنا بعد ذلك.

الآن ، والآن فقط، بعد اندلاع الحرب أخذت اعطى لكلام المسؤول العراقي كامل معناه.. لقد أصبحت أرى فيه الآن كلاماً جدياً .. لابل مفتاحاً لاعادة كتابة تاريخ المسلسل الذي أدى إلى ما جرى ويجري الآن . (فلنرجع القهقري اذن) (ربما يكون هذا خطأ مطبعي ولكنه كما ورد في الجريدة المغربية ، بعد أن وضعنا أزجاناً) على موقع يمكننا من قراءة الأمور الماضية والحوادث «الغابرة» قراءة أخرى ... قراءة تعطى معنى آخر لدخول القوات العراقية للكويت. أو يبدو الآن أن العراق لم يدخل الكويت من أجل ثروتها، بل من أجل تدشين العمل في مشروع تحرري عربي جديد هو الذي شرحه المسؤول العراقي.

أكاذيب صدام

د. اسماعيل صبري عبد الله

الأهرام ٢٠ / ٨ / ١٩٩٠

الكذب المفضوح من شيم الطاغية لأنه في طغيانه يستخف بعقول الناس ويصدق آيات الاعجاب التي تردها حاشيته المستأنسة صباح مساء . ولا يخرج صدام حسين عن هذه القاعدة . فقد أرفق بعدوانه العاري على شعب الكويت الشقيق سلسلة من الأكاذيب يتعين فضحها . لأن بعضها يسبب خلطا لدى من لا يعرفون ، أو يوفر مادة للجدل لدى من لا يريدون المعرفة تأثرا بذهب الديكتاتور أو سيفه . فالرجل يتتبع معارضيه ليقتلهم حيث يجدهم ويوزع المال والمتاع على من يسرون في مواكب التهليل له ، وفي مقدمتهم عدد من الكتاب والمثقفين .

١ - أمريكا وأسعار البترول

بدأ طاغية بغداد الأزمة التي افتعلها مع الكويت باتهام القطر الصغير بأنه ينفذ سياسة أمريكية ترمي إلى تدهور أسعار البترول بإنتاجه كميات تفوق الحصص المقررة في اجتماعات الأوبك . ولا نريد أن ندخل هنا في جدل حول عدم التزام العراق بمقررات تلك المنظمة طوال حرب الخليج . ولا نفصل رهنه لبترول المستقبل . في سداد ثمن الكثير من الأسلحة ، ولكننا نريد فقط أن نوضح حقيقة موقف أمريكا من أسعار البترول . وأول ما نذكره هو أن الولايات المتحدة من أكبر منتجي البترول في العالم وأن تقادم أبارها يرفع تكلفة الانتاج منها . كما أن حقولها الجديدة في الاسكا حيث يستخرج الزيت من

تحت الجليد عالية التكلفة أيضا . وكذلك شأن الدول غير الأعضاء في الأوبك التي يمكن أن تستورد منها : بريطانيا ، النرويج . المكسيك .. الخ ولهذا لا يجوز استغراب حقيقة أن أمريكا تريد ألا يخفض سعر البترول بشكل واضح ، عن العشرين دولارا للبرميل ، والا يرتفع ارتفاعا كبيرا مفاجئا . فيظل لفترة طويلة يدور حول المبلغ المذكور . ومن ناحية أخرى تعاني أسواق البترول العالمية من أغراق في عجز تعن التدني به هذا ولم يفعل حكام الكويت بعائدات النفط أكثر مما بدده صدام في حرب الخليج التي أشعل نارها بنفسه متنكرا لاتفاقه السابق مع الشاه في ١٩٧٥ . فكل من يتابع الأحوال المالية يعلم أن الكويت كانت صندوقين من الاحتياطي أحدهما لا يمس ويسمى «احتياطي ما بعد النفط» وأنها وزعت استثماراتها في كافة أنحاء المعمورة حتى لا تخضع لدولة كبرى معينة في التصرف في تلك الأموال ، وكذا كان ثمة مجال للحديث عن ثروة الأمير وأقاربه فإننا ندعو الطاغية لكشف الثروة الشخصية له ولا عوانه المقربين حتى تجوز المقارنة .

٢ - الحكومة الوهمية

وقد أغنانني صدام عن الاطالة بشأن ما زعمه من وجود « حكومة حرة » قامت نتيجة لثورة شعبية حين لجأ إلى ضم الكويت بالقوة للعراق . وحقيقة الأمر أنه لم يجد احدا يعتد به في الكويت يقبل التعاون مع القوات الغازية . والكويت بلد صغير تبرز فيه أسر معروفة ويمكن لمن زار الكويت زيارة الراغب في التعرف على أحواله وليس زيارة المتسوق أن يتعرف على أي اسم يذكر .

٣ - الحدود المصطنعة

وقال الطاغية أن الكويت دولة مصطنعة خطط حدودها الاستعمار . وقوله كذب صراح فالكويت أمارة منذ أكثر من مائتين وأربعين عاما ، مر معظمها وليس للعراق نفسه أي كيان سياسي . فطوال حكم العثمانيين لم توجد أي ولاية باسم العراق . وإنما كان هناك ثلاثة الوية محكمة مباشرة من اسطنبول :

لواء الموصل ، ولواء بغداد . ولواء البصرة . وبدأ الحديث عن العراق عندما اقصت القوات الفرنسية الملك فيصل ابن الشريف حسين عن سوريا التي كان الإنجليز قد وعدوا بها أباه . وكان موضوع توحيد الألوية الثلاثة في مملكة واحدة محل اخذ ورد في داخل الحكومة البريطانية ذاتها . وقد حسم الأمر باستفتاء عل الموافقة على قيام مملكة العراق تحت حكم الملك فيصل . لأول مرة في ١٩٢٠ . بل أنه طوال التاريخ الإسلامي العربي لم يكن العراق إلا تعبيرا جغرافيا محضا .

٤ - تحرير فلسطين ابتداء من احتلال الكويت

لم يكن أحد منا يعرف أن الكويت قاعدة صهيونية . وكل من زار ذلك القطر يشهد باشتعال الحركة القومية فيه ومواجهتها للحركة الإسلامية ، وعلى العكس فكلنا نعرف أنه بفعل حكام العراق لم يطلق الجيش العراقي رصاصة واحدة ضد اسرائيل منذ ١٩٤٨ . كما نعلم أن الدولة الصهيونية قد دمرت المفاعل النووي العراقي . وسارعت إذاعة بغداد إلى اتهام العدو الفارسي (إيران) بهذه الفعلية النكراء . ثم فضحت إذاعة تل أبيب الأمر ونريد أن نذكر هنا الأخ أبو عمار بالشخصيات الفلسطينية البارزة التي اغتالها عملاء البعث العراقي .

٥ - الوحدة العربية

كذلك يقدم الطاغية غزو الكويت وضمه للعراق كخطوة في سبيل تحقيق الوحدة العربية واعتقد أن القوميين العرب الذين تبنوا في الأربعينيات والخمسينيات توحيد الهلال الخصيب تحت عرش الأسرة الهاشمية قد أدركوا الآن القيمة الجوهرية للديمقراطية .

٦ - النظم الرجعية

ويزعم الطاغية أنه يحارب النظم الرجعية في الوطن العربي . ويجب أن نقف

كثيرا لبحث الفرق بين نظام رجعي تقليدي له قواعده وتوازناته المعروفة سلفا، وبين نظام يدعى التقدمية ويقيم أبشع حكم ديكتاتوري وكان أسرع حكام العرب في تفكيك القطاع العام وابتلاع كل دعاوي الاشتراكية التي كان يرددها قبل عشرة أعوام ويقتل الاشتراكيين من كل المدارس في غير رحمة . أما عن العلاقة بالامبريالية الأمريكية فإن حكام بغداد لم يترددوا في استخدام السعودية وسيطا للحصول على مساعدات أمريكية حربية واقتصادية ، ثم تعاملوا مع واشنطن مباشرة واستوردوا قمح المعونة الأمريكية في الوقت الذي تمكنت فيه السعودية - ولو بتكلفة باهظة - من الاكتفاء الذاتي من القمح بل وتصدير جزء من المحصول . وقد أعلن في أمريكا قبل نهاية حرب الخليج إنها كانت تقدم لبغداد صور القمر الصناعي عن المواقع الإيرانية . ولم تكذب بغداد الخبر . لا مجال هنا لمقارنة بين تقدميه ورجعية فكل أطراف النزاع نظم استبدادية تحرم شعوبها من الحياة الديمقراطية . الفرق الوحيد هنا هو أن بطش حكام العراق لم يسبق له مثيل .

٧ - مقدمات المسلمين

ثم يندب الطاغية « تغريط » السعودية في وضع الأماكن المقدسة في متناول يد الامبريالية الأمريكية ويدعو المسلمين كافة للجهاد من أجل تحريرها . والمعروف أن كل المساعدات التي حصل عليها صدام من الغرب كانت مستندة إلى كون نظامه النظام العلماني الوحيد القوى الذي لا يسمح لأي صوت إسلامي أن يسمع في أرجاء العراق . وأنه بالتالي الحصن الأول ضد الثورة الإسلامية في طهران . وقد سار نظام بغداد على ارتياح الأمن في كل شاب يؤدي صلواته بانتظام وسخرية الشباب البعثي به ومضايقته بكل الأشكال . ولكن هذه الدعاوي تؤكد على ضرورة أن توضح حركات الإسلام السياسي موقفها من غزو الكويت وضمه وكذلك موقفها من المملكة السعودية التي تحمي مقدسات المسلمين والتي أوقعها صدام بين شرين أحلاهما مر .

٨ - الناصرية الجديدة

واشنع ما يردده انصار الطاغية قولهم أنه عبد الناصر الجديد «كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون الا كذبا». فعبد الناصر كان محررا ولم يكن حاكما دمويا.

وهذا البيان يمكن أن يطول إذا كان المقام مواتيا . ولكننا في وسط الكارثة وعلينا أن نوضح الرؤية بقدر ما نستطيع والا يدفعنا المر من الأمور إلى قبول ما لا يقل عنه مرارة . وبذلك نؤكد هنا ثقتنا في الشعب العراقي - صاحب الحق الوحيد في تغيير النظام الحاكم - وأنه لابد أن يخرج في يوم قريب مما يحيط به من أشباح الموتى والمختفين وما يراه من معوقى الحرب ومعوقى التعذيب ليأخذ أموره بيده ، ومن الناحية الأخرى ندين بشدة التدخل الأمريكي العسكري المكثف (لأنه كان موجودا قبل الأحداث الأخيرة) . فليس من حق أمريكا ولا أي دولة أخرى أن تدعى القيام بدور الشرطي العالمي . ونحن نطالب بانسحاب القوات الأمريكية فورا ونلج على الحكومات العربية لكي توفر بديلا عنها ذا مصداقية . فإذا استمر التشتت العربي فلا مفر من الذهاب إلى الشرعية الدولية متمثلة في مجلس الأمن ليطبق الإجراءات التي نص عليها ميثاق الأمم المتحدة في حالة استمرار العدوان . بل ونزكي أن تطلب الدول العربية في حالة اقرار المجلس لتدخل عسكري الا تشترك فيه أي من الدول دائمة العضوية .

ديمقراطية التعليم ولغة الحوار

د . حسن وجيه حسن

مدرس بكلية اللغات والترجمة الفورية بجامعة الأزهر

الأهرام الاقتصادي ٤ - ١١ - ١٩٩١

في إطار حوارات تحديث التعليم ورصد طبيعة آفاق الاهتمامات العلمية وجبت الملاحظة والتأمل علميا في ظاهرة التردد العالي لاستخدام تعبيرات « أدب

الحوار» و « آداب الخطاب العام » وكناية « الخروج عن النص » و « ضرورة الحوار » وإلى غير ذلك من تعبيرات متشابهة . فلقد انتشرت هذه التعبيرات انتشارا كبيرا في وسائل إعلامنا في الفترة الأخيرة وتمثل دعوة لمناقشة ما يجب أن يدرج في العملية التعليمية بخصوص التعريف العلمي لطبيعة وآليات لغة الحوار المعقدة.

إن هذا الأمر أصبح من أهم ما تتناوله بالتحليل والدراسة والتدريس أحدث البرامج اللغوية الحديثة التي أصبحت محور اهتمام بحثي كبير ومتزايد على مستوى أكثر دول العالم تقدما فهذه لدراسات تعني بدراسة عمليات فهم وإنتاج وتفسير وتداول التركيبات اللغوية المسموعة والمكتوبة في السياقات المختلفة وتعني كذلك بتحديد أنسب الوسائل والاستراتيجيات اللغوية النفسية والاجتماعية لإدارة الحوار وتجنب عوامل الشقاق وفهم طبيعة التعقيدات الملزمة لعمليات التفاعل والتواصل التي تصاحب الحوار اليومي ومضامينه المتعددة فعمليات التفاعل والتواصل هذه عادة لا يلتفت إليها الغالبية في شكل ردود أفعال حوارية تلقائية وذاتية لا تسمح عادة بالقدرة على اقتفاء أثر سبب الخطأ وتحديد نوعه مما يؤدي في أحيان كثيرة إلى عدم التآلف المطلوب مع الآخرين في السياقات المختلفة وأحيانا أخرى إلى الشقاق وإذا كانت الدراسات الحديثة التي تعني بآليات الحوار لها أهمية خاصة على جداول الأبحاث في أكثر دول العالم تقدما . فإن أهميتها في مجتمعنا تمثل أكثر من ضرورة حيوية ، خاصة وأن المراقب المتخصص يستطيع أن يلاحظ وجود نسبة كبيرة من الخلاف بين الأفراد ليست بسبب اختلاف يائس أو حاد في جهات النظر أو بخصوص أمور حيوية بل أن مصدرها في كثير من الأحيان يرجع إلى عدم وضوح ولبس الرسائل بين مرسلها ومستقبلها والعكس وعلى صعيد الخصوصية الثقافية وجب أيضا تسليط الضوء على مسئولين آخرين مرتبطين بالعملية وهامين للفهم الشمولي لطبيعة آليات الحوار الأول وهو الخاص

بالعمل على تحسين طرق تدريس الآب العامة للحوار وتدريب القائمين عليها كما تستنبط من كتب التراث وتعاليم الأديان السماوية والثاني . يتعلق بتعميق فهم طبيعة الحوار الديمقراطي ففي الوقت تنادي فيها القيادات التعليمية بما يسمى بعملية ديمقراطية التعليم والذي يعني أساسا إتاحة العدالة في الفرصة التعليمية وجب أيضا عطاء المزيد من الاهتمام للشق الآخر من هذه العملية وهو الخاص بتعليم الديمقراطية.. وإذا كان هناك شيء حيوي ومحدد للغاية ينبغي أن يقال في هذا الصدد فهو وجوب المعالجة العلمية والتعليمية لعوامل وعناصر تركيبة الشخصية الاستبدادية والتي تتنوع صور وجودها في المجتمع العربي ، فأحيانا نجد في شكل أحادية ومركزية شديدة في الرأي وأحيانا في شكل عبودية الروتين وحرفية تنفيذ القوانين بطريقة جامدة ومتعسفة .

إن هذه الصور المختلفة للشخصية الاستبدادية لا ينتج عن وجودها وممارساتها سوى إهدار الطاقات وهروب العقول الشابة القادرة على الابتكار وإحداث النهضة الحقيقية إلى دول العالم المتقدم أو إغتيالها في وضوح النهار في عمق دارها . لقد أدت الممارسات التعليمية « التلقينية الجامدة » والتي وجب التخلص منها منها إلى غير رجعة إلى تنمية هذه « التركيبة الاستبدادية » المتنوعة الأشكال والتي أحدثت الكثير من الكوارث على مستوى الأمة بأكملها والتي تعاني منها في المقام الأول كافة الخطط التنموية الطموح التي تهدف إلى تحقيقها القيادة السياسية .

إن البديل الطبيعي والبديهي يتمثل في البحث عن أفضل الوسائل لتنفيذ استراتيجيات تعليمية تعني بالتركيز على المهارات وأظهار الملكات بهدف خلق المواطن المتطور الذي يستطيع أن يتعامل مع الآخرين بدinاميكية إيجابية تمكنه من تقبل النقد البناء والقيام به وبالتالي تنكته من التكيف السريع مع الآخرين المختلفين عنه وكذلك من التعامل مع المتغيرات السريعة للغاية في عالمنا المعاصر والتي يسئلزم في المقام الأول وجود هذه النوعية من المواطن الذي يسعى لأقامة

الثقافة الجامعة القادرة على العمل بروح الفريق الواحد والتي تمثل اللبنة الأولى لتحقيق العمليات التنموية المختلفة .

إنه في الوقت الذي تركز فيه برامج الدراسات اللغوية الحديثة على أمر المهارات والقدرات النقدية وتتيح الفرصة للتعمق في فهم آليات الحوار على المستويات المختلفة مما يتيح بالتالي التغلب على الكثير من سلبيات ممارسات الحوار اليومية إلا أنها أيضاً تلقي بالضوء على طبيعة الأفاق العملية في التسعينيات. فتلک البرامج توضح ذلك الترابط المتزايد الذي تشهده حالياً المناهج العلمية المختلفة خاصة في مجال العلوم الاجتماعية فعلى سبيل المثال تستمد دراسات « كفاءة الأداء الحوارى » أدوات تحليلها من نتائج علم اللغويات الاجتماعى .وعلم اللغويات النفسى ، وعلم اللغويات العرفى وعلم لغويات الكمبيوتر . لقد أصبحت نتائج هذه الدراسات تصب في بعضها البعض بطريقة دائرية الآن . فالمهتمون بعلم لغويات الكمبيوتر يهتمون بنتائج دراسات فروع علم اللغويات التطبيقية الأخرى في سبيل تحقيق رفع مستويات لغات الكمبيوتر الصناعية المتعددة لتصل إلى مستوى اللغة البشرية تحقيق رفع مستويات لغات الكمبيوتر الصناعية المتعددة لتصل إلى مستوى اللغة البشرية الطبيعية وبالتالي يتخطى جيل الكمبيوتر الحالي مرحلة اجراء العمليات الحسابية السريعة إلى مرحلة العمليات الذهنية الفائقة السريعة والتي تتم في العقل البشرى والخاصة بفهم وانتاج وتداول التراكيب اللغوية المختلفة .

إن هذه النوعية من الدراسات اللغوية تهدف إلى إنتاج جيل الكمبيوتر الذي من المتوقع ظهوره في هذا العقد ليكون قادراً على اجراء التحليل اللغوى المعقد وتقديم الترجمة الفورية بين المتحدثين الذين يمثلون ثقافات مختلفة أن محاولات تطوير الذكاء الصناعى في مجال لغويات الكمبيوتر والدراسات المتخفضة عنها تسلط الضوء بدورها هي الأخرى على بعض الظواهر التي تتسم بتعقيدات بالغة فيما يتعلق بآليات التواصل الحوارى لتهتم بها ثانية

دراسات فروع علم اللغويات التطبيقية الأخرى ، وهكذا ترتبط نتائج دراسات هذه الفروع بعضها البعض في محاولات متمزج فيها أعقد أساليب البحث العلمي ليس للسيطرة على بعض العوامل والمتغيرات معملية كما في العلوم الطبيعية ولكن للسيطرة على عوامل الظواهر الاجتماعية الغاية في التعقيد ، وذلك هو التحدي الذي شرعت في مواجهته دراسات علم اللغويات التطبيقية الحديثة والتي وجب النظر إلى إدراجها في إطار خطط تطوير التعليم ، خاصة وأنه ليس هناك وجود حقيقي لهذه الدراسات حتى في برامج الكليات المتخصصة في الوطن العربي — كذلك وجب تبسيطها درجة معقولة باللغة العربية ليتحقق منها النفع العام للمتخصصين وغير المتخصصين من كافة المجالات وفي ذلك الحين سندرك الحجم الحقيقي للتعقيدات المصاحبة لعمليات التواصل والتفاعل التي نتعامل معها أساساً من خلال ردود أفعال تلقائية ذاتية ، الأمر الذي ينتج عنه مشاكل « اتصالية » عديدة تصل في أحيان كثيرة في أن تكون على مستوى تفاعلات النخبة فما بالنا بحجم المشكلة في ظل أمية مرتفعة .. ولكن مشوار الألف ميل دائماً ما يبدأ بخطوة واحدة .

رؤية اجتماعية وسياسية للأوضاع الراهنة بمصر

حسن محمد وجيه حسن

مجلة صوت الدارسين المصريين

بالولايات المتحدة وكندا ديسمبر ١٩٨٦

الهدف من هذه الرسالة تركيز الضوء على عدة قضايا في غاية الأهمية يجب أن ننظر إليها الآن وخاصة من خلال وجود تجمعننا الكبير الذي يناهز الألفين على امتداد جغرافي هائل ملء بالاتجاهات والأفكار والثقافات المختلفة يتيح لنا فرصة متميزة لتحقيق الاستفادة منها لخدمة وطننا الحبيب مصر وبالتالي

أمتنا العربية والإسلامية وفي الحلقة الأولى من هذه السلسلة سأركز على
النقطتين التاليتين :

(أ) الإنسان المصري بين اليأس والأمل .

(ب) قضية تأصيل الديمقراطية والإبداع اللازمين لعملية تطور الفكر
الاجتماعي والسياسي كخطوة أولى وجذرية لإزالة جمود الحركة في مصر
وكسر الحلقة المفرغة ومعرفة العدو الخفي ومجابهته .

(أ) الإنسان المصري بين اليأس والأمل :

يوجد في مصر مشاكل ضخمة وعسيرة لا ينكرها أحد .. وهذه المشاكل
بدورها لها عوامل كامنة متعددة ويتناولها الكثيرون بالتحليل .. وما أريد أن
أحدث عنه والتركيز عليه بإيجاز هو أنه في نفس الوقت الذي نتناول فيه
المشاكل بالتحليل العلمي والمنطقي يجب أن لا ننسى أن أهم العوامل في مجابهة
تلك المشاكل هو مواجهتها بروح عالية تقاوم أي نوع من الإحباط وتتغلب عليه
حتى نتمكن على الأقل من الاستمرار في مواجهتها ولا ننسحب مذعورين
يبتلعنا اليأس كما حدث للبعض مع الأسف الشديد .. إن هذه الروح العالية هي
في الحقيقة سمة من سمات المصري الأصيل ويجب أن ندرك تمام الإدراك أن
هذه الروح هي المستهدفة في المقام الأول من أعداء مصر على أشكالهم المختلفة ..
الذين أدركوا ويدركون تمام الإدراك أن المصري بإرادته الحرة وروحه العالية
تحدي أعنى القوى في الساعة الثانية ظهر يوم السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ ..
ففي الوقت الذي أدخلت فيه القوتين الأعظم كلمة " Detente " أو الوفاق إلى
حيز الاستعمال اللغوي .. وكتبتها فسماء العالم بالبنت العريض كي يراها
الجميع بوضوح جلى ويعلم أنه لن تتحرك قشة على ظهر هذا الكوكب إلا
بإرادتها .. قامت معاهد الدراسات الاستراتيجية في العالم بنشر أبحاثها
الموضوعية الخاصة بالوقف في ذلك الوقت لتدخل مع كلمة « الوفاق »
كاستنتاج لتلك الدراسات الدقيقة كلمة « المستحيل » .. فإذا بالمصري الأصيل

بروحه العالية التي لم تعرف الخوف واليأس والاحباط والقهر يتحدى بتبعات هاتين الكلمتين عندما واجه في ذلك اليوم أصعب مانع مائي في تاريخ العلميات الحربية .. أقوى الخطوط العسكرية في العالم علي وجه الإطلاق .. وواجه بجسده وسلاحه الخفيف لأول مرة في تاريخ الحروب أحدث وأعتى المدرعات والدبابات .. لقد جاهد بإخلاص وعزيمة واستعداد فتلقي نصر الله وعونه !

إن هذا الجندي الذي ورد في الأثر عنه : « خير أجناد الأرض ... جند مصر لأنهم في ربطا إلى يوم القيامة ! » فإذا مثلت أمامنا دائماً روح أكتوبر التي صاحبها الإعداد والتخطيط والتفاتي لتحقيق الغاية شابه ذلك من أمثله أخرى عديدة يذخر بها تاريخنا الطويل الممتد لآلاف السنين .. فسوف نتغلب بعون الله تعالى على الكثير من مشاكلنا .. إنني في هذه الصدد أود أن أتعرض بالنقد الشديد لفريق من المثقفين وأنصاف اللذين تمكن منهم اليأس أو الخوف أو الاثنين معاً فأخذوا يبتونه من خلال ما يقولونه ويفعلونه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . وتاجدهم يجمعون باجتهاد عجيب شتات أقاويل وحجج اليس والخوع من هنا وهناك ويحاولوا إثباتها عملياً في كل موقف ليس لشيء سوى لمجرد إثبات أن لديهم الحجة والبرهان في قضية ما وأنهم أصحاب الحكمة فيما اتخذوه من موقف .. ولا أريد تسجيل أمثله هن هنا .. فهي غير جديدة بالذكر أصلاً .. ألا يدرك هؤلاء حجم الدمار الذي يحدثونه في نفوس من يتطلع إليهم على أنهم الصفوة والمثل الأعلى ؟ وما هو أشق على النفس أن نرى بعض المسؤولين يلبسون نظارة قاتمة السواد وهم يتحدثون عن بعض الأوضاع بالأرقام المحبطة بذاتها .. إننا بطبيعة الحال نحبي ونشكر لهؤلاء شجاعتهم وصراحتهم في مواجهة الجماهير بالحقائق .. بالرغم من أن هذا ليس إحسان منهم بل واجب أساسي تمليه عليهم الثقة التي منحتها الجماهير لهم .. ولكن هؤلاء المسؤولين لم يحاولوا مع عرض الحقيقة أن يثبتوا العزم والأمل بالقدر الذي يمكنهم من الحصول على استجابة الجماهير القوية القادرة على تخطي

المحن .. إننى أناشد هؤلاء المسئولين بأن يتأملوا دلالة قول الله تعالى لنبيه المصطفى - صلى الله عليه وسلم - .. « ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك » .. إننا يجب وأن نقول لهؤلاء جميعاً ... « انتبهوا أيها السادة .. إنكم تحققون أهداف أعداء مصر ودون قصد .. وهذا مؤسف حقاً .. »

(ب) قضية تأصيل الديمقراطية والإبداع اللازمين لعملية تطور الفكر الاجتماعي والسياسي خطوة أولى وجذرية لإزالة عوامل جمود الحركة وكسر الحلقة المفرغة في مصر ومعرفة العدو الخفي ومجابهته :

إن هذه القضية يجب وأن تكون القضية الأولى لنا .. لأن بدونها لن نستطيع تحقيق العزة لأنفسنا وبالتالي لوطننا العزيز .. تختص أساساً بإيجاد المناخ الملائم للإبداع اللازم للتطور وكذلك بفتح قنوات الحركة السريعة الإيجابية اللازمة لعملية التنمية التي ينتظرنا بصدها معارك رهيبية يجب وألا نخشى دخولها مهما كان الثمن .. والسؤال الذي سوف أطرحه وأحاول الإجابة عليه في هذا الصدد هو.. ما هي الديمقراطية التي يتحدث عنها الكثير في كل مناسبة ؟ وما هي أنواعها ؟ وما هو تعريفها فيما يتعلق بالوضع الراهن في مصر ؟ وما هي عوامل جمود الحركة ؟ ومن هو العدو الخفي في هذا الشأن ؟

إن الإجابة على هذا السؤال المتعدد والمتصل الحلقات هي دعوة لمزيد من الحوار والنقاش حول هذه القضية المصرية حتى نصل إلى تصور علمي وموضوعي للهدف الذى يجب أن نسعى لتحقيقه .. وسوف أتناول هذا الأمر في مقالة منفصلة .. ولكن ما أريده الآن هو وضع تصور سريع لما نراه في مصرنا الحبيبة الآن .

بعيداً عن مسميات الديمقراطية المعروفة (مثال البرجوارية ، البروليتاريا ، الاشتراكية الديمقراطية .. إلخ أو قريباً منها .. يمكننا القول بأن الوضع في مصر يتسم بوجود ختان أو اتجاهان يمكن تشبيهها بوجود ترام يسير على قضبان غير معدة له وربما يسير بلا قضبان في بعض الأحيان فيتوقف أو يسير

بالقصور الذاتي في أحسن الظروف .. والمحصلة أنه لا توجد الإنطلاقة المطلوبة .. ولتوضيح ذلك أكثر نقول بأن هناك خطأ متحرراً وديناميكياً ونتاجه ظهور وجود علامات صحية على الطريق السليم تتبلور في شكل تعدد الأحزاب في مصر وجود صحافة حرة .. وكذلك هناك خط استراتيجي مضاد لحركة هذا الخط المتحرر ويتبلور ذلك في وجود مجموعة القوانين واللوائح المقيدة للحركة بصفة عامة في معظم القطاعات السياسية وغير السياسية .. ويمثل فريق الخط الأول في معظم أفراده من يؤمن بالحريات والحياة النيابية السليمة والنظر إلى جوهر الأمور والسعى لتحقيقها ومحاولة التغلب الجادة على ما يقف في طريق الصالح العالم .. ويمثل فريق الخط الثاني نوعيتين من الأفراد:

١ - أنصار تقييد الحركة لخبث بهم وتربص بأي مناخ يتيح الحركة الإيجابية السليمة اللازمة للصالح العام ملائمة هذا المناخ لتحقيق أهدافهم ومصالحتهم الشخصية البحتة نهائياً .

٢ - أنصار تقييد الحركة ليس لخبث أو هدف بذاته ولكن لتعنت وعبودية اللوائح والقوانين بحرفيتها وكأنها قانون إلهي .. وكأنهم لا يعلمون أن من وضعها إنسان مثلهم وكان هدفه حينذاك خدمة المصلحة العامة وليس تعويق وشل حركته وحركة الجميع .

إن شعارات قطبي هذا الخط في مواجهة الحركة الديناميكية والإيجابي هو «... قل ما تشاء فلن يحدث ما تريد» أو تعبير « الحرية المتبادلة » كما سمعته من عامة الناس في مصر .. أي فلتقل ما يبدو لك وإن لم يعجبني فسوف أضعه في إطار الاعدمية فوراً وبنفس المنطق .. أي الحرية حسب تعريف هذا الخط لها .

[البقية العدد القادم]

١ - لمزيد من التفصيل الدقيق والعلمي لأنواع الديمقراطية على المستوى العالمي أنظر كتاب الدكتور السيد عليوة « دروس في تطور الفكر

السياسي » .. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ .

٢ - فتحي رضوان في حديث لمجلة المجتمع الكويتية (٥ / ١١ / ٨٥) أورد هذا المصدر الزميل ممدوح الميداني في مقالته (قراءة في الشخصية المصرية) بمجلة الدارسين المصريين عدد مارس ٨٦ .

لماذا لا نفوز بكأس العالم

د . عبد المنعم سعيد

الأهرام ١٩ / ١ / ١٩٩٠

نعم لماذا لا نفوز بكأس العالم ؟ ولماذا - أيضا - لا نخرج من دائرة ظلمات العالم المتخلف إلى نور وساحة الدنيا المتقدمة ؟ وإلى متى سوف نظل محسوبين ضمن « الجنوب » والدول « النامية » و « العالم الثالث » ؟ وبإختصار شديد متى يحدث التقدم في بلادنا ، فنصير مع هؤلاء الذين يصنعون تاريخنا ومستقبلنا ، فنعيد تشكيل الكون معهم كما يفعلون ويصنعون ؟ هل صحيح أنه « مكتوب فوق جبيننا بفعل الثقافة أو القدر أو الاستعمار أو المؤامرة الدولية - كما يزعم هذا وذاك داخلنا وخارجنا - أن نبقى متأثرين بغيرنا بلا قدرة على الفعل والتأثير ؟ أم أن هناك طريقا آخر يمكننا أن نسلكه ، فلا تملكنا الابتسامة ، أو الضحك ، أو حتى القهقهة حين تطرح - مجرد أن تطرح - مثل هذه الأسئلة علينا . أم أننا استسلمنا إستقرارنا عليه في النهاية ضمن الحلقة الجهنمية للفقر والتبعية ، ولم يعد لنا سوى القبول بالأمر الواقع ، وعندما نتمنى فإن أقصى ما نستطيع طموحاتنا وأحلامنا وآمالنا أن تصل إليه هو « التمثيل المشرف » في روما .. هكذا .

لعل ذلك بيت القصيد . فالشعوب التي فقدت ، أو تركت طواعية ، حق الحلم ، وإرادة التقدم هي التي تستنكف ، وترفض في الحقيقة طرح هذه الأسئلة البديهية على نفسها ، وهي التي في النهاية تفقد القدرة على العمل والحركة ،

وتتطلع أبصارها إلى ما يأتيها به الآخرون - سواء لبسوا عقالا أو قبيعة ، من الأشقاء أو من صندوق النقد الدولي - من معونات وصدقة ، وتصبح أقصى الطموحات « المشرفة » أن تحدث إعادة الجدولة لديوننا ، وأن تبقى الأمور ، كما هي عليه « ولا تتدهور إلى أسوأ مما إعتدنا على سوئه . ومن المدهش أنه منذ أكثر من قرن ونصف كان لدينا القدرة - والشجاعة في الحقيقة - على أن نطرح هذه الأسئلة ونجيب عنها بمشروع حقيقي للنهضة . لم يكن الحال أفضل مما هو الآن . كان هناك استثمار عالمي فتي مسلح بالتكنولوجيا والتجارة والصناعة والأفكار ، وكنا مازلنا في سبات عصورنا الوسطى .. حين حدثت المواجهة لم نتوان عن طرح الأسئلة الكبرى : لماذا تقدموا وتخلفنا ؟ لماذا انتصروا وإنهزمنا ؟ لماذا هم في الغرب السادة ونحن المسودون ؟ لم يضع أحد رأسه في الرمال حتى لا يرى الحقيقة . لم يعتبر أحد التخلف قدرا . تكون مشروع للمقاومة والتنوير والتعليم والتصنيع وحتى الوحدة من المحيط إلى الخليج !! ربما نختلف حول محمد علي وإسماعيل وسعد زغلول ومصطفى النحاس وجمال عبد الناصر ، وربما لا نتفق حول حجم وتأثير الأفغانى ومحمد عبده وقاسم أمين وطلعت حرب وطه حسين والعقاد وغيرهم ، ولكننا لا نستطيع أن نتجاهل أن هؤلاء جميعا لم يتوانوا عن طرح الأسئلة الكبرى ومحاولة الأجابة عنها ، نجحوا أو فشلوا أو كلاهما معا !!

لم يكن لديهم هذا الاستسلام المخيف لمكان في العالم ، بينما الدنيا فيها الأبيض والأصفر والاسمر يجد مكانه في دائرة التقدم . منذ ما لا يزيد على ثلاثة عقود كانت المكانة العلمية والصناعية المصرية أفضل أو تتوازي مع كوريا والصين والهند والبرازيل وتركيا وتايلاند وماليزيا وكافة الدول التي «تتخرج» الآن من صفوف العالم الثالث إلى صفوف العالم المتقدم . وربما لا تمثل هذه الدول في كأس العالم ، حتى تبحث عن « المثل المشرف » فيه ، ولكن حقيقة تخرجها تجعلها على أبواب الحصول على كثير من الكؤوس ، ربما لا

تكون كرة القدم واحدة منها . وهذا هو لب القضية . فالتقدم قضية شاملة ، ومرحلة من مراحل الانتقال من حالة أدنى إلى حالة أعلى وأرقى ، وقودها الحقيقى إرادة مجتمعية - وليس حكومية فقط - تصر على رفض الواقع ، وتطرح الأسئلة الكبرى وتجيب عليها بمشروع للتقدم تدفع ثمنه بلا تردد أو مباحة .

وهي حالة تشمل كل أوجه الحياة فى التعليم والصحة والسياسة والاقتصاد والأخلاق العامة والخاصة . هى حالة نهوض عظيم لا تعرف التجزئة أو التفتت أو الجرعات ، وفيها الكثير من الطموح والأحلام والآمال . فى مصر عرفنا حالات خاصة للانطلاق . فنعرف ما حدث فى معركة ١٩٥٦ ، والسد العالي ، وعبور القناة وغيرها من المعارك . وفى كل مرة فإن حالة من الحماس والفوران القومى تنتابنا بقوة ، وينتظم الجميع فى الصف بقدره مدهشة على الحركة والعمل . وما أن يتحقق الهدف حتى نطن أننا حققنا المراد من رب العباد ، ويعود كل شىء إلى سيرته الأولى . وبطريقة ما نتفرد فى إيداع هذه المعارك والمسيرات فى متاحف التاريخ ، وتتحول إلى أغاني وذكريات واحتفالات سنوية تأخذ لها أجازة للارتخاء والاسترخاء . ولدينا هيئات من يزورها يتخيل أنه فى العالم المتقدم . هناك هيئة قناة السويس ، والهيئة العربية للصنيع الحربى ، ومؤسسة الأهرام ومجمع الألومنيوم وغيرها ، ولكنها أشبه بالجزر المعزولة عن بعضها البعض ، وبينها وبقية الوطن بهيئاته ومؤسساته الغارقة فى بحر البيروقراطية والخمول . والأهم من ذلك كله أن لدينا عبقریات متفردة فى كثير من المجالات ، وخرج منا مجدى يعقوب ونجيب محفوظ وغيرهما كثيرون . وهؤلاء نجلهم ونقيم لهم الاحتفالات ونضئ لهم الشموع ، وكأننا نستبدل بعبقريتهم الفردية خيبتنا وقلة حيلتنا الجماعية .

وهكذا فإن التقدم لدينا معارك منفصلة ، هيئات معزولة وعبقریات وليس ترديّة وحركة جماعية للخروج من هوة التخلف إلى الآفاق الرحبة لكل ما هو

حديث وعلمي ونبيل في عالمانا . فرؤيتنا للحركة التاريخية أشبه بتسجيل نقاط تدل من وقت لآخر أن مصر أم الدنيا لها مكان ومكانة في دنياها . ومسيرة الفريق القومى ، عاطفيا وسيكولوجيا ، تشرح ذلك دون عناء كبير . تكونت لدينا عقدة أن الوصول إلى كأس العالم يضعنا في نفس المستوى مع دول كانت تحسدنا فصرنا نحسدها . وفي نوبة من نوبات الحشد القومى إنتظم الجميع في الصف حكومة ومعارضة ، السلطة والجماهير ، وحتى المجلس الأعلى للرياضة واتحاد الكرة ! .. وسط ذلك كله إكتشفنا عبقرية مصرية في شخص مدرب إستطاع أن يضع خطة علمية والأهم أن ينفذها وهى مسائل كلها نادرة في حياتنا الحالية . ولكنها حدثت ، ووصلنا إلى كأس العالم . ويعود كل شيء وفق النمط المصرى التقليدي ، فقد أحرزنا نقطة وإنتهى الأمر ، ووصلنا إلى روما ولم تعد هناك مشكلة ، آمالنا إنتهت وتواضعت ، وبقيت عند التمثيل المشرف !

ويبدو النمط المصرى أكثر وضوحا في عزلة الحدث نفسه . فهو لا يعبر بأى معنى عن تقدم الرياضة في مصر ، وهى تعبير عن تقدم الصحة العامة ، والمجتمع ككل . وإنما هو حادث يقف وحده ، وتفردت فيه عبقرية فردية ، وضمن ظروف استثنائية ، سوف ينضم بعد قليل إلى متاحفنا التاريخية العامرة بالتحف والأحداث . وهكذا فإن الحدث يصبح بديلا عن التقدم الشامل ، فهو يرضى غرورنا للحظة ، ويجعلنا نتخيل أننا على سطح الدنيا ، وأن لدينا رياضة في الوقت الذى تشير فيه كل المؤشرات إلى تدهور مستويات الصحة العامة أظهره العجز الفاضح لدى المتقدمين للكليات العسكرية . ويبدو أن هذا النمط أصبح مغريا لدى كثير من المسئولين ، حتى أنهم لا يرون التقدم ممكنا بالمعنى الشامل ، وإنما من خلال مؤسسات جديدة ، تنشأ خارج المؤسسات القائمة ، وتحشد لها كل الامكانيات حتى تنجح وتتقدم . النموذج التقليدي كان هيئة قناة السويس . والنموذج الحديث السعى لإنشاء وادى للعلماء ، رغم وجود المركز القومى للبحوث وأكاديمية البحث العلمى والمهتمين بالعلماء

والباحثين . والفكرة مأخوذة عن وادى السليكون الشهير بالولايات المتحدة الأمريكية حيث يجتمع نخبة من تكنولوجيا الثورة الصناعية الثالثة . ولكن وادى السليكون لم يتكون بقرار من وزير الدولة للتنمية الإدارية الأمريكي - حيث لا وجود لهذا المنصب - وإنما من خلال تقدم صناعى عام ، وعلى الشركات الكبرى أن تقيم مراكز ومعامل البحث والتطوير في هذا الوادى البعيد فلم يتخذ أحد قرارا بذلك ، وإنما جاء نتيجة تطور مجتمعى عام تطورت معه أماكن وأساليب البحث العلمى . وسواء نجحنا أو فشلنا في إقامة وادى السليكون المصرى ، فإن النتيجة واحدة . جزيرة أخرى معزولة مقطوعة الصلة بباقى المجتمع ، وربما تثير الحسد من باقى الجزر الأخرى الأخذة في التآكل والغارقة في البيروقراطية والتي يعانى علماءها من شح اليد وفقير الميزانية .

مرة أخرى ، فإن سر المحاولة ، وهو أن تقفز إلى التقدم ليس من خلال خطوات مجتمعية شاملة ، ومشروع نهضوى عام تنفخ فيه الروح في المؤسسات القائمة بالفعل حتى يؤدي كل منها دورها التي أقيمت من أجله ، وإنما من خلال مشروع واحد ، نتصور أنه يمكن أن يقوم بدور القاطرة التي تشد المجتمع كله وراءها . ولكن الحقيقة غير ذلك ، فكل التجارب التي سبقتنا لم تتقدم على طريقة القطار الذى يشد بعضه بعضا ، وإنما على طريقة الانشطار النووي التي تتزامن فيه تفاعلات هائلة في فترة زمنية قصيرة تنتقل فيه المادة من حالة أخرى ، وهي تفاعلات وقودها طاقة كبرى يمكن أن نسميها أرادة التقدم ، وهى إرادة لا تتكون إلا إذا توافر قدر كبير من رفض الأمر الواقع، والقاع الذى وصلت إليه الأمة ، والتخلف الذى اجتاحت البلاد ، فلم يكن ممكنا لكوريا أن تخطو خطوات التخرج من العالم الثالث مالم تصل إلى قناة بعد الحرب الكورية وهو أن الخمسينيات أن الأمور لا يمكن أن تستمر على ما هي عليه . ونقول كوريا ولم نذكر اليابان والمانيا بعد الحرب . والأمثلة كثيرة في الصين والهند وسنغافورة وتايوان والبرازيل وغيرها ، حيث واجهوا حروب

الأفيون واستنزاف القوى الاستعمارية والحصار الخارجي ، وكان رد فعلهم النهوض والتقدم .

ويواكب إدراك الواقع طموح شديد وآمال كبرى وإيمان بالقدرة على تحقيقها . وهى مسألة تختلف كلية عن طريقتنا في إطلاق الشعارات والأغاني . فهى تعنى أولا المعرفة والمعلومات عن الحالة التى وصلنا إليها مهما كانت مرارتها ، فلا يقال أن صادراتنا تضاعفت خلال الثمانينيات بينما تعود زياداتها إلى هبوط سعر الجنية المصرى أكثر منه زيادة حقيقية فيها . هى ثانيا تعنى معرفة بما نريد تحقيقه وإيماننا بالتقدم ، فليس صحيحا أن ماضينا يمكن أن يكون أفضل من مستقبلنا ، وإن الولوج إلى عالم المستقبل ضرورة لا غنى عنها لاستمرار بقائنا ذاته . وتعنى ثالثا أن للتقدم ثمنا علينا أن ندفعه . فلا مكان هنا للتكاسل ، أو التصور أن كل جهد تبذله عليه أن يوفر الراحة والسعادة للجميع لم يحدث ذلك من قبل ولن يحدث ذلك الآن . وعلى كل إنسان في الوطن أن يتحمل مسئولياته . فليس معقولا أن يتخلى الآباء عن مسئولياتهم كأباء ويطلبوا وزير التعليم أن يعدل مواعيد امتحانات الثانوية العامة حتى لا تتعارض مع مشاهدة أبنائهم لمباريات كأس العالم القادمة في يونيو . هكذا !!

والأهم رابعا أن نستبعد الأسباب غير الجوهرية التى نتصور أنها تقف في سبيل تقدمنا . فغير صحيح أن مشكلة مصر هى رأس المال . فخلال العقد والنصف الماضى دخل مصر ما يزيد على مائة ألف مليون دولار (قروض ومعونات وتحويلات عاملين ومصادر أخرى) وهى أكبر كمية من الدخل حصلت عليها منذ بناء الأهرامات ، ولم تتوافر للكثير من دول العالم الثالث الأخرى . وليس صحيحا أن سبب تخلفنا يعود إلى الزيادة في مصر من أقلها في الشرق الأوسط ، وتكاد تمثل المعدل المتوسط في العالم الثالث . وإذا نسبنا عددا إلى مساحتنا ربما فلحنا في فهم اللغز الذى يجعل بريطانيا التى لديها عدد سكان أكبر مساحة أقل ، تنتج ما يزيد على عشرة أضعاف الناتج القومى الاجمالى

المصري . هل نتحدث عن اليابان التي لديها أكثر من ضعف عدد سكاننا ويعيشون على ثلث مساحتنا وبلا موارد طبيعية على الإطلاق ، ومع ذلك فإن ناتجها القومي الأجمالي بلغ خمسين مرة تقريبا حجم ناتجنا القومي بعد تدمير شامل وكامل خلال الحرب استخدمت فيه لأول وآخر مرة القنابل الذرية .

المشكلة الجوهريّة في طريق تقدم الموارد وليس السكان ، فهما قد يشكلان عقبة في بعض الأوقات ولكن لم يحدث أن توقف تقدم دولة بسبب زيادة البشر أو نقص الموارد . ما يفرق بين مجتمع أو آخر هو العمل وإرادة التقدم والرغبة في اقتحام المستحيل والاستعداد لتحمل المسؤولية كل في موقعه . فليس متصورا في أي بلد من بلدان الدنيا أن تحدث كارثة لمحصول القطن كما حدث لدينا ثم يبقى كل مسئول في موقعه . وفي الغرب يقولون - تهكما علينا بالطبع - أنه لا يمكن أن تحصل على غفوة بعد الظهر وتحدث عن إنتاج الوقود الصناعي في نفس الوقت ، المعنى هنا إنه لا يمكن الحصول على التقدم في الوقت الذي يبحث فيه كل فرد عن الراحة والنوم . فأسلوب الحياة لا بد من أن يتغير في الحكومات والمؤسسات والأفراد لخلق مناخ جديد من التقشف والزهد . هذا المناخ يعني تكاليف وثمان مدقوعا ولكن وراء عائد سوف نجنه في حاضرتنا ويحصل عليه أولادنا من بعدنا .

وإذا كان هناك ثمن مدفوع فلا بديل عن المشاركة في إتخاذ القرارات الخاصة بتحمل الأعباء . فلا أظن أن المصريين حالة استثنائية بين شعوب الأرض لا تطمع في غد أفضل من حاضرها . والثابت أنهم على استعداد للتضحية إذا كان أمامهم مشروع للتقدم والنهضة ، وشاركوا في صناعته وفي إتخاذ قراراته ، وساعتها فإنهم يتحركون في حشد منتظم وجبار في إتجاه تحقيق الهدف الوطني . وساعتها سوف تكون هناك كتوس عديدة ، ولن يسخر أحد إذا ما تساءلنا عن الفوز بكأس العالم ، وربما في حين لن يهتم أحد بطرح السؤال لأنه سيكون بأيدينا كأس التقدم !!

لماذا الخلط بين المسلمات الشرعية والقضايا الجدلية ذكرى نيل الأهرام ٨ / ٩ / ١٩٩٠

هذه المبادرات المنهمرة في تحركات بعض القيادات العربية .. ما دلالتها في
حركة العمل العربي .. ؟؟

هل هي صورة للتشرذم العربي الذي أسقط الأداء الجماعي ، في مواجهة
الحادث الجليل الذي وقع على أرض الكويت ؟؟
دون شك هناك انكسار حدث في البناء العربي ، بعد غزو العراق للكويت ،
كان انكساراً حاداً وغير مسبوق في تاريخ قدسية الأوطان ، ومن ثم حدث
الانفراط العربي !!

مبادرة من ملك الأردن ، وأخرى من رئيس منظمة التحرير ، ومبادرة من
العقيد القذافي ، وأخرى مرتقبة من الجزائر ، وحتى الفريق البشير ، دخل هو
الأخر في لعبة المبادرات بعد عودته من بغداد . يا للكارثة القومية لأمة العرب !
على كل الأحوال ليس أمامنا إلا أن نقول لا بأس .. لا بأس من تكثيف هذه
الجهود الدبلوماسية ، حتى ولو كانت مفردة ، عسى أن تكفر القيادة العراقية
عن آثامها ، وتستجيب لها ، وتحترم شخصية أصحاب المبادرات ، وتجنب
أمتنا العربية ويلات أي حروب مرتقبة !

لكن .. هل كل هذه المبادرات يمكن أن يكون لها قبول أقليمي ، وبعضها
واقع في مستنقع التواطؤ إلى الأذان ؟

في تصوّر أن أياً من هذه المبادرات ، إذا تضمنت في عناصرها أي مكافأة
للمعتدى فأنها من منظور العدل الإلهي ، تكون مبادرة ساقطة وفاشلة ، لأنها
استلبت الشرعية ليحل محلها اغتصاب .

والناس - كل الناس - في إنحاء الوطن العربي ، تلفهم حيرة خانقة ! وحتى

الذين وضعوا على وجوههم اقنعة التعاطف مع المعتدين ، هم في أزمة مع ضمائرهم ، ولا يدرون إلى أي مستقبل مجهول تستدرجهم القيادة العراقية ؟ وحالة الغموض المقلق ، مازالت هي الأخرى تلف هويات المتحركين في الأزمة فالكل تختلف رؤاهم بين عشية وضحاها .. والجريمة ضخمة ومفجعة ، ونخشى من استمرارية هذه التناقضات ، أن تتحول القضية إلى ظاهرة من ظواهر الأزمات الإقليمية ، تأخذ فترة ساخنة من الحرب الإعلامية الحادة ، ثم لا تلبث أن تنجح إلى الاسترخاء !

القضية ليست قضية غزو الكويت فحسب ، ولكنها قضية الحصانة المقدسة لصيانة استقلال الدول وحماية إرادة شعوبها ، والذين يخطون ، بين المسلمات الشرعية ، وبين افتعال قضايا جدلية ، إنما هم خارجون على قوانين الحياة ، وعلينا نحن المثقفين أن نأخذ حذرنا من استدراجنا إلى سراديب المتاهات وأن نظل واقفين أمام بوابة الحرية ، التي استباح فيها الأشرار المحرمات غدا وترويعا !

وإذا كان السيد « طارق عزيز » الذي يعتبر ذراع الارهاب السياسي للقيادة العراقية ، يلعب دور « ابا مسلم الخراساني » قائد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ، فإنه يعرف أن مصير الخراساني كان القتل بيد المنصور نفسه الذي يرى فيه « صدام » مثله الأعلى ، في التعامل بالسيف مع من هم حوله خاصة الأقوياء !

كيف نحلل منطوق « طارق عزيز » رداً على سؤاله عن الكويت قال : لو أن المملكة السعودية استولت على « قطر » لما عارضناها في ذلك ، فقطر من الكيانات الخليجية الصغيرة وبدون جذور تاريخية !

هنا توجه سؤالاً للسيد طارق عزيز :

هو ما معنى الدولة عندك ، وما هو مفهومها في القواميس السياسية ؟؟
الدولة تنهض على أركان ثلاثة : الشعب والأرض والشرعية ، وما دامت هذه

الأركان قائمة ، فإن الاعتراف بها هو إقرار بالدولة ، مهما كان حجم مساحتها وعدد سكانها ، وتاريخ ولادتها ، إن دولا صغيرة كالكويت أو قطر أو سلطنة عمان ، لها وجود على خريطة الدنيا يسبق ظهور العديد من الدول . بعد قرون ، وبعضها كان له حضور تاريخي فيما قبل الميلاد .

● وقطر التي يستهين به « طارق عزيز » ويدعى بأنها كيان بدون تاريخ ، ربما بحكم تكوينه النفسي لم يهتم بدورها عندما شاركت بحريتها ، في تعبئة أول أسطول بحري ، لنقل الجيش الإسلامي للجهاد ، بقيادة « أبي العلاء الحضري » وما زال شعراء العراق يرددون أشعار فارسها وشاعرها « قطري بن الفجاءة » وعلى كل فإنه لا يهمننا أن يعرف « طارق عزيز » دور قطر في المنطقة ، لكن يهمننا أن يعلم أنها كانت سواء بسواء مع العراق تحت حكم الدولة العثمانية لمدة أربعة قرون ، وكانت السلطة الفعلية في يد شيوخ قبائلها وأن آل ثاني الذين يحكمونها منذ عام ١٨٥٠ ميلادية ، هم من بنى تميم التي تنتسب إلى مضر بن نزار .. ولم يفاخر أحد منهم بأنهم يلتقون في الحد الخامس مع الرسول عليه الصلاة والسلام ، في حين يدعى صدام حسين ، بأنه أصبح فجأة من أهل البيت وأن جده علي بن أبي طالب رضى عنه !!

وأقول للسيد « طارق عزيز » أن ذلك الطرح ليس المقصود به الدفاع عن الدول الخليجية أو عن الأسر الحاكمة ، التي سبقت العراق في النهوض بشعوبها ولكنه دفاع عن قدسية الكلمة وعن الحقائق ، التي ستظل محفورة في ذاكرة التاريخ حتى ولو حاول حكام العراق حذفها من الكتب المدرسية !!

جنهم بعده لن تطلب المزيد المستشار محمد أبو علم

الأخبار ٢٠ / ٢ / ١٩٩١

اقتلوه ولا ترحموه .. اذبحوه وأشربوا من دمه فهذا يرضيه .. أن كنتم تكرهونه فإن الله وملائكته ورسله يكرهونه أيضا .. وأن كنتم تحبونه فإن قتله

سوف يسعده ويرضيه ...!! أنه يحب الدم حتى ولو كان الدم يسيل من رقبته...!!

اقتلوا صدام واسلوه ولا ترحموه .. لقد قتلتم عبد الكريم قاسم من قبل وسحلتموه .. لقد وصفكم واحد منكم يوماً بأنكم أهل غدر ونفاق . فلا تغيروا صورتكم هذه واقتلوا صدام فإن قتله رحمة بالناس أجمعين !!
اقلبوا العراق رأساً على عقب بحثاً عنه .. أجعلوا عاليها سافلها وحتى تعثروا على سافلها هذا فتعدموه .

اسألوه عن المليون قتيل الذين ذبحهم في حربه الظالمة مع إيران .
اسألوه لماذا هاجم إيران ثماني سنوات ثم عاد واعتذر وانسحب وكان شيئاً لم يكن !!

اسألوا هذا السفاح عما قدمت يداه .. حاسبوه واذبحوه واسألوه فيم كانت حرب إيران ؟ وفيما كان الندم وكان الاعتذار !!
لا تأمنوا جانب هذا الشرير ولا تصدقوه .. ثم اسألوه عن حرب الكويت.
اسألوه عن ضميره فيما أنكره .. وعن أخلاقه فيما أهدرها .. وعن النساء لم هتك أعراضهن ؟

اسألوا اللص عما نهب وعن الأطفال وما شرد وقتل وعن الأعراض ووحشيته فيما هتك ؟ !

اذبحوا هذا الوحش الخسيس اللئيم بماضييه الملوث كله بالدماء .. فسوف يرقص العالم كله لمقتله .

أن طائراً واحداً ملوثاً بالقطران قد أثار شفقة الناس في كل مكان .. أما صدام مسحولاً في الشوارع فسوف ترقص البشرية كلها فرحاً به .. وسوف يكون أول الراقصين سعدون حمادي وطارق عزيز وطه يس رمضان ومنذوبه في أمريكا عبد الأمير المباري !!

تصوروا شخصاً اسمه عبد الأمير ؟؟ !! هذا العبد تماماً مثل سيده ليس عبد

الله وإنما هو عبدالله أمير !! أما الأمبارى هذه فهي صفة هزلية تنبأ عما يخرج من العراق من شواذ !

اضربوا الآن قبل غد .. اضربوا هذا الوحش المجنون الذى فقد عقله ويلتف حوله شرذمة من الجبناء والمناجس ..

لا تتوقفوا عن قتله فى شهر شعبان وشهر رمضان فإن ذبح صدام واجب حتى فى الأشهر الحرام !!

إن الحرام هو تركه يقتل ويعيث ويشيع السفك بين الناس بلا حساب .. لا تدعوه يضحك عليكم بسبب مائة قتيل ماتوا فى خندق فقد قتل هو الملايين فى العراق بلا استحياء ولا ضمير ..

تعقبوا صدام تحت الأرض .. أي زعيم شجاع هذا الذى يعيش فى الأنفاق؟؟ أي جبان هذا الذى يتكلم باسم الإسلام؟؟

أين هذا النذل من أئمة الإسلام وشهداء المسلمين على زمن الرسول عليه الصلاة والسلام أو فى أي زمان !!!

أين الجهاد فى قتل ملايين المسلمين فى إيران وفى الكويت ؟

أين الجهاد فى قتل مواطنيه المسلمين من الأكراد ؟

لا تصدقوا بكاءه على مخابأ هدمه الحلفاء .. لا تنتظروا مفاجأة هذا السفاح.. اضربوه الآن قبل غد .. اضربوا هذا الوحش المجنون الذى فقد عقله وشرفه وضميره ..

إن الحرام هو تركه يقتل ويسفك الدماء بلا حساب ..

أقتلوا السفاح ولا ترحموه فإن الدم يسعده حتى ولو كان دمه هو...!!

اذبحوه قبل أن يذبحنا ...!!

اذبحوه واسطوه والقوه فى جهنم فإن جهنم بعده لن تطلب المزيد..!!

هل معقول أنها : أزمة وتعدي ؟!

بقلم : سناء فتح الله

الأخبار ٢١ / ١ / ١٩٩١

هذا هو اسم المسرحية التي قدمها شباب الكويت على مسرح المجلس الأعلى للشباب والرياضة .

تأليف : محمد الرشود .

إخراج : نجف جمال .

ومستول المهرجان الذي عرضت من خلاله المسرحية هو خليل إبراهيم .
ويقول إن هذه المسرحية « أزمة وتعدي » .. هي مشكلة من أشكال المقاومة
في جبهة الفن يقدمها مسرح الجزيرة بالتعاون مع فنانيين أخوة وأعزاء إلا أن
يشاركوا في هذا العمل مساهمة منهم في معركة التحرير .
وللحق

عرضت المسرحية في مرحلة ما قبل بدء الحرب بأسبوع تقريباً !.
.... رغم أن المسرحية كوميديا ساخرة من العراق !! والجيش العراقي..
وهدف احتلال الكويت .. و .. و ..

إلا أن العرض لا يحمل أى رؤية أكثر من أنه يعيد الحكاية بأسلوب إعلامي
ساذج ويحمل استفزازاً وعجرفة وعلفاً في منتهى الغرابة .
وقد ذكرت هذا الرأي للسيدة الفاضلة المستشارة الإعلامية بسفارة الكويت
وصاحبة الدعوة .. وهي تتمتع بصدر رحب لأى كلمة نقد لها قدرة حيادية
للحكم على الأشياء .

قلت لها بالحرف الواحد .. أنني إحسست باكتئاب وحزن في الوقت الذي
زادت فيه جرعة الضحك والسخرية من الجيش العراقي الذي يحتل وحتى هذه
اللحظة بلداً عربياً وشقيقاً .

صحيح أننا نقف مع الصف الكويتي ضد الاحتلال ..

لكن ، من الصعب للغاية أن تحس بأنك جاد جدا ومع قضية الآخرين ..
الذين يضحكون ويقهقهون ويمرحون وهم يعيشون على سطح الأشياء .. وفي
الأعماق تعد خرائط جديد للمنطقة .. وأهداف لافقار منطقة تتمتع بثراء طبيعي
وهيمنة على الطاقة البترولية .. ومصالح الغرب الذي يسعى لتجميد أسعار
البترول عندما يستورده . ليصدره خامات بأعلى الأسعار .. وكأن الغلاء الذي
يتحكمون في تسويقه هنا وهناك لابد أن يكون تحت أمرتهم .. فإذا ظهرت أى
قوة في المنطقة .. كان لابد من تدميرها كاملا .. بأى أسباب كانت .. بأى
مؤامرات .. حتى ولو استغلت في هذا التدمير أصحاب القوة ذاتها .. كأداة
للمخطط .

ماذا يضير العالم كله .. لو احترق الشرق الأوسط كله بمن فيه ما عدا
إسرائيل .. وآبار البترول .

أليس هو نفسه .. العالم كله الذي وافق على وجود « الدولة » الإسرائيلية
واحلالها محل « دولة » وشعب فلسطين (!) وطرد الشعب كله .. لاجئين ..
وتدمير بيوتهم وقراهم ومدنهم وحياتهم كلها وعلى مرأى ومسمع من المجتمع
الدولى (!) .

وعندم يتم تدمير حوائط وأبنيه في تل أبيب .. يقوم العالم ولا يقعد ويحتفظ
بحق الرد !.

أليست العراق هى التى من حقها الاحتفاظ بحق الرد الذى تمارسه الآن ..
وبكل الحق .. ردا على ضرب مفاعلها لتهدر حقها في أن يكون لها قائمة كدولة ..
احتفظت بحق الرد ١٣ سنة .

هل معقول أن تكون « إسرائيل » وحدها هى التى تملك مفاعلها في المنطقة
كلها في أمن وأمان .. وترفض حق المراقبة الدولية من العالم كله .. أليس هذا
يمثل تهديدا سنرى نتائجه قريبا كفرصة لها للتوسع وتستوعب الأعداد

الكبيرة المهاجرة من اليهود السوفييت وغيرهم .. وتهدد المنطقة كلها بقوتها ..
وتستفز مشاعر كل المسلمين في العالم بتلك المجزرة للمصلين داخل مسجدهم
الأقصى بالأرض المحتلة .

أليس هو نفسه هذا العالم الذى يتكلم باسم السلام ويتلمض بجملة حقوق
الإنسان .. والحرية .. والديمقراطية .. الذى وافق معظمه على نقل سفاراته
داخل « الأرض المحتلة » .. ليمنحها شرعية الانتماء لإسرائيل .

أليس هو نفسه .. العالم الوغد .. الذى يشاهد بالتلفزيون أغرب حرب في
تاريخه تفوق قسوتها كافة الحروب العالمية . وأفلام السينما .

هذه الحرب يا سادة ليست عادلة .. والربط الذى تنكره اليوم بين قضية
الخليج وقضية فلسطين .. خطأ تاريخى جسيم لن تغفره كتب التاريخ في العالم
كله حتى لو احترقت كلها في أتون الحرب » .

وهذه الجملة الأخيرة .. قالها السناتور الأمريكى « تونى بك » .. أخيرا في
سجالة مع « جون بيمون » .. حول ما يحدث في الخليج وتقشعر له الأبدان ..
ماذا كان يحدث .. لو انتظرنا .

لماذا تعجلتم الأمور وفق ميقات لظالم ومأجور .. لأمريكى .. وضد ظالم
آخر وباغ في الرئاسة العراقية .. « تسلط عليهم من هم أشد منهم ظلما
وبغيا » ..

صحيح أن أرض الكويت باقية .. وبترونها باق .. في حصار اقتصادى .
ولكن هناك دم ملايين الأبرياء .. يلطخ هذا العالم المتحد في تجبر ويقابله صلف
في تجبر .. ويبقى السؤال المطروح في عدل .

لماذا لا تناقش قضية الشرق الأوسط برمتها على بساط بحث وأمام هذا
المجتمع الدولى والتحكيم الدولى . ونقف جميعا مع هذا الطرح العادل .
والذى تقره ضمائر تعرف العدل .. حتى ولو كانت أمريكية .

وشكرا « للمسرحية الوطنية الساخرة » .. كما أعلن عنه .. باسم « أزمة
وتعدى » .. فهى « أزمة » فعلا .. ولكن لن تمر هكذا . أو كما تقولون « تعدى » !.

نص الرسالة المفتوحة التي وجهها الرئيس العراقي صدام حسين إلى السيد محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية أمس رداً على النداء الذى وجهه الرئيس المصرى إلى الرئيس العراقى عبر التلفزيون قبل أيام .

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد محمد حسنى مبارك - رئيس جمهورية مصر العربية
السلام عليك ، لقد أطلعت على النداء الذى وجهتموه إلينا والذى دعوتم فيه العراقيين لينسحبوا من الكويت ، وإن نداءكم هذا وجهتموه من خلال استحضار ما فهمتموه عن القومية ومبادئ الإسلام ، وبعد أن أعدت قراءة النداء احيكم عليه ولكن اجابتي تتطلب منكم الصبر لقراءة محتويات الجواب وقدرا من التحمل لما سيرد فيها من مفاهيم ، ذلك لان الجوهرى منها سيما وإنه سيكون معادا عليكم نظرا لاننى تحدثت فيها معكم فى اكثر من مناسبة وكنتم توافقون عليه أو هكذا كان يبدو لى على الأقل .

ومهما يكن ، فإن الله عز وجل قد علمنا الكثير أو لنقل علم الكثير مما يجب لمن تعلم أو لمن يهى نفسه ليتعلم من عباده ومن البديهى القول بأن الصالحين من عباده اقدر على تعلم ما ينبغى وما يجب ، ذلك لان إيمانهم يسبق مجرد القدرة الذهنية كمدخل أساسى لتلقى العلم واستيعابه وإن من جملة ما تعلمناه من كتاب الله القرآن الكريم ، هو اعتماده تعالى الحوار مع الإنسان وعنايته به عناية فائقة إذا وحيثما وجد إن الإنسان متردد فى الإيمان أو عاص أحكام الله ودوره فى الخلق يأتية بالبرهان الذى يقشع عنه غشاوة الشرك والضلال ثم يسأله بطريقة حوار لم نصل إلى مستواها ، نحن البشر هاتفا بهم هات برهانك.. هاتوا برهانكم ، فإذا كان الله سبحانه وتعالى وكطريق للإيمان ليهتدى بعد ذلك ما يهتدى الحوار ويسأل من تكون له قناعة أخرى هات

برهانك ، هاتوا برهانكم .. فمن باب أولى أن نتجنب نحن عبادة أن نطلق ما نعتبره حقائق أو ما نراه اتهاماً من غير برهان.

وعلى أساس هذه المعانى الإنسانية العظيمة فلا بد أن ادخل معك في حوار قبل أن أقول لك نعم أو لا عن كل ما ورد في رسالتك وكل ما هو محل حوار ونقاش وجدل في مصر وفي الوطن العربى بل وفي العالم .

سيادة الرئيس : قبل أن أن ينعم الله علينا أو تسوق الظروف في مساقها الحوادث لنصل إلى رئاسة الجمهورية في العراق ، ولتكونوا على رأس السلطة في مصر ، كنا مواطنين عاديين وكان عبد الله المتكلم ابن فلاح مات والده قبل أن تلده أمه بأشهر ، وإنه من أسرة كريمة شرفها الأساس في عملها وكونها من الدوحة المحمدية القرشية حيث يمتد نسبها إلى سيدنا الحسين جدنا الذى هو بن على بن إبي طالب ، وعلى حد ما أعرف انكم يا سيادة الرئيس من عائلة مصرية ليست من الأمراء أو الملوك الذين سبقوا ثورة يوليو - تموز - عام ١٩٥٢ وعلى أية حال وكوننا جزءاً من الشعب فإننى افترض بأن الزمن الذى أصبحنا فيه في موقع الرئاسة لا ينسينا ، حياة الشعب خاصة ونحن مسؤولين عن شعبنا ، كل من موقعه - عن الأمة كل حسب ما يؤمن من بعضها مسؤولية دستورية كما هو الحال واجاباتنا من خلال وصف المسؤولية الرسمية .

وعبد الله المتكلم رتب على نفسه مسؤولية أخرى سبقت المناصب وعناوينها. منذ أن كان طالباً في المدرسة حيث أمن صدام حسين بأن أمة العرب أمة واحدة ، وأن الوطن العربى من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى وطناً واحداً وأن محمداً بن عبد الله الرسول والنبي الأمين - صلى الله عليه وسلم - هو عربى قرشى وإن الله اختار أمة العرب كملاك إيمان لينقلوا رسالته التى تضمنها قرآنه من خلالهم إلى الإنسانية جمعاء ، وأن دور الأمة طبقاً لهذا هو دور مختار أى أنه دور قيادى ، ولكى تحافظ الأمة العربية على دورها القيادى وتمارس مسؤوليتها التى شرفها الله ، بإبقائى جذوة مفاهيم الرسالة السماوية

الجديدة - الإسلام - متقدمة يجب أن نحافظ بتميز واضح على صفات ما يقتضى من إيمان وممارسة ولأن ما فى الإسلام بل وكل الرسائل السماوية بعد الإيمان بالله الواحد الأحد هو إنسانية الإنسان ، وبما يؤهله للسعى فى الأرض وإعمارها وإقامة العدل عليها ، فإن كل قائد وكل رئيس وكل ملك فى الأمة العربية إذا ما زاغ عن هذا الطريق وإذا ما ابتعد عن دوره تجاه الإنسان العربى وما ينمى ويحافظ على صفات القيادة فى شخصيته لحمل الرسالة وإقامة العدالة فى الأرض فلا يشفع له عند الله حتى لو أقام الليل والنهار صلاة وصوماً.

فما بالك إذا افتقد القائد والحاكم حتى إلى ذكر الله وظلم وتجر وعصى وتكبر.

كل المصريين وكل العرب يعرفون أن الأقطار العربية . قبل ظهور البترول فى حياة العرب كمصدر أساسى للثروة وقبل أن يكون اهتمام العالم به ما هو عليه الآن ، كان لهم تسلسلهم وكان لكل قطر من الأقطار مكانته وكانت مكانة الأقطار العربية وتأثيرها وتسلسلها هو حصيلة تراكم آلاف السنين من العمل الذهنى والعضى ومن الكد والتضحية وكلنا يعرف أن الأقطار العربية كانت لها كنى ترافق اسماءها وأن تلك الكنى هى حصيلة ذلك التاريخ الطويل وما يرتبط به من خلفيات حضارية فكان لمصر بلاد النيل مكانتها وتأثيرها ، بين العرب على أساس الاعتبار التى ذكرناها ، وكان للعراق بلاد ما بين النهرين وأرض السواد مكانته وتأثيره وكان لليمن السعيد مكانته وتأثيره ، وهكذا لتونس الخضراء إلى جانب شبه جزيرة العرب أرض نجد والحجاز وبلاد الشام ، وقد كان لها حتى فى الإسلام مكانتها ودورها الذى تعمق بالإيمان وشرف حمل الرسالة الإسلامية ، حتى أسميت مصر بأرض الكنانة

وقد عانى العراق منهم ومن مؤامراتهم منذ وقت طويل واشتدت مؤامراتهم على العراق فى السنين الأخيرة ذلك لأنهم أدركوا أن العراق يرفض

سياسة أسيادهم المستعمرين ويرفض حالة الذل التي يريدون فرضها على العرب ،يرفض أن تسخر ثروة العرب لتخريب شخصية العربي وتراثه ودينه وأخلاقه ويسعى لوضعها في خدمة أهداف العرب وفي خدمة كل الشعب كثروة قومية ، وفي الوقت الذي يتحمل فيه كل العرب عبء وجود الثروة في الوطن العربي يجب أن تعم خيراتها كل العرب ، لا أن تبقى في يد فئة متحكمة تستخدمها للتحلل والفساد والعدوان ، وكان عدوان شيوخ البترول يتزايد على العراق كلما أجهز في القيم العروبة والإسلام ، وكلما نادى بصوت عال بأن القدس عربية وبأن فلسطين عربية حتى بإمكانى أن أقول لك يا سيادة الرئيس ومن خلالك إلى شعب الكنانة العزيز ..

أن موقف الملك فهد ضد العراق وضد صدام حسين ليس لأن الكويت عادت إلى أهلها بعد أن ظلت بعيدة في مستنقع الذل سنين غائبة ومتسخة في مستنقع الفساد ، ان فهد ومن تعاون معه قد بدأوا التآمر على العراق وعلى صدام حسين بعد أن تأكد لهم باليقين أن العراق وصدام حسين مع فقراء العرب وليس مع مترقى الأمة الذين غاب الله عن عيونهم بعد أن غاب الفقراء عن حياتهم ، وإن العراق وصدام حسين ورفاقه لم يتنازلوا في كل الظروف وتحت ثقل كل المؤامرات والدسائس عن فلسطين وعن القدس الشريف ولهذه الأسباب ولأن أسيادهم وأولياء ثروة السحت الحرام منزعجون منه ورافضون للعراق الجديد وسياسية صدام حسين ورفاقه فلا بد أن يكون لهم دور في التآمر ولنفس الأسباب التي كرهوا فيها عبد الناصر وتآمروا عليه .

تآمروا على صدام حسين مع ما يزيد على أسباب تأمرهم على عبد الناصر من أسباب وعوامل ولأن الله قد علمنا بأن نأتى بالبرهان ليقتنع من يقتنع فأننى أرفق لكم نص شريط مسجل بصوت فهد وهو يتكلم مع حاكم عربى آخر لم يكن مشتركا معه في المؤامرة ولتسمع الشريط وما فيه وأن تاريخ المكالمة هو في ٩ / ٧ / ١٩٩٠ ، وإن الله قد انعم به علينا من غير جهد جهيد ومن هذا

الشريط سيتوضح لكم أكثر وأكثر لماذا يتآمرون على صدام حسين، وسيكون السبب الأساسى واضحا ذلك لأن صدام حسين رفض الابتزاز الإسرائيلى وهدد العدوان بالرد عليه ولأنه يناضل بقيادته لشعب العراق العظيم من أجل أن تعود فلسطين عربية ستسمع كيف أن فهد يحقد حتى على عبد الناصر وهو فى قبره ، لهذا السبب أيضا وكيف يتفق مع دول بترول الخليج على التآمر ويطلب منهم المماطلة مدة شهرين ، ربما ينسقوا أمرهم ويتمكنوا عند ذلك من إيذاء مصر أرض الكنانة وأصبح شرف القادسية لصقا باسم العراق وهكذا وكان هذا ترتيب فى المكان والدور والتأثير يرتبط بما قلنا بجهد الإنسان وتضحياته ينهل من عمق حضارته وخلفيتها العميقة وطبقا لهذا لم يشعر أحد بالغبن بينما كانت الأهداف واحدة والسياسة العامة واحدة وكان هذا ترتيب مع عوامل أخرى يلعب دوراً إيجابياً فى حياه الأمة واحدة الكلمة فيها والموقف ولكن ما إن تخلص العرب من الحكم العثمانى على أمل أن يتوحدوا أمة واحدة حتى ظهر البترول .

نعم كانت مؤامرة أوربا التقسيمية للوطن العربى والتي لم تكتف فيه بأبعاد الأقطار الرئيسية عن فكرة الوحدة الكبرى ، وإنما جزأت بعض الأقطار ومنها العراق حيث سلخت الكويت عن جنوب العراق ، وحرص الاستعمار الأوروبى أن تكون مكامن النفط بوجه عام ، وحيثما استطاع على أجزاء فى الوطن العربى قليلة السكان ضعيفة القدرة على مقاومة أطماعه ، ضحلة فى خلفياتها الحضارية والثقافية بل وحرص على أن يكون بعضها مسخا بأبتماعه عن الجسم الأساسى وعن روح تراثه .

وهكذا أصبحت الثروة بوجه عام والتي مصدرها البترول فى جانب ، وأصبح ثقل الشعب العربى الأساسى وعمقه الحضارى والثقافى وقدرة التطور فى جانب آخر .

ولأن هذا الاجراء قد لعب فيها المقص والقلم الاستعمارى فى رسم حدودها

وأن القائمين عليها هم من ترتيب الأجنبي فقد أشاعوا العزلة بينهم وبين الأقطار العربية الأخرى ، ونما حتى عند الشعب الموجود في دويلاتهم الشعور بأنه لكى يستطيع أن يحافظ على مصدر الثروة عليه أن يبتعد عن الأمة وقضاياها حاربوا الوحدة بين العرب وحاربوا النضال المشترك وأصبح حاميههم ورب نعمتهم ، وكما هو حال العراق بقى شبح ثروة الأمة يطارد حكام الأجزاء الصغيرة وتنمى عندهم شعور من الباطنية رهيب حتى أصبح حكامها يعلنون بخلاف ما يظنون ولم يعد بإمكان أحد أن يعرف أين هو الطريق الذى يطمئنهم لارتفاعها ، وكيف يمكن إذا هم بعد أن تورطوا بمثل هذا الشعور وأصبحوا خدما للأجنبي ، وينطبق هذا بشكل أساسى على شيوخ بتروى الخليج أو على الأغلبية منهم ، ولكن ال الصباح في مقدمتهم ، ذلك لأن سرقتهم كانت أكثر فضاضة وانفصاحا من غيرهم .. أكثر فأكثر وعند ذلك افترض يقينك يزداد ويثبت على قناعة أن قارون الكويت ومن هم على شاكلته كانوا وما زالوا جرائم فتاكه تنهش ما هو عفيف وعزيز في الأمة وكل ما هو مصدر في روحها أو في زكئها المادى وعندما نضيف برهانا جديداً من بين البراهين الكثيرة التى نمتلكها وبما يعزز القول أن الذى كان يجب أن يكون وأن يجمع العرب وهم أمة واحدة يرثها عباد الله الصالحون ، فكيف إذا كانت الأراضى اصلاً عراقية وقد أصبحت للتأمر لتقطع عن أمها لتميتها بعد أن تمتص منها العظم والدم نطف العرب للعرب شعار رفعناه منذ كنا طلاب مدارس وجاء الوقت ليطبق فكرنا في خدمة العرب وقيمهم ليصبح قدوة كما يفترض أن يكونوا طليعة مخلصين في إيمانهم وحصانتهم وخلقههم وقوتهم وتقدمهم ونموذجاً يقتدى به على باقى الأمة الإسلامية والإنسانية .

سيدى الرئيس ... أنك رئيس شعب كريم هذا الشعب العزيز الذى تحمل ما لا يتحمل بسبب البترول ، إذ لولا البترول لما ارتفعت اثمان مشترياته كما هو حالها ليصبح في كساؤه وغذاؤه وحاجياته اليومية ووسائله الثقافية . وأكثر

من ذلك أن القدرة الشرائية للدول البترولية انعكست بإثار سلبية خطيرة على حياة شعبنا وامتنا من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق وكان العرب لا يقارن مع الآخرين في نمط الحياة ولا يتطلع إلى ما هو عليه الغربيون - أما الآن مصر وشبابها يختلطون بشباب الإمارات والسعودية والكويت سابقا وقطر وعندما ينظرون إلى مصاريقهم وإنماط سلوكهم يتطلعون إلى متسوى من المعيشة فوق مستواهم وقدرتهم الشرائية ، إن الذين يريدون الاقتداء به هو مثلهم وهو طالب في كليتهم وقد يكون أبائهم أفضل من أبية شرفا وعملا وإيمانا وذكاء ، وعندما يتطلعون إلى معيشتهم في إطار من المقارنة مع أولئك العرب يشعرون بالحسرة والظلمة ، ولأن أماكنياتهم لا تهى لهم ما يقتضى فقد ينحرفون وهم يفتشون عن سبل تحقق لهم ما تحقق لغيرهم وهذا واحد من الأسباب في الأعراف الاجتماعية بين النساء والرجال بل أن مثل هذه الحسرة والشعور يتراجع الترتيب التاريخي لمكانة أقطار كانت لها درجة متقدمة لتحل محلها في المكان مسميات ليس لها ما يؤهلها غير أنها دول بترولية قد جعل الحسرة تتصاعد لتصل إلى مستوى القارة والحكام في الدول غير البترولية سببه حالة الحسرة لغير المتحصنين وأنزلاقهم إلى ما يقربهم إلى مستوى يعتقدون أن الأقدار على حفظ قدر ممن اللياقة في مكانة الحاكم إن نساء العرب في شارب الخيرين كما يقول المثل في ريف العراق وربما هو هكذا أيضا في ريف مصر وخاصة في صعيدها ولذلك فإن المحافظة على شرف بنات مصر وتحصينهم تجاه الفساد والافساد هي مسؤوليتك المباشرة يا سيادة الرئيس مثلما هي مسؤوليتي المباشرة تجاه الماجدات العراقيات وهي مسؤولية قومية مبدئية تجاه كل نساء العرب بما في ذلك نساء الأقطار التي يسلك فيها حكامها سلوكا فاجرا ، لن نحافظ على شرف نساء مصر والعراق ونساء العرب ولن يشيع الجياح في مصر وفي الوطن العربى ولن يتفتح الباب من غير قلق أمام جمود التنمية الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والثقافية في الوطن العربى ما لم يقيد

التوازن الصحيح في درجة المسؤولية والتأثير وفي الأقتراب قبل ذلك من الله
وقيمة في طريقة التصرف بثروة العرب .

هل صدام هو الذي ربط الغرب بإسرائيل
د عبد الوهاب المسيري

الشعب ٢٩ / ١ / ١٩٩١

* المؤتمر اليهودي العالمي يجتمع على الأرض الألمانية لأول مرة منذ الحرب
العالمية الثانية في الفترة : ٦ - ٨ مايو والمانيا الشرقية تعلن دفع تعويضات
لإسرائيل بسبب قيام هتلر بإحراق اليهود [الأهرام ٢٦ / ٤ / ١٩٩٠] .

* ٤٠٠ يهودي تشيكي يرافقون الرئيس التشيكي في زيارته لإسرائيل ،
والتي أعلن فيها أن أول مؤتمر عالمي لليهود المهاجرين من أصل تشيكي
سيُعقد بإسرائيل قريبا [أهرام ١٧ / ٤ / ١٩٩٠] .

فالداهيم يعتقد لإسرائيل عن حديث له مع صحيفة هاآرتس الإسرائيلية،
ذكر فيه تضليله للسلطات الإسرائيلية بشأن ماضيه كضابط في الجيش النازي
ويناشد إسرائيل إعادة سفيرها لفيينا والذي سحبته بعد إعادة انتخابه ١٩٨٦
[١٣ / ٥ / ١٩٩٠] .

* دول شرق أوروبا (المجر - تشيكوسلوفاكيا - بولندا - بلغاريا) تعيد
علاقاتها الدبلوماسية الكاملة مع إسرائيل [الأهرام ٤ / ٥ / ١٩٩٠] .

* بحث قضية معاداة اليهود في القمة الأمريكية السوفيتية [الأهرام ١٠ /
٥ / ١٩٩٠] .

ويمكن أن نشير إلى ظاهرة هجرة اليهود السوفيت التي تحالفت فيها كل
بلاد التشكيل الحضاري الغربي لضخ المادة البشرية القتالية في إسرائيل : ففتح
الاتحاد السوفييتي أبوابه لتخرج منها الألوف وجعلت دول شرق أوروبا
وغربها من نفسها معبرا ، ثم أغلقت الولايات المتحدة أبوابها حتى تضمن دول
الغرب تدفق المادة القتالية عن الدولة الصهيونية .

هذا قبل أن تصل صواريخ صدام وكان السلاح الوحيد هو حجر في يد طفل يحاول أن يؤكد للعالم أن الفلسطينيين لم يموتوا بعد ، ولم يتحدث ساعتها أحد عن الشرعية الدولية والوجبات الأخلاقية والالتزامات المعنوية - وكانت الرشاشات والأسلحة الإسرائيلية غربية الصنع - تحصد الأطفال والنساء وتهدم المنازل - كل هذا قبل أن تصل صواريخ صدام !

بل أنه بعد ما يزيد على أربعين عاما من الدم الغربي المالى والعسكرى المستمر للدولة الصهيونية - بعد البلايين التى انفقت والقنابل العنقودية التى وردت وقرارات مجلس الأمن التى تراكمت عبر السنين وثوى عليها التراب ، حاولت أجهزة الاعلام الرسمية الربط بين الدعم الأمريكى المالى السخى للدولة الصهيونية (١٣ بليون دولار فى الأعوام الخمسة القادمة) وصواريخ صدام (مع أنه قيل لنا لا داعى للربط بين شئ وشئ آخر) . ولكن الدراسة المتأنية تبين أنه لا توجد علاقة على الإطلاق بين حجم المساعدات الأمريكية لإسرائيل وحسن سير سلوك العرب أو سوءه .

فى كتاب الدكتور محمد ربيع (سياسة المساعدات الأجنبية) (نيويورك ، بروجر ١٩٨٩) إن المساعدة الأمريكية الحقيقية لإسرائيل تبلغ ٦ ، ٢٠ بليون دولار فى السنة ثم يذكر الأرقام التالية (بالبلون) :

١ - ١,٨ مساعدات عسكرية .

٢ - ١,٢ مساعدات اقتصادية مدنية .

٣ - ٢ سندات إسرائيل .

٤ - ٤ منح فردية وحكومية لمؤسسات فى إسرائيل .

٥ - ١,٥ دعم مباشر وغير مباشر من حكومة الولايات المتحدة ومواطنيها .

ويذكر المؤلف عناصر أخرى غير منظورة . وقد سخرت جريدة الجير وساليم بوست (١٩ سبتمبر ١٩٩٠) من طريقته فى حساب المعونات الأمريكية ولكنها اعترفت بالبند ١, ٢ وهو يساوى ثلاثة بلايين دولار .

واستنكر بنده ، واكتفت بالصمت حيال بندي ٤,٣ . وسخرت من كل البنود الأخرى . فيمكن أذن أن نضع حجم المساعدات الأمريكية العسكرية ، فالأرقام هنا ليست خلافية ، والهدف منها ليس إنسانيا ! في الفترة من ١٩٤٨ حتى ١٩٧٣ لم يكن هناك منح عسكرية لإسرائيل وإنما قروض قفزت بين ٩ ملايين طيلة الفترة من ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦١ لتصبح ٣٠٧ ملايين عام ١٩٧٣ . وحصلت في العام الذي يليه على قرض مقداره ٩٨٢,٧ عام ١٩٧٥ واعطيت أول منحة عسكرية صغيرة .

(ويمكن للمرء أن يتساءل هل هذا له علاقة بحرب ١٩٧٣ ، وخوف الولايات المتحدة على الدولة الصهيونية بعد العبور ، وتعاضم القوة العربية ؟) .

المهم أن المنحى ظل يصعد وأخذ شكلا جديدا تماما عام ١٩٨٥ حين أصبحت كل المعونة منحا لا قروضا ، تصل دفعة واحدة وليس بالتقسيط . وبلغت بليوناً نصفاً تقريبا زادت إلى ١,٨٠٠ بليون ابتداء من عام ١٩٨٦ وبقيت على هذا المنوال .

ويلاحظ كذلك أن رقم ٣ بليون دولار معونات عسكرية واقتصادية بدأ منذ عام ١٩٨٦ ، وهذا يعنى مجموع المعونات الأمريكية للدولة الصهيونية في خمسة أعوام هو خمسة عشر بليون دولار وكل هذا قبل وصول صواريخ صدام وقبل أن يقوم بأفعاله الشريرة مثل قذف إسرائيل الأمانة البوديعة بالصواريخ .

المنحى أذن أخذ في الصعود منذ عام ١٩٧٣ ، ولذا فمحاولة الأعلام العربى أن يفسر معونة الـ ١٣ ألف بليون دولار في خمسة أعوام على أساس العدوان العراقى هو أمر عار تماما من الصحة . فالعدوان الأمريكى الغربى على الأمة العربية والإسلامية هو جزء من استراتيجة غربية تقررت منذ منتصف القرن الماضى . والمعونات الممنوحة لإسرائيل أن هى الا تعبر عن هذه الاستراتيجة . ومن المفهوم أن تحاول المؤسسة الحاكمة في الولايات المتحدة أن تربط

الهجوم العراقي والمنح السخية حتى تبرزها أمام جماهيرها التي تعاني من
الازمة الاقتصادية ، ولكن ليس من المفهوم أن يردد الإعلام الحكومي هذه
الحجج الأمريكية بكل هذه التبعية التي تثير الغثيان .

عن الحرب والغزو والتواطؤ

بقلم : فيليب جلاب

١٩٩١ / ٣ / ١٤

تشرفنا للمرة الثانية خلال مأساة الخليج للدكتور فؤاد زكريا في « الأهرام »
الغراء خصصها للهجوم على جريدة « الأهالي » برغم أن الجريدة وكتابها الذين
يصفهم بأنهم من صفوة كتاب مصر ومفكرها يؤيدون الغزو العراقي للكويت
ويؤيدون نظام الرئيس صدام حسين !
ومشاكلنا مع الدكتور كثيرة سواء فيما يكتبه عن نفسه أو فيما يزعم أنه رد
على أرائنا .

لكن القاسم المشترك في كل ما يكتب هو أنه ينسب إلى نفسه أشياء غير
صحيحة يرى أنها عين الصواب ورأس الحكمة . وينسب إلينا أمورا لم نرتكبها
أو نمارسها . وهي عادة « من الأمور ظاهرة البطلان التي لا تحتاج إلى من
يفندها . لكنه يرهق نفسه أو ربما يمتعها ويرهق القراء عندما يحاول أن
يصححها بأقتدار ورسوخ قل أن تجد له نظيرا إلا إذا اختقلت إلى أحد
« الكتاتيب » .

وردت وراء « الفقيه » أن الفاعل مرفوع ، والمفعول به منصوب .
وقبل أن نبدأ رحلة الرد على الشيء ونقيضه في مقاله ، يبدو أن علينا أن
نؤكد أن جريدة « الأهالي » رفضت الغزو العراقي للكويت وطابت بالانسحاب
الفوري للقوات العراقية . وعندما وصلت القوات الأمريكية طالبنا بالانسحاب
« متزامن » للقوات العراقية والأجنبية على أن تتولى قوات عربية الفصل بين
الكويت والعراق إلخ ثم وقفنا ضد الحرب على أساس أن الجريمة لا تعالج

بجريمة أكبر .

ولو أننا كنا من أنصار الغزو العراقي لما خشينا إعلان وجهة نظرنا حتى لو غضب الدكتور . لكننا رأينا أن الحديث عن الديمقراطية والتعددية لن يكون ذا قيمة أو مصداقية إذا لم تمارسه جريدة « الأهالي » خاصة في قضية أثارت الانقسام في الوطن العربي كله وداخل كل قطر وربما داخل كل بيت . والدليل على ذلك هو أننا فتحنا صفحات « الأهالي » لكل وجهات النظر ابتداء بمن يتبنى وجهة نظر الجناح الأكثر تطرفا في حكومة الشيخ جابر . وعلى رأسهم الدكتور فؤاد زكريا الذي نشرنا مقالة دون حذف كلمة واحدة في أبرز مكان في الجريدة وهو الصفحة الأخيرة . وانتهاء بمن تعاطفوا على استحياء مع الموقف العراقي . أما الرأي الرسمي للجريدة وللغالبية للعظمى من كتابها فكان يرى أن الحرب ستدمر العراق والكويت وتترك أثارا سلبية خطيرة على الأمة العربية كلها ، وأنه من الممكن بإحكام الحصار لفترة أطول . أن يضطر الرئيس العراقي إلى الانسحاب .

وقد كشف الرئيس حسنى مبارك الذى لم يشكك أحد في موقفه الحاسم ضد الغزو العراقي في خطاب أمام مجلسى الشعب والشورى أنه كان يطالب بتأجيل الحرب ثلاثة شهور أخرى .

ومثل هذه المواقف ، التى تضع في الاعتبار مصالح الأمة كلها بما فيها مصالح الشعبين العراقي والكويتي تختلف عن مواقف أخرى قد تكون وراءها أسباب موضوعية أو نفسية أو شخصية . لكننا لم نتهم أحدا بسوء السلوك أو فساد المنهج أو الخلل الفكرى والعقلى . ورأينا أن المشكلة أخطر من أن تفسر بمثل هذا المنهج أو بادعاء احتكار الحكمة والوعى . دون الآخرين .

لكن مشكلة الدكتور فؤاد زكريا أنه قرر منذ مارس هواية الكتابة في السياسية والشئون العامة أن كل الناس مخطئون في هذا الجانب أو ذاك . وقرر أن القدر وضعه فوق قمة جبل من الحكمة والوعظ والأرشاد ليصحح ما يقع

فيه العباد من أخطاء سواء في الفكر أو في الممارسة العملية . وحتى عندما يفعل مثل الآخرين كما فعل عندما تولى رئاسة تحرير مجلة فكرية ثقافية في عهد الرئيس عبد الناصر ، استطاع بقدرة قادر أن يصعد إلى قمة الجبل بعد وفاة عبد الناصر . ويحدد في سلسلة مقالات في عهد الرئيس السادات كيف أخطأ السادات كيف أخطأ الجميع وزاغوا وفسدوا ونافقوا عبد الناصر وتواطأوا مع نظامه إلا الدكتور فؤاد زكريا . وذلك رغم أن المجلة التي كان يشرف على تحريرها كانت نموذجا لا يحتذى في « أدب » المديح والأشادة بالنظام والترحم على البطل التاريخي الذي فقدته الأمة قبل الأوان .

لم يتغير شئ في الدكتور فؤاد زكريا . وربما كانت فضيلته البارزة هي أنه يواصل دور العلم أو المرشد للشعب وللكتاب .

ربما كان الجديد في سلوكه هو أنه لم يعد متمسكا بأدب الحوار عندما يتحدث عن يسميهم صفوة كتاب ومفكرى مصر أو عندما يتحدث عن شعوب الأمة العربية . ففي مقالة الأخير يقول : « هذا لا يعدو أن يكون قصورا في التفكير أن لم أقل نفاقا .. !! أما بالنسبة للجماهير في بلادنا فهي « في حاجة إلى توجيه وتوعيه .. » أما بالنسبة للناس عموما فيقول : « إن الناس لم يعتادوا إمعان التفكير فيما يقولون ، وإلا لما ظل أحد منهم يرد هذه الحجة المتهافنة .. »

والوحيد الذي لا يقع فيما يقع فيه الناس ويمعن التفكير ولا يردد الحجة المتهافنة هو الدكتور فؤاد زكريا ، إما لأنه ليس من الناس أو لأنه من بين صنف خاص غير مألوف من .. الناس !

وبهذا المنهج العلمي والتواضع والأمانة يخصص الدكتور فؤاد زكريا مقاله لمناقشة عدد ٢٠ فبراير من « الأهالي » لكى يرينا نموذجا حيا للفئة المثقفة التي اختارت مساندة الموقف العراقي .

ولك أن تتخيل أستاذا بالجامعة يدرس لطلابه الفلسفة والمنطق ومناهج البحث في جامعة عين شمس أولا ثم في الأعوام الخمسة عشر الأخيرة في جامعة

الكويت يقدم ما يسميه « تحليل المضمون » لعدد محدد من جريدة « الأهالي » دون أن ينقل فقرة واحدة من الجريدة لكي يؤكد بها وجهة نظره . وذلك رغم أن تحليل المضمون لا يعنى الاقتصار على فقرة واحدة أو مقال واحد بل يعتمد على مجمل ما تنشره الجريدة في أكثر من عدد إذا كانت القضية المطروحة استغرقت من الوقت سبعة شهور أو أكثر مثل قضية الخليج.

والأوفقا لهذا التحليل العبقري يستطيع أى تلميذ مبتدئ أن يثبت أن كل الصحف الأمريكية والبريطانية والفرنسية مؤيدة للغزو العراقي ومتواطئة مع صدام حسين . فنصف مقالات هذه الصحف كانت تطالب مثلنا بتجنب كارثة الحرب والاكتفاء بالحصار ونصفها الآخر يشجع على الحرب ويتعجلها . وبنفس المنهج يستطيع أن يثبت أن الرأي العام الأمريكى والأوربى كله وقف ضد الحرب لأن بضعة ملايين ساروا في مظاهرات تهاجم دعاة الحرب !

لكن الأستاذ الأكاديمى والمصحح العام لأخطاء البشر تجاوز ذلك كله . وقرر دون دليل واحد أن « الأهالي » كانت تشيد بالصمود العراقى . فهو يخلط بين ما ننشره نقلا عن وكالات الأنباء والأمريكية والبريطانية والفرنسية والصحف الغربية عامة وبين تعليقاتنا وآرائنا .

ثم يتجاوز الخط الفاصل بين الصدق والكذب ويقول : « ربما ذهبت (الصحيفة) في بعض الأوقات إلى حد لاحظ أن خط جريدة « الأهالي » كان يرجح أن القتال سيقع في الخليج وأن الانتصار لن يكون في جانب العراق .

هل هناك شئ اسمه « ربما » في تحليل المضمون أيها الأستاذ ؟ ألم تقرأ ما قلناه أكثر من مرة إن صدام حسين طاغية ولا أحد يراهن على بلد محاصر وعلى ما سيصيب الأمة كلها بسبب كارثة الحرب ؟

لكن يبدو أن مثل هذه الآراء التي نشرناها لا تدخل تحت باب تحليل المضمون وإلا ما جدوى كتابة المقال من البداية ؟ وما هو الدرس الجديد الذى سيعلمه لنا الدكتور ومعنا بقية شعوب ومثقفى الأمة العربى التعسة؟

ثم يتحدث عن أن البعض في الأهالي يتحدثون عن تجاوز القوات المتحالفة لهدفها الأصلي وهو تحرير الكويت إلى هدف آخر هو تدمير العراق. ولعله يعنينا بذلك . وقبل أن يسخف هذا الرأي يسجل أن الألم يعتصرها كلما رأى مدنيا عراقيا يتألم « منتهى الرقة القومية ! » لكن الذين قالوا بذلك هم قصار النظر (من جريدة الأهالي !) . ألم يعرف أن الذين قالوا ذلك هم بعض الذين وافقوا قرار الحرب ضد العراق وهم الاتحاد السوفييتي والصين وإيطاليا وإلى حد ما فرنسا إلى جانب الهند ودول أخرى عديدة؟ هل هم متواطئون أيضا مع صدام حسين ؟ كنا نقول أيها السيد إن عقاب صدام حسين لن يكون بعقاب الشعب والجيش العراقيين والشعب الكويتي وتدمير ما يساوي مئات المليارات من ثرواتهم . وكنا نخشى أن يعاقب الشعب ويقتل من بينه مئات الألوف .. ثم يبقى صدام حسين .

وهو ما حدث حتى كتابة هذه السطور .

وحتى لو كان عقاب صدام حسين شخصيا يستلزم عقاب مئات الألوف من العراقيين وتدمير العراق نفسه هذا عقاب عادل ؟

المرّة الوحيدة التي انتزع فيها الدكتور فؤاد زكريا بضع كلمات جاءت في « الأهالي » هي التي رد فيها على رسالة بعثت بها الدكتورة نوال السعداوى من لندن عندما كانت عضوا في وفد نسائي عالمي يحاول الدعوة إلى تجنب حرب مدمرة في الخليج . ومن بين الوفد سيدات أمريكيات على رأسهن السيدة مارجريت بابلانديو . ذكرت الدكتورة أن سيدة إسرائيلية متحمسة للحرب ولتحرير الكويت حاولت التشويش على وفد السيدات فردت نوال السعداوى بسؤال يقول : ولماذا لا تنسحب إسرائيل من الأراضي الفلسطينية ؟

ثار الدكتور بسبب عجز الإسرائيلية عن الرد . وقال إنه يضع نفسه موضع السيدة الإسرائيلية ويرد ردا يفحم الدكتورة نوال السعداوى : ثم رد يثير التساؤل حول قدرة الدكتور على تفنيد « الحجة العربية المتهافئة » التي ترى أنه

ليس من حق إسرائيل أن تدعى الدفاع عن حرية أى شعب بينما هى تحتل أراضى ثلاث دول عربية .

ولأننى لست إسرائيليا وصهيونيا فلا أجد لدى القدرة على التعبير عن الإعجاب بحصاف وموضوعية وحياد الدكتور فؤاد زكريا .

أما حكاية الكيل بمكيالين من جانب الهيئات الدولية أو الولايات المتحدة الأمريكية فهو يرى أن استخدامها من جانب المثقفين فى الأهالى « أو غيرها هى كارثة ، لأن ذلك يعنى أن العراق تصرف مثل إسرائيل .

وهو منطق غير متسق من جانب مؤيدى العراق ! هو يفترض أن كل من يطالب بالعدل إزاء الشعب الفلسطينى لابد أن يكون مؤيدا للعراق . وكل من يتم الولايات المتحدة الأمريكية بأنها تفرق فى المعاملة بين معتد وآخر إنما يسىء إلى العراق .

نحن أيها السيد الدكتور لا نخشى من أن نسى إلى العراق إذا أثرنا ضرورة معاملة العدوان الإسرائيلى مثل العدوان العراقى . ونحن لم نخترع هذه الحجة للأسف فقد ذكرها كتاب ومعلقون وسياسيون غربيون كبار من بينهم بعض كبار المسؤولين فى الغرب . وقد كانت الحجة من القوة بحيث أكد كل زعماء الغرب أن العدل سىأخذ مجراه لكن ليس قبل إخراج صدام حسين من الكويت . أما موقفك فهو مدهش لأن رأيك فى المقال المذكور هو أن الهيئات الدولية والغرب لا تكيل بمكيالين لأن الجريمة العراقية تختلف عن الجريمة الإسرائيلية فالأولى جريمة قتل تستحق الأعدام كما تقول والثانية الإسرائيلية جريمة نشل (كيس نقود) تستحق ستة شهور فقط .

من الذى سيشكرك على هذا الدفاع المجيد هذه المرة . ونرجو أن يكون النشال قد قرأ ترجمة عبرية للمقال !

أما آخر ما اتحفنا به الدكتور الذى يرسل مقالاته « للأهالى » أحيانا منتقدا الصحف القومية وترسل مقالاته أحيانا إلى صحيفة قومية مشهرا بالأهالى فهو

أنه نشر في « الأهالي » مقالا منذ شهور يدافع فيه عن أن اليسار كفكر ومبدأ سيظل حيا . وهو يقول أنه مازال مؤمنا بذلك لكنه بالقطع لم يكن يقصد « هذا » اليسار في صحيفته دفاعا عنه !

نحن أيضا كنا نعرف ذلك ونسعد به ويشرفنا كثيرا . وقد نشرنا مقالاً احتراماً لحرية الرأي ، فمن حقك تماماً أن تؤكد في جريدة اليسار المصرية أن اليسار الذي سيظل حيا هو « اليسار » الخليجي عامة والكويتي خاصة ، وكل « ميسر » لما خلق له !

خطاب في الكفر والظلم

الأستاذ فهمي هويدي

الأهرام ٢٣ / ١١ / ١٩٩١

خلقت لنا أزمة الخليج « الغاما » فكرية تحتاج إلى « تحالف » من نوع آخر لابطال مفعولهما على وجه السرعة . ولست أعرف من يوسعه حصر تلك الألغام المبتوثة على مختلف الجبهات ، حتى يمكن تخليص الوعي العربي من تشوهات جسيمة تهدده ، (حسبنا نزف الجسم وتمزق الأوصال !) — لكن المرء لا يستطيع أن يغض الطرف عن لغمين كبيرين ظهرا في الساحة الإسلامية ، احدهما فجر قضية « الكفر » والثاني هون من روع « الظلم » .

فمنذ ظهرت القوات الأجنبية في المنطقة ، عقب احتلال العراق للكويت ، والحديث متواتر في الساحة الإسلامية عن ضرورة مواجهة « الكفار » وحرمة الاستعانة بهم . وهو حديث صداه الواسع بين عامة المسلمين ، الأمر الذي وظفته الأبواق العراقية إلى أبعد مدى .

ولا يستطيع المرء أن يحصى الكتابات التي تناولت الموضوع من تلك الزاوية لكثرتها ، لكننا قد لا نبالغ إذا قلنا أن الأغلبية الساحقة من المطبوعات والأدبيات الإسلامية التي صدرت طيلة أشهر الأزمة ، ظلت تلح على استخدام المصطلح سواء في معرض النقد لما جرى أو الدفاع عما جرى . الأمر الذي رسخ

الكلمة في لغة الخطاب العام ، وأثار لغطاً شديداً في محافل عدة ، مثلما حدث مؤخراً في كليتي العلوم والحقوق بجامعة القاهرة .

إزاء ذلك ، فقد صار لزاماً أن يتم تحرير المسألة وتأصيلها ، حتى تضبط لغة الخطاب ولا تختلط فيه المفاهيم . وحتى لا ينقلب الحوار من أداة تفهم وتواصل إلى باب للشاق والتقاطع . فنحن عندما نخسر وحدة امتنا ، نخسر أنفسنا .

ثمة نقطة مهمة يتعين إثباتها قبل أى كلام في الموضوع ، هي أن أتباع كل عقيدة دينية يعتبرون أنفسهم ملتزمين بالإيمان الصحيح ، بينما غيرهم خارج عن دائرة الإيمان . ذلك حاصل عند المسلمين والمسيحيين واليهود ، بل حاصل أحياناً في داخل العقيدة الواحدة بين المذاهب الدينية المختلفة فهم كفار حيناً وهراطقة في حين آخر ، إذا كان اختلافهم في أصول الاعتقاد .
ليس كلهم كفارا

وللأنبا شنودة ، بطريرك الأقباط الحالي ، مقالة حول « اتحاد الكنائس » كتبها عندما كان أسقفًا للتعليم في الكنيسة المصرية ، ونشرتها مجلة « مدارس الأحد » - (أبريل ١٩٥١) .

في مقالته تلك ، ذكر الأنبا شنودة ، أننا لا نؤمن بتعدد الكنائس ، وفي قانون الإيمان أن « ثمة كنيسة واحدة ، جامعة رسولية ، لا إيمان واعتقاد واحد .. والذين لا يؤمنون بإيمانها الواحد ليسوا منها ، وإنما هم خارجون عليها ، واصطلح على تسميتهم بأنهم هراطقة » - وذكر أنه لا يليق بممثل الكنيسة المرقسية (في مصر) أن يشترك في اجتماع ديني تحت رئاسة أحد الخارجين عن الإيمان الصحيح .

هكذا ، ففي الخطاب العقيدى يصنف الآخر ، المغاير في أصول الاعتقاد ، باعتباره واقفاً في مربع الكفر أو الهرطقة . ونحن هنا نقرر الحاصل . بصرف النظر عن المخطئ أو المصيب ، إذ نحن هنا في مجال الرصد وليس التقييم .

وفي القرآن الكريم نص صريح في هذا غير أن ثمة أمرا بالغ الأهمية هنا هو أن الإسلام اعترف بالأنبياء الذين سبقوا سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام ، واعتبر أن التصديق بهم جزء من سلامة إيمان المسلم ، لكن القرآن ارتأى أن الاتباع حرفوا الرسائل التي حملها أولئك الأنبياء ، غير أن ذلك ظل اعترافا وتصديقا من جانب واحد ، أي من جانب المسلمين وحدهم . وعندما أصدر المجمع المقدس بالفاتيكان تصريحه بشأن الدين الإسلامي ، للمرة الأولى في سنة ٦٥ ، فإن البيان الصادر في ذلك الصدد أعرب عن تقديره للمسلمين ولدينهم ، ودعا إلى نسيان الماضي وإلى التعايش والمحبة بين المسيحيين والمسلمين ، لكنه لم يشر إلى النبي محمد ، ولا اعتبر الإسلام رسالة سماوية . وبالتالي فقد اعتبر التصريح خطوة متقدمة على صعيد التفاهم بين أتباع الدينين حقا ، لكنه كان بيانا عمليا وليس إعلانا دينيا .

في الوقت ذاته فإن أهل العالم المسلمين من سعى إلى ضبط التعامل مع مصطلح الكفر المنسوب إلى الآخرين . وكتب الشيخ محمود شلتوت ، شيخ الأزهر الأسبق ، كلاما نفيسا في هذا الصدد ، تحت عنوان « الحد الفاصل بين الإسلام والكفر » - قال فيه ، أن من لم يؤمن بعقائد الإسلام وأصوله ، لا يعد كافرا إلا إذا انكر تلك العقائد « بعد أن بلغته على وجهه الصحيح ، واقتنع بها فيما بينها بين نفسه ، ولكن أبى أن يعتنقها ويشهد بها عنادا واستكبارا ... فإن لم تبلغه تلك العقائد أو بلغته بصورة منفرة ، أو صورة صحيحة ، ولم يكن من أهل النظر ، أو كل من أهل النظر ولم يوفق إليها ، وظل ينظر ويفكر طلبا للحق ، حتى إدركه الموت أثناء نظره فإنه لا يكن كافرا يستحق الخلود في النار عند الله » .

بناء على ذلك . قرر الشيخ شلتوت أنه من هنا كانت الشعوب النائية التي لم تصل إليها عقيدة الإسلام ، أو وصلت إليها بصورة سيئة منفرة ، أو لم يفقهوا حجته مع اجتهداهم في بحثها - بمناجاة من العقاب الأخرى للكافرين . ولا

يطلق عليهم اسم الكفر - (الإسلام عقيدة وشريعة - ١٩ و ٢٠) .

إن الشيخ شلتوت في فتواه تلك ، يخرج الآخرين من دائرة الكفر عند الله في ظروف معينة ، ولا يعتبر مجرد انكارهم للإسلام أو مغايراتهم له مبررا لاطلاق تلك الصفة عليهم .

في خط مواز لذلك ، فإن الدكتور يوسف القرضاوى أثار نقاشا أخرى في صدد تحديد الموقف العقيدى من غير المسلمين . فنبه الجميع إلى أن « اختلاف الناس في الدين واقع بمشيئة الله سبحانه وتعالى . الذى منح هذا النوع من خلقه الحرية والاختيار فيما يفعل ويدع (فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر) - (الكهف ٢٩) - ثم أن الله له حكمته في ذلك الاختلاف (ولو شاء ربك لجعل الناس أم واحدة ، ولا يزالون مختلفين) - (هود ١١٨) - (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ٩ - (يونس ٩٩) .

تخليط لا يجوز

بناء على ذلك قرر الشيخ القرضاوى أن المسلم « ليس مكلفا أن يحاسب الكافرين على كفرهم .. فهذا ليس له ، وليس موعده هذه الدنيا . إنما حسابهم إلى الله يوم الحساب (وأن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون . الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون) - (الحج ٦٨ و ٦٩) - [غير المسلمين في المجتمع الإسلامى ص ٥١ و ٥٢] .

إننا نذهب إلى استخدام وصف الكفر على الآخرين في الخطاب السياسى الإسلامى هو خطأ جسيم من الناحيتين العلمية والسياسية . نستند في ذلك إلى قائمة من الحجج والحيثيات هي :

١ - إن ذلك من قبيل التخليط الذى لا يجوز بمقتضاه أن يوضح المصطلح في غير مكانه الصحيح . إذ الكفر حكم عقيدى . وليس تشريعيا . وبالتالي فهو من مفردات الخطاب الإيمانى ، ولا مكان له في الخطاب السياسى . مثل ذلك

التخليط وقع فيه الذين استخدموا مصطلح « حزب الله » - المعنى به جماعة المؤمنين في القرآن الكريم - في الأداء السياسى الراهن ، فصرنا جميعا أعضاء في حزب الشيطان !

٢ - إن الله سبحانه وتعالى الذى وصف المخالفين لعقيدة التوحيد بالكفر في القرآن ، وهو الذى اعتبرهم أهل كتاب في مواضع عدة من القرآن ، ودعا إلى البر بهم . ولو شاء لأطلق عليهم صفة الكفر في كل موضع . الأمر الذى له دلالة في التفرقة بين حكم في مواجهة الله ، وأطار لعلاقة الناس بالناس .

٣ - إن حقوق الإنسان في الإسلام لا علاقة لها بمسألة الاعتقاد ، وإنما هي مرتبطة بمبدأ الانتماء الإنسانى . حيث الكرامة في الإسلام لكل « بنى آدم » . وعلى ذلك فالحق والواجب وسائر أمور المعاملات لا علاقة لها بإسلام المرء أو كفره .

٤ - إن المساواة القانونية بين البشر تمثل أحد العناصر الأساسية في المبادئ الدستورية والإسلامية . باتفاق الباحثين فرب الجميع واحد ، وأبوهم واحد . والكل لادم وادم من تراب ، كما تقول الأحاديث التى تؤكد عل وحدة الأصل الإنسانى ، وتعتبر ذلك الأصل سابقا على الحالة العقيدية . والتفاضل بين الناس على أساس التقوى ، الذى أشير إليه في الخطاب القرآنى والنبوى ، هو شأن يتحقق أمام الله في الآخرة لا بين الناس في الدنيا ، أن أقحام مصطلح الكفر في الخطاب السياسى الذى شاع أبان أزمة الخليج ، هو من قبيل استخدام الأسلحة غير المشروعة في المعارك ، باعتبار أن الأفكار السامة لا تختلف كثيرا في الأثر عن الغازات السامة . فهذه تشوه العقل وتلك تشوه الجسم .

ابن تيمية « التقديمى » .

استخدام ورقة الكفر في الخطاب السياسى أثناء الأزمة لم يستهدف فقط استئثاره المشاعر الإسلامية ضد قوات التحالف الغربى - ونحن بالمناسبة نعارض وجود هذه القوات لأسباب سياسية وليست عقيدية - وإنما أريد به

أيضا أقامة نوع من المفاضلة بين طرفي المواجهة . إذ لم يختلف أحد على أن النظام العراقي موصوم بالظلم ، لكن إذا ما قورن الظلم بالكفر - في منطقهم - فشر الظلم أهون !

على الأقل فهذا ما أورده صحيفه « الشعب » (عدد ٢٦ فبراير) تحت عنوان « زعماء الحركات الإسلامية يطالبون إيران بدعم العراق » . وهو تقرير عرضت فيه الصحيفة لمذكرة قدمها بعض الرموز الإسلامية للهدف الذي أوضحه العنوان . وفي ثنايا المذكرة انتقاد للتصريحات الإيرانية التي وصفت الحرب بأنها « بين ظلمة وظلمة » وقد لفتت نظري فيه العبارة التالية : « هل يستوى العراقيون والفرنجة الصليبيون ؟ - وأن كان العراقيون ظلمة فهم بلا شك ليسوا كفرة » !

لم تقل المذكرة ، وكل الكتابات التي تناولت الموضوع من تلك الزاوية ، أنهم أعداء للأمة العربية أو إن لهم أطماعا في أرضها وثروتها ، ولكنها صاغت القضية على ذلك النحو المستغرب : كفر في مواجهة ظلم ! كان ذلك تعبيراً عن خلل منهجي آخر ، استدعى بمقتضاه حكم عقيدى آخرون ، ووضع في مقابل قضية سياسية دنيوية ولكل من الأمرين معياره وضابطه في خطاب الشرع .

حتى إذا اعتبرنا وصف الكفر من قبيل المجاز أو التبسيط في هذه حالة ، فالأمر محسوم في التفكير الإسلامي السوي وللأمام ابن تيمية رأى منير في هذا الصدد يقول فيه : « وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الاثم ، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وأن لم تشترك في أثم » .

واستشهد ابن تيمية بالقول المأثور : أن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة ، وبمقولة الإمام على بن أبى طالب ، الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام .

ثم إنتهى إلى أن «العدل نظام كل شئ . فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت ، وأن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق . ومتى لم تقم بعدل لم تقم ، وأن كان لصحابها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة (الحسبة -- ٨١) .

أن التهوين من شأن الظلم لحساب اذكاء الشعور في معركة أخرى ضد الكفر هو خطأ آخر ، لا يقبله منطق الإسلام بأي معيار . بله باب مؤد إلى تقويض أساس الشريعة التي صرح الخطاب القرآنى في مواضع عدة بأن «العدل» هو ركيزتها ورحاها .

أن النخب إذا وقعت في التخليط أو التغليب فلا بد أن نعذر الشباب ونفسح صدورنا لاحتمال اندفاعاتهم وتجاوزاتهم .

وفي الفم ماء كثير ! .

على الغرب إن يحذر الفخ الذى ينصبه رشدى :
أطراف الجدل حول « الآيات الشيطانية » تتجاهل أصول الحوار
الفكرى الإسلامى

حسن وجيه

جريدة الهوى - جامعة جورجتاون

واشنطن د. س. ٢٨ / ٢ / ١٩٩٢

لقد أثار كتاب الآيات الشيطانية لكاتبه سلمان رشدى ضجة إعلامية كبرى على مستوى وسائل الإعلام فى مختلف أنحاء العالم وخاصة فى الولايات المتحدة .. والأسباب الرئيسية التى أدت إلى هذه الضجة الإعلامية وكذلك إلى رقم ضخ من المبيعات هى اندلاع المظاهرات فى كل من الهند والباكستان للتنديد بدعوة دور النشر بالولايات المتحدة للكاتب للقيام برحلة للترويج لكتابه وكذلك مطالبة الخمينى بقتل الكاتب والاعلان عن جائزة مالية تبلغ مليوني دولار من ينفذ الحكم الذى أصدره .

إن هذا الكتاب وكاتبه لا يستحقان سوى التجاهل — من وجهة نظرنا — فهناك العديد من الذين يدعون العلم والمعرفة ويجادلون فى أمور على درجة كبيرة من الأهمية والخطورة دون علم ولا هدى وتنتشر أعمالهم فى أنحاء العالم « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » (الحج ٢٢) . إن ما يعيننا الآن هو إثارة هذا الكتاب لردود أفعال مختلفة حوله . والقضية الأساسية التى يثيرها الغربيون الآن تتمركز حول موضوع أساسى وهو « حرية التعبير والحوار وتعددية الرأى فى مواجهة ما اسموه وجهة النظر العقائدية التى ترتبط بحقيقة مطلقة واحدة » . وبأسلوب لا يشير بطبيعة الحال إلى حيوية ومبادئ الحوار الفكرى الإسلامى . ولقد احتلت هذه القضية

الصدارة من ضمن مجموعة الآراء المتشابكة التي شكلت أنماط توجهات الرأي العام الأمريكي وهي كالآتي :

١ - مجموعة الآراء التي وصفت شعور الغضب والاحباط الذي انتاب المسلمين بخصوص الكاتب والكتاب والترويج له في الغرب .

٢ - مجموعة الآراء التي جاءت كرد فعل لمجموعة الآراء الأولى والتي عبرت عن الحيرة والتعجب لدى الغرب فيما يتعلق بما يصفونه على كونه «حساسية مُفرطة من قبل المسلمين تجاه عمل أدبي ليس أكثر ولا أقل» .

٣ - مجموعة الآراء التي جاءت كرد فعل لمجموعة الآراء الثانية والتي أدانت توقيع العقاب على كاتب قد عبر عن رأيه في عمل فني . وتستند هذه الآراء على أن حرية الرأي والتعبير عنه بأى شكل من الأشكال بُعد على قائمة نظام القيم الغربي . ولقد لعب سلمان رشدي على هذا الوتر عندما ذكر في برنامج (ABC) (Nightline) بتاريخ ١٣ فبراير ١٩٨٩ « إننا يجب أن نتحدى هؤلاء الناس فيما يذهبون إليه من فكر ... فهم جماعة تؤمن بحقيقية واحدة وتريد من الجميع الانصياع إليها في وقت ثبت فيه عدم التأكد من الكثير من الأمور علمياً » .

٤ - مجموعة الآراء التي تعكس وجهة النظر القائلة بأن الغضب من قبل المسلمين فيما يتعلق بمحتوى كتاب « النصوص الشيطانية » نشرها في الغرب ما هو إلا تعبير عن التوتر المزمّن بين العالم الإسلامي والغرب والذي يرجع تاريخياً إلى زمن العصور الوسطى .

٥ - مجموعة الآراء القائلة بأن رواية « النصوص الشيطانية » ما هي إلا عمل أدبي ولا يمكن اعتبارها إساءة للإسلام أو للنبي صلى الله عليه وسلم ، وسيرة حياته وتتضمن مجموعة الآراء هذه إدعاءات تقول بأن عدم معرفة المسلمين بأدب القصص الخيالي يسبب لهم عدم الوضوح في معرفة أهداف ومضمون هذا النوع من الأدب .

وأسوأ من ذلك هو أن رشدى ومؤيديه قد تمكنوا من إدراج رواية «النصوص الشيطانية» خلصة في إطار نمط الحوار الدائر والشائك بين الإسلاميين والعلمانيين والذي يتعلق أساساً من عزل العلمانيين للدين عن الحياة العامة والسياسية وقصره على الحياة الخاصة للأفراد في مقابل وجهة النظر الإسلامية بأن الإسلام هو خاتم الرسالات السماوية للإنسانية وأنه يشتمل على نظام شامل ومفصل من قبل الله سبحانه وتعالى وبه ما يكفى لوصف أفضل صور التعامل ومنطقاته تمثل الطريق السليم لحل المشاكل وبالتالي يجب تنفيذه لخير البشر وخلاصهم .

كذلك استطاع رشدى ومؤيديه من مجموعة الأحاديث والمقالات في وسائل الاعلام أن يقوموا بتغذية ذلك النمط المقلوب المألوف في الغرب والذي يسىء إلى حقيقة الإسلام ويصف المسلمين بأنهم مجموعة من الإرهابيين والمعادين للمسيح (عليه السلام) وبأنهم مجموعة من المنغلطين والمنغلقيين فكرياً ومعارضين للغرب الذي يتسم بالتسامح الذي تحكمه قواعد الديمقراطية والحرية والتعقل .

وقد حاول سلمان رشدى بطريقة « شيطانية » أن يستغل ديناميكيات نمط الحوار الدائر بين الإسلاميين والعلمانيين من ناحية ونمط الحوار المعادى للإسلام في الغرب من ناحية أخرى لاجتذاب أكبر قدر من المؤيدين لما ذهب إليه من المعسكرين على السواء . ولكن رشدى قد نسى من محاولته لوضع كتابه في إطار قضية « حرية الحوار والفكر » أن كل الباحثين ذوى الأمانة العلمية من المسلمين وغير المسلمين يدركون الفرق الكبير بين الحوار الفكري والنقد الموضوعى وبين الاتهامات والسب العلنى وتزوير الحقيقة .

كذلك فإن محاولة لتصوير الأشكال الحالى على كونه مثل حى لذلك التقيد التقليدى الذي يزعم أن الإسلام يحجر على حرية الرأى والحوار لن

يتقبلها كل من يعرف حقيقة الإسلام من المنصفين الذين يعلمون أن الإسلام دين ودعوة للتعقل وبالتالي فإن حرية الرأي والتقد الموضوعي الملتزم من أهم ما يميز الإسلام وليس أشهد على ذلك أكثر من الحقيقة التاريخية لما كان يجرى في المراكز الحضارية الإسلامية في القاهرة ودمشق وبغداد والأندلس في ذروة عهد الأمة الإسلامية التي شاهدت العديد من المنازلات الفكرية بين المسلمين والمسيحيين واليهود من ناحية أخرى ودون المساس بمبدأ حرية الرأي والتعبير والاختلاف وفي ظل من التسامح الكبير ، الذى يقره المؤرخون من المسلمين وغير المسلمين .

لقد اتخذ رشدى من العمل الأدبي قناع ووسيلة لتزوير وسب الإسلام . وكفيينا هنا بعض الأمثلة البسيطة فلقد وصف رشدى النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - بكلمة « ما هو ن » وهي تعنى كلمة شيطان .. كذلك وصف إبراهيم ، عليه السلام ، بأنه « القيط » . وفى هذا ما يمثل إهانة للمسيحيين واليهود بقدر ما يمثل إهانة للمسلمين . وبالرغم من أن هذه الإهانات وذلك السب يتم فى سياق شخصيات يتم تصويرها من خلال حلم إلا أن هذا الحلم ما هو إلا وسيلة الكاتب لتزييف الحقائق التاريخية التى تم تسجيلها بعد تمحيص وبحث من قبل المؤرخين والعلماء المسلمين وغير المسلمين على السواء .

والآن فإذا ما قال سلمان رشدى إن ما عقد العزم عليه هو أن يتحدى المسلمين فكرياً وإن عمله هذا ليس سوى البداية ، فهنا نسال وأي بداية هذه! وأي صلة لها بمفهوم المنازلة الفكرية بمعناها الحقيقي؟

إن أى عمل يكون أساسه الأمانة والأسلوب العلمى السليم لا بد وأن يحترم من كل ذى عقل سوى ، ولكن إذا كان العمل مبنياً على التزوير والسب فيجب المطالبة باقصائه من نطاق البحث العلمى الملتزم المبني على الأصول العلمية المتعارف عليها وإدانة من يقوم به .

إن رواية رشدى « الشائنة » تثير في الواقع أمر المسؤولية القانونية من المنظورين الإسلامي والغربي .

فالقانون الإسلامي يمنع بوضوح تصوير الأنبياء من إبراهيم إلى محمد - عليهم السلام - كشخصيات في الأعمال الأدبية أو السينمائية . والفكرة هي تجنب أن يحدث مخالفات تتعلق بسيرة هؤلاء الرسل ورسالاتهم لما في ذلك من قدسية خاصة . إن هذا المنطلق الإسلامي القانوني يوضح أيضاً سبب إعتراض الكثير من المسلمين على فيلم « الأغراء الأخير للمسيح » الذي عُرض في الولايات المتحدة وأوروبا في صيف ١٩٨٨ وقوبل بالمظاهرات من قبل المسلمين في لندن في ذلك الوقت . أما فيما يتعلق بوجهة النظر القانونية الغربية فإن رواية رشدى وكذلك تصريحاته في المقابلات التي أجريت معه للدفاع عن روايته تحتوى أدلة قاطعة على أنه قد قام بالسب والتشهير .

ضد المسلمين Legal libel & slander

إنه بالإضافة إلى الاجراءات القانونية التي يجب أن تُتخذ فإننا ندعو إلى إدانة رواية رشدى ومثلها من منطلق وضع الحد الفاصل والحاسم بين الحق العلمى والأدبى الجاد والملتزم والخلق وبين التشهير والسب .

خطاب الخروج من المأزق الأستاذ فهمى هويدى

الأهرام ٨ / ١ / ١٩٩١

الاحباط الذى أصابنا فى سنة ٩٠ لم يكن سياسيا فقط ، لكنه كان ثقافيا أيضا . الأمر الذى يعنى أن الأزمة أعمق بكثير مما يبدو على السطح ، إذ هى تتجاوز الأنظمة والممارسات السياسية ، إلى وعى وعقل النخبة المثقفة .

فعندما نسال فى خواتيم العام ، ونحن واقفون بباب القرن الحادى والعشرين : إلى أي شىء ندعو الناس ؟ وما اطارنا المرجعى ؟ وما معاييرنا ومقاييسنا ؟ ثم ما هى مبادئنا ؟ .. عندما نلقى بهذه الأسئلة دفعة واحدة ، فمعنى ذلك أن الالتباس وصل إلى منتهاه ، حتى لم يعد هناك شىء واضح فى حياتنا . وبالتالي فعلينا أن نبدأ من الصفر ، لنحدد من نحن وماذا نريد وإلى أين نسير ...

لقد نقلت هذ الأسئلة من سياق مقال مطول لرئيس قسم الفلسفة بجامعة القاهرة ، الدكتور حسن حنفى ، نشره « الأهرام » فى ٢١ نوفمبر الماضى ، تحت عنوان « خطاب إلى الأجيال القادمة » ، عرض فيه لخبرات الماضى واحباطاته فى كل اتجاه ، وكان بمثابة رسالة اعتذار عن الماضى ، ويأس من الحاضر ، واستقالة من المستقبل .

ورغم أن المقال يظل فى نهاية المطاف تعبيرا عن رؤية شخصية لكاتبه ، فإننى ازعم أنه أيضا عاكس لحالة البلبلة الشديدة التى تعانى منها النخب الثقافية العربية ، باختلاف توجهاتها الفكرية والسياسية .

هكذا ، فبينما برز الحسم واضحا فى الاختيار الحضارى على الجانب الغربى ، حتى ذهب من ذهب إلى أن الانتصار الساحق للمشروع الليبرالى هو نهاية الصراع الفكرى ومن ثم « نهاية التاريخ » ، بينما حدث ذلك عندهم ، فإننا

تابعنا على فترات متفاوتة من العام آيات الحيرة واصدائها ، التي عبرت عنها مختلف الرموز الثقافية في مصر . ولأن المقام لا يحتمل عرضا مختلف صور الخطاب التي صدرت في هذا الصدد ، فإننا سنكتفى بالوقوف أمام نموذجين أحدهما يجسد المشكلة ، والثاني يمثل اجتهدا في حلها .

خطاب المشكلة هو الذى أشرنا إليه توا للدكتور حسن حنفى ، أما اجتهد الحل فإن النموذج الذى اخترناه له هو مقال بعنوان « الخيار الليبرالى والاستقرار السياسى » ، للأستاذ السيد يسين ، الذى كان مديرا لمركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام ، وقت نشر المقال فى الثانى والعشرين من يونيو الماضى .

النموذج الآخر الذى تخيرناه لمدير مركز الدراسات الاستراتيجية واعتبرناه بمثابة اجتهد فى حل المشكلة ، رفض مختلف الخيارات السياسية المطروحة فى الساحة ، قائلا : هؤلاء الذين يدعون أن الإسلام هو الحل ، والذين ينادون بأسلمة كل شىء ، الاقتصاد من خلال شركات توظيف الأموال ، والسياسة من خلال الدعوة إلى الشورى والخلافة ، والاجتماع من خلال اعتقال المرأة التى هى نصف المجتمع فى البيت . وفى العلوم بانشاء علوم طبيعية إسلامية وكذلك علوم اجتماعية إسلامية ، ردا على العلوم «الكافرة» التى انتجها الغرب. هذا الخيار الإسلامى الذى يرفع الإسلام كشعار غامض ، مرفوض مهما تصاعدت صيحات أنصاره .

« .. إن انصار السلطوية السياسية ، ممن يرفضون التعددية السياسية ، ويتحدثون عن التأميم والتخطيط المركزى بمفاهيم الستينيات ، فإن خيارهم السياسى غير واقعى ، ولا علاقة له بما يحدث فى العالم .

أما انصار الليبرالية المطلقة ، فقد اثبتوا تخلفهم عن متابعة التطورات داخل النظرية الليبرالية الغربية ذاتها !-

يبقى خيار ، هو الليبرالية الاجتماعية ان صح التعبير ، والتي تؤلف تأليفا خلافا بين الحرية والسياسية والعدالة الاجتماعية في ظل دولة قوية تمتلك مفاتيح قيادة التطور الاجتماعى وترشيده . دولة تسمح بمجتمع مدنى قوى ولا تخاف منه ، بل تشجعه وتدفعه إلى النمو » . انتهى .

أيضا فهذا الذى بين أيدينا مجرد اجتهاد شخصى ، لكننا بدورنا نذهب إلى أنه تعبير عن تيار فكرى قائم في الساحة العربية ، قد يختلف في حجمه ، لكن لا أحد ينكر أنه موجود ومؤثر في بعض المواقع والمنابر . وخطابه الذى يثبت الأزمة ولا يحلها ، ويعمق الحيرة ولا يبددها - لماذا ؟

قبل أن نجيب ، فإننا نسجل أننا لسنا في مقام الدفاع عن كل الذين يرفعون شعار « الإسلام هو الحل » ، ونذهب إلى أن قطاعا لا يستهان به منهم يمثل جزءا من الأزمة ، لكننا معنيون أكثر بالحقيقة الإسلامية في ذاتها ، وباسهام الإسلام الذى ينبغى ألا ينكر في مشروع الأمة .

في اجابتنا ستمسك بالخيط من أوله . من خطاب الاحباط واليأس ، الذى وجهه الدكتور حسن حنفى ليس أخطر ما في الخطاب الناحية الحضارية هو اليأس الذى يقطر من أسطره وفقراته ، ولا هو التخليط الذى بدأ في حيثياته بين المبادئ وتطبيقاتها ، أو بين مشروعات مارست السلطة والحكم ، وأخرى ظلت مطاردة في الشارع السياسى ، أو بين فشل الأنظمة وفشل الجماهير ، ومن ثم الأمة ، ولكن الأخطر هو ذلك التعبير عن افتقاد ما قد نسيمه بالمرجعية الفكرية .

إذ نحن بصدد حالة تية مطلق ، يتحرك فيها المرء بين الفراغ والظلام . فلا أرض يقف عليها ، ولا قيمة يحتكم إليها ، ولا « بوصلة » يهتدى بها !

طوق النجاة الذى عرضه صاحب الخطاب الثانى تمثل فيما اسماه بالليبرالية الاجتماعية ، التى هى بمثابة توفيق بين الليبرالية الغربية والاشتراكية ، كما أشار في مستهل خطابه .

ولابد أن يدهش أي باحث جاد ازاء المنهج الذى تعامل به الباحث مع الخيار الإسلامى ، وكيف أنه قام بتسفيهه بأسلوب هو أقرب إلى لغة الاستشراق المبكر (القرن السادس عشر) ، التى تجاوزها بعض المعاصرين منهم .

ولابد أن يدهش المرء أيضا ازاء حرص الكاتب على التماس الاعذار عن الخطايا التى مورست باسم الليبرالية فى مصر ، وقوله : إننا اقتبسنا أفكارها ، ربما بصورة انتقائية ، لم تعبر تعبيرا دقيقا عن الظلال المتعددة فى صورتها الأصلية . وفى الوقت ذاته فإنه يصر على ادانة الخيار الإسلامى ، بعد أن عدد بعض السخافات المنسوبة إليه ، دون أن يبذل جهدا فى التعرف على ما إذا كانت تلك السخافات لا « تعبر تعبيرا دقيقا » عن قيم الإسلام فيبرثها منها كما برا الليبرالية ، أم أنها هى الإسلام بالفعل ، فيختلف التقدير .

مع ذلك فأمثال تلك الملاحظات ليست هى أخطر ما فى الحل المقترح للمشكلة ، إنما الاخطر هو ذلك الاستبعاد الكلى لدور الإسلام فى مشروع النهضة . وكأنه ليس فى قيم الإسلام وتعاليمه ، أو فى تجربته العريضة وحضارته العظيمة ، فضيلة واحدة يمكن أن تنضاف إلى الليبرالية الاجتماعية .

وهذه هى المشكلة التى أشرنا إليها ، واعتبرناها حلا يعمق الحيرة ولا يبيدها .

وهى جوهر ما نريد أن نتحدث عنه ، باعتبارها لب أزمة المشروع الحضارى للأمة . فأى مشروع للنهضة فى بلادنا يلغى الإسلام ويستبعده هو مشروع منفصل عن ضمير الأمة ، ومحكوم عليه بالفشل والخسران .

حتى إذا جنبنا البعد العقيدى ، وعالجنا الموضوع من زاوية علمية مجردة ، فإننا لا نستطيع أن نتصور مشروعا لنهضة أمة منفصلا عن أهم العناصر المكونة لهذه الأمة ، سواء أعجبنا تلك العناصر أم لم تعجبنا .

بالتالى فإن السؤال الذى ينبغى أن يدور حوله حوار المخلصين من أبناء

الامة ليس موضوعه بالتاكيد هو الابقاء على الإسلام أو نفيه ، ولكنه يجب أن ينصب على الكيفية التى يمكن أن يوظف بها الإسلام لخدمة تقدم هذه الامة ونهضتها .

نعم .. إن هذا الحوار حول هذا الموضوع يصطدم بالصراع المحتوم بين فصائل العلمانيين والإسلاميين ، التى تصر كل فصيلة فيهما على أن تنفى الأخرى . وهو صراع بدا الآن متخلفا عن لغة العصر ، فضلا عن كونه مصدر اضرار دائم بمسيرة العمل العام . ولسنا أول القائلين بأن الذين يتصدون للتبشير بمشروع للمستقبل يفقدون مصداقيتهم وجدراتهم ، إذا ما أقاموا مشروعاتهم على أساس من استبعاد أي عنصر أو مكون للامة . ولكن المشروع إذا ما قام على احتواء مختلف العناصر والقوى ، واستخلاص ما لديها من مدد ايجابى ، يشكل عوناً على التقدم وزاداً للنهضة .

لقد أن الأوان لكى تبحث مختلف التيارات الموجودة في الساحة عن نقاط الاشتراك واللقاء فيما بينها ، وان يتجاوز كل طرف حدود الخندق الذى بناه لنفسه واعتصم به ، ومضى يرشق منه الآخر . وإذا ما انفتح باب البحث عن المشترك ، وقرر الجميع أن يلتحقوا بلغة العصر ومجرى التاريخ ، فسوف يكتشفون أن ثمة امكانا للالتقاء حول العديد من القيم والقضايا الأساسية ، التى لا مجال فيها لأى خلاف في المرحلة الراهنة . بدءاً بالديمقراطية وما تستتبعه من ضمانات للحرية والتزام بالتعددية واحترام حقوق الإنسان ، وانتهاء بالعدالة الاجتماعية والتنمية والاقتصادية ، ومروراً بالتححر السياسى والثقافى .

بوسع الإسلاميين أن يقولوا هذه بضاعتنا ، وبوسع الليبراليين أن يقولوا كلاماً مماثلاً ، لكننى أحسب الأمر ليس منافسة في الملكية أو الفضل بين جماعة وأخرى ، وأن التعامل المسئول مع الموقف يقتضى أن يوجه المتنافسون

طاقاتهم للدفاع عن تلك القيم وليس رفع اللافتات فوقها. والإسلام الذى نعرف هو قيم ومقاصد ، قبل أن يكون رايات ترفع وطقوسا تؤدى أو حتى سلطة تحكم !

أدرك أن دعوة كهذه لن تلقى ترحيبا أو تأييدا ، من بعض الذين يقفون على الجانبين ، ولن تسلم من توجس الكارهين واتهام المتنطعين ، لكن سؤالنا هو : لماذا يتردد ازاءها القابلون والمتفهمون ؟ .. ثم من قال أن أى دعوة تتطلب اجماعا من عموم المستقبلين فى لحظة ميلادها ؟

المراجع العربية

أولاً : الكتب والدوريات والندوات:

- ابن الجوزى : " أخبار الأذكياء " تحقيق محمد مرسى الخولى مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٧٩.
- ابن خلدون ، الشفاء السائل لتهديب المسائل تحقيق اغناطيوس عبد خليفة اليسوعى ، بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٦.
- ابو سنة : فلسفة المثل الشعبى وزارة الثقافة دار الكتاب العربى للطباعة والنشر أول مارس ١٩٦٨.
- أبو العدوس ، يوسف : ندوة « طه حسين ومستقبل الثقافة العربية » بحث بعنوان « اشكالية الثقافة العربية المعاصرة ومشروع طه حسين رؤية عامة - جامعة القاهرة كلية الاداب ١٩٨٩ .
- الاميرى ، عمر بهاء الدين الحوار نافذة من نور المسلم المعاصر ربيع الثانى ١٣٩٥ ، أبريل ١٩٧٥ .
- أبوزيد ، نصر : " الوقائع المسجلة ندوة تحليل النص وديناميكيات لغة الحوار مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية الاهرام يناير ١٩٩١ .
- الجابرى ، محمد عابد : الخطاب العربى المعاصر ... دراسة تحليلية نقدية دار الطليعة - بيروت - الطبعة الثانية أكتوبر ١٩٨٥ .
- الجابرى ، محمد عابد : تكوين العقل العربى مركز دراسات الوحدة العربية - الطبعة الثالثة ١٩٨٨ (أول طبعة ١٩٨٤).
- الجابرى ، محمد عابد : بنية العقل العربى دراسة تحليلية نقدية لنظم

- المعرفة في الثقافة العربية . مركز دراسات الوحدة العربية (١٩٨٦) .
- الجابري ، محمد عابد : **العقل السياسي العربي** . مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت ١٩٩٠ .
- السيد يسن ومجموعة الباحثين : **تحليل مضمون الفكر القومي العربي** مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٨٢ .
- السيد يسن : **التحليل الثقافي في أزمة الخليج " مجلة المستقبل العربي "** - مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩١/٦ .
- السيد يسن : **" خطاب الازمة وازمة الخطاب المازق العربي "** منتدى الفكر العربي مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية مؤسسة الاهرام القاهرة ١٩٨٦ .
- أيوب، حسن : **السلوك الاجتماعي في الاسلام** . دار التراث العربي ، القاهرة ١٩٨٧ .
- برهان ، غليون : **اغتيال العقل العربي** ، محنة الثقافة العربية السلفية والتبعية ، بيروت : دار التنوير ١٩٨٥ .
- بدران ، ودوده **البحث الامبريقي في الدراسات السياسية** ، مركز البحوث والدراسات السياسية ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة ١٩٩١ .
- حنفي، حسن : **" قراءة النص " الهرمينوطيقا والتاويل**، مجلة الف العدد الثامن ١٩٨٨ .
- حسن - وجيه ، حسن : **" الادراك اللغوي وقضية التنمية "** مجلة صوت الدارسين المصريين بالولايات المتحدة وكندا العدد ١٤ ، العام الرابع، أكتوبر ١٩٨٤ .
- حسن - وجيه « رؤية اجتماعية وسياسية للأوضاع الراهنة بمصر » مجلة صوت الدارسين المصريين بالولايات المتحدة وكندا ، ديسمبر ١٩٨٦ .

- حسن - وجيه ، حسن : " مستقبل الصراع العربي الاسرائيلي " المجلة العربية للدراسات الدولية العدد الاول خريف ١٩٨٧ ، الجمعية العربية للدراسات الدولية بواشنطن د. س
- حسن - وجيه ، حسن « البحث الامبريقي بين فجوات علم العلاقات الدولية وتوجهات علم اللغويات . البحث الامبريقي في الدراسات السياسية تحرير د . ودوده بدران - مركز البحوث - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة ١٩٩١ .
- جابر العلواني، طه : أدب الاختلاف في الاسلام . المعهد العالي للفكر الاسلامي هيرندون - فيرجينيا ١٩٨٧ .
- قاسم، سيزا : " توالد النصوص واشباع الدلالة : تطبيق على تفسير القرار الهرمينوطيق والتأويل مجلة ألف العدد الثامن ربيع ١٩٨٨ .
- شرابي ، هشام " البنية البطركية " : بحث في المجتمع العربي المعاصر دار الطليعة بيروت ١٩٨٧ (ولقد صدر نفس الكتاب بالانجليزية - الناشر مطبعة جامعة اكسفورد - نيويورك ١٩٨٨ .
- شرابي ، هشام : مقدمات لدراسة المجتمع العربي ، بيروت الاهلية للنشر والتوزيع ١٩٨١ .
- محمد ، عبد العليم الخطاب الساداتي ، كتاب الاهالي رقم ٢٧ القاهرة ١٩٩٠
- نصر ، مارلين التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر (١٩٥٢ - ١٩٧٠) دراسة في علم المفردات والدلالة مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨١
- ثانياً : المقالات الصحفية
- إبراهيم نافع ، « محاولة فهم الغموض الأردني » الأهرام ٣٠ / ٨ / ٩٠
- أحمد نافع « قبل ضياع الفرصة » الأهرام ٢٦ / ٨ / ١٩٩٠ .
- احسان بكر « قبل ان تضيع الفرصة الاخيرة » الأهرام ١٤ / ٨ / ٩٠

- احسان بكر « ثمن الصمت .. » الأهرام ٩٠ / ٤ / ١٨
- السيد يسن ، « المثقفون العرب في مواجهة أزمة الخليج » الأهرام ٩١ / ٣ / ٨
- اسماعيل صبري ، « أكاذيب صدام » الأهرام ١٩٩٠ / ٨ / ٢٠
- أنيس منصور ، « مواقف » الأهرام ٩١ / ١٢ / ١٨
- ثروت أباطة « أقتل وبهتان » ١٩٩٢ / ١ / ٢٧
- جمال بدوي ، « لغز الملك حسين » الوفد ٩٠ / ٨ / ٢٨
- حسن حنفي ، « خطاب للأجيال القادمة » الأهرام — الحوار القومي -
٩٠ / ١١ / ٧
- حسن — وجيه « المفاوض العربي وإدارة الأزمة الراهنة » الأهرام ١٣
٩٠ / ٨ /
- حسن — وجيه ، « المحنة القومية وملف قضية لغة التخاطب » الأهرام الدولي
٩٠ / ١٠ / ١
- حسن — وجيه ، « الفكر العربي الحديث ومشكلة « لغة التخاطب العلمي »
الأهرام ٩٠ / ١١ / ١٦
- حسن — وجيه ، « التفاوض اليومي في المجتمع العربي » الأهرام ٩٠ / ١٢ / ١٤
- حسن — وجيه ، « التغيير والحوار التفاوضي في العالم العربي » « الأهرام
١٩٩١ / ١ / ٣
- حسن — وجيه ، « العقل العربي والحوار مع الآخر » الأهرام ١٩٩١ / ١٠ / ١٥
- حسن — وجيه ، « العقل العربي والحوار مع الآخر » الأهرام ١٩٩١ / ١٢ / ٦
- حسن — وجيه ، « العقل العربي والحوار مع الآخر » الأهرام ١٩٩٢ / ٢ / ١٤
- حسن — وجيه ، « أحداث موسكو وأنماط من التفاوض العربي » الأهرام
٩١ / ٩ / ٣
- حسن — وجيه ، « ديمقراطية التعليم ولغة الحوار » الأهرام الاقتصادي
١٩٩١ / ١١ / ٤

- حسن - وجيه ، حسن « على الغرب أن يحذر الفخ الذي ينصبه رشدي :
الجدال الدائر حول « الآيات الشيطانية » تجاهل أسس الحوار الفكري
الإسلامي ترجمة من الانجليزية لمقال نشرته جريدة الهويا الصادرة عن
جامعة جورج تاون واشنطن د . س بتاريخ ٢٨ / ٢ / ١٩٨٧ .
- خالد محمد خالد ، « ليست المشكلة في وجود القوات الدولية . بل الكارثة في
عنانها » الأخبار ١٢ / ٨ / ٩٠ .
- رجب البنا « عرب ١٩٩٢ » الأهرام ٢٢ / ١٢ / ٩١
- زكريا نيل ، « لماذا الخلط بين المسلمات الشرعية والقضايا الجدلية » الأهرام
٩٠ / ٩ / ٨
- زكريا نيل ، « الرموز الغامضة في لعبة الانكسار العربي » الأهرام ٨ / ١ /
١٩٩٠
- سعد الدين إبراهيم ، « مبارك و صدام ومستقبل الأمة العربية » الأهرام
٩٠ / ٨ / ١٦
- سعيد سنبل ، « خلط الأوراق » الأخبار ٢٩ / ١ / ٩١
- سعيد سنبل ، « الأزمة والصمت » الأخبار ٤ / ٩ / ٩٠
- سلامة أحمد سلامة ، « الحجج الأردنية » الأهرام ١٧ / ٩ / ٩٠
- سناء أبو الفتاح ، « أزمة وتعدي » الأخبار ٢١ / ١ / ٩١
- عباس طرابيلي ، « الصمت الملعون » الوفد ، ٢٥ / ٨ / ١٩٩٠
- عبد المنعم سعيد ، « لماذا لانفوز بكأس العالم ! » الأهرام ١٩ / ١ / ٩٠
- عبد الوهاب المسيري ، « هل صدام هو الذي ربط بين الغرب وإسرائيل »
الشعب ٢٩ / ١ / ٩١
- فهمي هويدي ، « خطاب الخروج من المأزق » الأهرام ٨ / ١ / ٩١
- فهمي هويدي ، « خطاب في الكفر والظلم » الأهرام ٢٣ / ١١ / ٩١
- فيليب جلاب ، « عن الغزو والحرب والتواطؤ » الأهرام ١٤ / ٣ / ٩١

- لطفي الخولي ، « حرب الاحرب » الأهرام ٩٠ / ١٢ / ٢٧
- محمد عابد الجابري ، « كلام .. الان فقط أصبح له معنى » . جريدة الاتحاد الاشتراكي المغربية ٩١ / ١ / ٢٧
- محمد أبو علم ، « جنهم بعده لن تطلب المزيد » الأخبار ٩١ / ٢ / ٢٠
- مراد الدسوقي ، « حرب الكلمات وكلمات الحرب » الأهرام ٩٠ / ١١ / ١٦
- مرسى عطا الله « سياسة الهروب من المواجهة ليست في مصلحة العرب » الأهرام ١٩٩٢ / ٢ / ٦
- وجيه أبو ذكري ، « إلى زعيم العالم الجديد : رفقا برعايك » الأخبار ٩١ / ١٢ / ١٣

المراجع الأجنبية

I Books

- Aly, Abdul Moneim Said, "The United States and the October 1973 Middle east Crisis", A **dissertation**, University of Illinois, Chicago, December 1982.
- Aron, Raymond, **Peace & War: A theory of International Relations**, Doubleday: garden City- N.Y. 1966.
- Ausubel ,D ., **Educational psychology . Acognitive View**, N. Y 1968 .
- Barber - James. **Presidential Character, Predicting Performance in the White House**, Prentice-Hall Inc. N.J. 1985.
- Bateson, Gregroy, **Steps to an Ecology of Mind**, Ballentine: N.Y., 1972.
- Becker, A.L. Text-building , epistemology & aethetics in javanese shadow theatre. in: **The Immagination of Reality** Edited by A.L. Beckr & Aram. Yengoyan Norwood, N.J. Ablex, 211-243, 1979.
- Bolinger, Dwight, **Pronouns in Discourse & Syntax**, Edited by Talmy givon New York: Academic Press 289-309, 1979.

- Berlson, B. **Content Analysis in Communication Research**, Free Press N.Y. 1952.
- Brown, Carl **International Politics & the Middle East**, Princeton University Press 1984.
- Brown, Gillian & Yule, George, **Discourse Analysis** Cambridge University Press: cambridge, 1983.
- Caldwell, Dan **Henry Kissinger: His personality & politics**, Duke Press Policy studies Durham, N.C. 1983.
- Coulthard, Malcolm 257-276 **An Introduction to Discourse Analysis**. London" Longmans, 1977.
- Chomsky, Noam, **Aspects of The Theory of Syntax**. The MIT Press, 1965
- , **Language & Mind**, Harcourt, Brace & World Inc., 1968.
- Dittmar, Norber. **A critical Survey of Sociolinguistics : Theory and Application**. Translated from German by Seter, S. and Peter, et al., Nortin's press: No Y. 1976.
- Dubois, F. Edellive et al **A General Rhetoric** Translated by Pone B. Burell & Edger M. Slotken, John Hopkins 1981.
- Duetsch, Karl W. **Nationalism and Social Communication: An Inquiry into Foundations of nationality**, 2nd Ed. AIT: cambridge, MA.; 1966.
- , **The Analysis of International Relations**, Prentice - Hall, inc. N.J. 1978.

- Edelman, M. **Political Language: Words that succeed and politics that Fail**, Academic Press: N.Y. 1974.
- Edelman, M. **Political Language & Political Reality** P.S., 1985.
- Edelman, M. **Politics as Symbolic Action**. Academic Press, N.Y., 1971.
- Fowler, Roger, et al **Language & control**, Routledge & Kegan Paul Ltd., London, Boston. 1979.
- Frazer Noill M. & Hipel, H. **Conflict Analysis: Models & Resolutions**, North & Holland. New York, 1984.
- Goffman, Erving. **Strategic Interaction**, University Pennsylvania Press, 1969.
- Grice, H.P. "**Presupposition & Conversational Implicature**", in Cole's ed. 1981.
- Gumperz John "Sociocultural knowledge in Conversational Inference". from Muriel Saville - Troike, ed. GURT G.U. Press, Washington D.C., 1977.
- Gumperz John, **The Social Setting of Linguistic Behavior**, In Slobin, 1967.
- Gumperz John, "**Thematic Structure & Progression in Discourse in Language and Social Identity**", Cambridge University Press, Inc. London, 1982.
- Habeeb, M. William. **Power & Tactics in International Negotiation**, the Johns Hopkins University Press:

Baltimore, Maryland, 1988.

Hassan, Wageih, H. "A linguistic Analysis of Mechanisms Underlying Power in International Political Negotiations" **A dissertation**, Georgetown University, Washington D.C. 1989.

Heider John, **The Tao of Leadership: Leadership Strategies For A New Age**, Bantam Books, N.Y., 1985.

Holsti, K.J., **International Politics: A framework for Analysis**, (1st Edition, 1966) Prentice Hall: New Jersey, 1988 edition.

Hymes, Dell. "Verse Analysis of a Wasco Text": **Hiram Smith's At'unaga**; IJAL 46.650-77. 1980

Ikle, F. **How Nations Negotiate**, Institute for Diplomacy Washington D.C. 1988.

Institute for the study of Diplomacy of Georgetown University **U.N. Security Council Resolution 242: A case study in Diplomatic Ambiguity**, Washington D.C., 1985.

Labov, William, **Sociolinguistic patterns**; University of Pennsylvania Press, and Oxford: Blackwell, 1972.

Labov, W and Fanshel, D. **Therapeutic Discourse**, N. Y. Academic press 1977

Lado, R. **Linguistics Across Cultures**, Ann. Arbor, Mich. 1957.

"How to test Cross - Cultural understanding in R. Lasdo, **Language testing**. London : Longmans, Green, 1961

- N.Y . Mc Gran - Hill 1964, PP . 275 - 89
- Laffin, John, **The Arab Mind Considered: A plea for Understanding**, N.Y. Japlinger 1975.
- Lane-Poole, Stanley, **SALADIN and The Fall of the Kingdom of Jerusalem**, G.P. Putnam's Sons, N.Y., 1978.
- Lasswell, Harold, "The Language of power" in **language of politics: studies in quantitative semantics** (H.D. Lasswell & N. Listes), George Stewart Publisher, Inc., : New York 1949.
- Lyons, John **Language and linguistics** , Cambridge University Press 1981
- Mallery, .C. "Computing strategic language: Natural language Models of Belief & intention", **Meeting of the International Political Association**. Washington D.C. 1987.
- Nicolson Harold, **Diplomacy**, Institute for the Study of Diplomacy, Georgetown University, Washington D.C. 1988 (ed.).
- Jespersen , Otto , **Language : its Nature , Development and origin**, London : Allen & Unwin, 1922 .
- Patai, Raphael, **The Arab Mind**, Charles Scribner's Sons, N.Y., 1983.
- Quandt, William, **Decade of Decisions, American Policy Toward the Arab Israeli Conflict, 1957 - 1976**, University of California Press: Los Angeles, 1977.

- Radford, K.J. **Complex Decision Problems**, Reston Publishing Company, Reston, VA, 1977.
- Rorty, Richard: **The Linguistic Turn: Recent Essays in Philosophical Method**, University of Chicago Press : Chicago, 1967.
- Rieke, R and Malcolm Sillars **Argumentation and the Decision Making process** Scott, Foresman and Company Glenview, Illinois 1984.
- Samarin, William J. **Language in Religious Practice**. Rowley, Mass: Newbury House. 1976.
- Saville-Troike, Muriel 1985: "The place of silence in an Integrated theory of Communication in Deborah Tannen & Muriel Saville - Troike (eds.), **Perspective On Silence**, Ablex: Norwood, N.J. 1985.
- Shapiro, M.J. : **Language & Political Understanding**. Yale University Press, 1981.
- Shuy, Roger 1981 "Topic as the Unit of Analysis in a Criminal Law Case" in DT. (ed) GURT Washington D.C.
- Shuy, Roger. "Conventional Power in FBI Covert Tape Recordings, in Leah Kedar, eds., 1987.
- Snyder, Glenn. and Diesing, Paul. **Conflicts Among Nations : Bargaining, Decision making and system structure in International Crises**, Princeton University Press : NJ. 1977.

Stubbs, Michael. **Discourse Analysis : The sociolinguistics Analysis of Natural Language**, The University of Chicago Press : Chicago, IL, 1983.

Tannen, Deborah & Muriel Suvlle-Troike, eds. **Perspective, on Silence**. Ablex Norwood, N.J., 1985.

Tannen, Deborah, **That is Not What I Meant** . William Morrow & Co. Inc., N.Y. 1986.

Tannen, Deborah The pragmatics on cross-cultural communication,
Applied Linguistics, Vol., 5, No.3, 1984.

Weinstein, Brian: **The Civic Tongue : Political Consequence of Langauge Choices**, Longman, London, 1983.

Yassin, El Sayed. "In Search of a New Identity of the Social Sciences int he Arab World : Discourse, Paradigm, and Strategy in **The Next Arab Decade : Alternative Futures**, Ed. by H. Sharabi (English Version), West View Press : Colorado, 1988 (Arabic Version issued in 1986).

Young, O.R. **The Intermediaries : Third Parties in International Crisis**, Princeton University Press : Princeton, 1967. periodi cals

Periodicals

Azar, Edward, "The Conflict & Peace Data Bank (COPAB) Project, **Journal of Conflict Resolution**, Vol. 24, No. 1, March, PP. 143-52, 1980.

- Bate walter, J. "The Crisis of English Studies, in **Harvard magazine**, Sep.- Oct. 1982, PP. 46-53.
- Becker, A.L "The Linguistics of Particularly", **BLS** 10, 1984.
- Bell, David. "International negotiations and Political Linguistics," **Unpublished paper**, York University, Political Science Rept. Ontario, Canada, 1988.
- Chaika, E., 1974, "A Linguist looks at schizophrenic language", **Brain & language**, Vol. 1 PP
- Cicourel, Aron V. : "Discourse & Text: Cognitive & Linguistic Process in Studies of Socio structure" **Versus** 12.33-84, 1975.
- Dubby , G and J . c . Mallery " RELATus an artiFicial Intelligence Tool For natural language Modeling, "Praper presented at the 1986 **Meeting of the International studies Association** , Anaheim , March, 1986.
- Eco, Umberto. Dr. Eligia, Dolbuox Deassman (An Interview) in **Al-Calfé** sacramento, CA. December 1983.
- Fraser Bruce "Disputing: The Challenge of Adversative Discourse to the cooperative Principle" in **Tomic & Shuy eds**, 1987.
- Hassan-Wageih ,H"Going beyond Notional Functional Syllabuses " **SECOL Review** Vol. X1 #1. 1987.
- Hassan-Wageih, H The West Must beware Rushdie's Trap : Contvoversy over " satanic Verses Ignores Islamic Intellectual

Tradition **The Hoya** , Georgetown University Feb
.28, 1989

Hassan -Wageih ,H "Towards a Field of Political Linguistics:

Implication for Creativity in EFL classes **CDELT.**,
Ain Shams University 1991.

Johnstone, Barbara, "Parataxis in Arabic : Modificationas a Model
for Persuasion", an **Unpublished Paper**, Georgetown
University, 1985.

Koch, Barbara Johnstone, "Presentation as Proof: The Language of
Arabic Rhetoric", in **Anthropological Linguistics**,
251 : 47 - 60, Spring, 1983.

Mallery, .C. "Computing strategic language: Natural language
Models of Belief & intention", **Meeting of the
International Political Association**. Washington
D.C. 1987.

Mallery, J. & G. Duffy "A Computational model of semantic
perception **Al mimo**, No. 977, Artificial intelligence
laboratory, MI Cambridge, 1988.

Mandler , J . M and Johnson , N . S . " Remembrance of Things
porsed : story structure & recall **Cognitive
psychology** 111 - 51 1977

Matsubara,Nozzomu, Conflict and Limits of Power, **XIVth World
Congress of International Poliical Science
Association**, 1988.

Mehan , Hugh " Social Constructivism in psychology and sociology . Sociologie et societies Inc . 277 - 96 1982.

Newsweek , Aug . 12 1990

....., Aug . 20 1991

OnuF , Nichholas " After International Relntions : The Constitution of Disciphines and Their worlds ", apaper presented at **American political science Association** , Chicago, Illinois, sep . 1987 .

Shuy, Roger 1981 "Topic as the Unit of Analysis in a Criminal Law Case" in **DT. (ed) GURT** Washington D.C.

-----, "Conversational Power in FBI Covert Tapev Recordings, in **Leah Kedar, eds.,** 1987.

-----, "Indirectness In Discourse, Ethnicity as Conversational Style, **Discourse Processes,** 1981.

Ting-Toomy, S. "Toward a Theory of Conflict and Culture "International & Intercultural **Communication Annal** 9, pp. 71 - 86, 1985.

Widdowson, H. "Notional - functional Syllabuses" Part IV" In **Exploration in Applied Linguistics,** London, 1979.

هذا الكتاب

هذا الكتاب يمثل أول محاولة علمية تهدف إلى فتح ملف " قضية لغة التخاطب " في الوطن العربي . ويؤكد هذا الكتاب على ارتباط عمليات التفاوض الاجتماعي بعمليات التفاوض السياسي من ناحية ويربط ، من الناحية الأخرى، تفاعلات أزمة الخليج بأزمة لغة الحوار المزمنة على مستوى كافة التيارات بالوطن العربي .. الامر الذي ابرز على الساحة مايريد الكاتب أن يسميه " بخطاب الفاوالات " الذي يجسد بدوره ظاهرة من اخطر ظواهر التفاعلات العربية وهي الخاصة بسلبيات الحوار . فهذه السلبيات لا ترجع إلى وجود أزمة اخلاقية فقط كما يرى ذلك جمهرة كبيرة من الباحثين واعضاء النخبة العربية . ولكن الامر يرجع اساسا إلى افتقار التألف مع تقنيات وديناميكيات التفاعلات العلمية وخاصة اساليب اقامة وتقنييد الحجج . من هنا يحاول هذا الكتاب معالجة الاسئلة التالية :

(١) ماذا عن منظور " لغويات التفاوض " والذي يقدمه الباحث من خلال هذه الدراسة وماذا عن منهجية دراسة النصوص والتفاعلات الحوارية ؟

(٢) ماهى عناصر عمليات التفاوض التي صاحبت تفاعلات أزمة الخليج ؟
 (٣) ماهى مكونات " خطاب الفاوالات " وما هو مدى تأثيره على كل من عمليات التفاوض العربية الدولية (أى من منظور تحليل عملية الاتصال عبر الثقافات (Cross- Cultural Communication) وعمليات التفاوض العربية العربية (أى من منظور تحليل عملية الاتصال داخل الثقافة الواحدة (Intercultural Communication) .

(٤) ماهى عناصر مهارات التفاوض السياسي والاجتماعي طبقاً « لمنظور » لغويات التفاوض ؟



هذا الكاتب

- * حصل على :الدكتوراه في اللغويات والعلوم السياسية من جامعة جورجتاون بواشنطن د.س ١٩٨٩ ، ماجستير علوم في علم اللغويات النظرى من جامعة جورجتاون ١٩٨٥. ماجستير لغويات تطبيقية من جامعة تكساس ١٩٨١ .
ليسانس الاداب من كلية اللغات / جامعة الازهر ١٩٧٧ .
- * يعمل حالياً محاضراً في كلية اللغات والترجمة الفورية بجامعة الازهر وبالجامعة الامريكية بالقاهرة .
- * عمل استشارياً في مجال الترجمة و البحث والتحرير بالبنك الدولي بواشنطن في الفترة من ١٩٨٣ : ١٩٨٦ - كذلك قام بالتدريس والقاء المحاضرات في عدة جامعات امريكية اثناء فترة ابتعائه بالخارج (من ١٩٨٣ : ١٩٨٩).
- * شارك بالابحاث في العديد من الندوات والدوريات العلمية في مجالات اللغويات والعلوم السياسية والترجمة الفورية وطرق تدريس اللغات الاجنبية ودعى لالقاء سلسلة من المحاضرات عن التفاوض من منظور " اللغويات السياسية " بالمعهد الدبلوماسى بوزارة الخارجية المصرية وبعده من الجامعات المصرية .
- * ساهم في تأسيس الجمعية العربية للدراسات الدولية وكان رئيسا لاتحاد الدارسين المصريين بالولايات المتحدة وكندا لفرع واشنطن العاصمة اثناء فترة ابتعائه بالخارج .
- * ينشر العديد من المقالات الصحفية بالصحافة العربية والاجنبية .
- * اصدر مؤلفه الاول بعنوان «نحن والآخرين : اطار تحليلى لتدريس مادة النظم والحضارة» ١٩٩٠ .
- * يعمل حالياً على وضع مؤلفه الثالث بعنوان «النخبة وخليج ١٩٩٠» .

مركز ابن خلدون

مجلس الأمناء :

- د. إبراهيم حلمي عبد الرحمن
- د. أسامة الخولي
- د. باربارا إبراهيم
- د. حازم الببلاوي
- د. حامد عمار
- د. عبد العزيز حجازي
- د. سعد الدين إبراهيم
- (رئيس مجلس الأمناء)
- د. سعيد النجار
- د. علي الدين هلال
- د. منى مكرم عبيد
- م. محب زكى
- (المدير التنفيذي)

دار سعاد الصباح

هيئة المستشارين :

- د. جابر عصفور
- أ. جمال الفيطاني
- د. حسن الابراهيم
- أ. حلمي التوني
- (المستشار الفنى)
- د. خلدون النقيب
- د. سعد الدين إبراهيم
- (العضو المنتدب)
- د. سمير سرحان
- د. محمد نور فرحات
- (المستشار القانوني)
- أ. يوسف القعيد
- أ. إبراهيم فريح
- (مدير التحرير)

مطابع الشروق

التابعة: ١٦ شارع جواد حسى - هاتف: ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤

بيروت: ص ب ٨٠٦٤ - هاتف: ٣٩٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٣٩٣

■ دار سعاد الصباح

للنشر والتوزيع

هي مؤسسة ثقافية عربية مسجلة بدولة الكويت وجمهورية مصر العربية وتهدف إلى نشر ما هو جدير بالنشر من روائع التراث العربي والثقافة العربية المعاصرة والتجارب الابداعية للشباب العربي من المحيط إلى الخليج وكذا ترجمة ونشر روائع الثقافات الأخرى حتى تكون في متناول أبناء الأمة فهذه الدار هي حلقة وصل بين التراث والمعاصرة وبين كبار المبدعين وشبابهم وهي نافذة للعرب على العالم ونافذة للعالم على الأمة العربية وتلتزم الدار فيما تنشره بمعايير تضعها هيئة مستقلة من كبار المفكرين العرب في مجالات الابداع المختلفة.

■ مركز ابن خلدون

للدراستات الإنشائية

هو مؤسسة بحثية مستقلة مسجلة في جمهورية مصر العربية ويقوم المركز بالدراسات والبحوث التطبيقية في مجالات الثقافة والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتربية وينشر نتائجها على أوسع نطاق ممكن في الوطن العربي والخارج بشكل مستقل أو بالمشاركة مع مؤسسات ثقافية عربية وعالمية لها نفس الأهداف التنويرية والتنمية

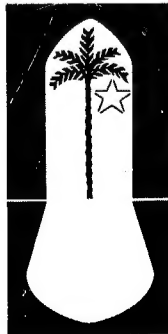
مركز ابن خلدون

للدراستات الإنشائية

١٧ ش ١٢ المقطم . القاهرة
ت: ٥٠٦١٦١٧ - ص. ب. ١٣
فاكس: ٥٠٦١٠٣٠ (٢٠٢)
تلكس: ٢١١١٣ صبرا

دار سعاد الصباح

ص. ب. : ٢٧٢٨٠
الصفحة ١٣١٣٣ - الكويت
ص. ب. ١٣ المقطم - القاهرة



دار سعاد الصباح